سلسلة شرح الرسائل

البراهين والفوائد البينات

بشرح

كشف الشبهات

شرح :

الشيخ : أبي عكرمة وليد بن فضل
المولى الخالدي حفظه الله

مكتبة دار الحديث السلفية بالسودان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإن كتابَ كشفِ الشبهاتِ من الكتب العظيمة النافعة وهو من أنفعِ كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الكتاب على صِغَرِ حجمه فقد قرر فيه شيخ الإسلام الحقَّ بأدلته وبراهينه ، فقرر رحمه الله التوحيد وأبطل الشرك وردَّ على شُبهاتٍ أوردها أهل الباطل بكلامٍ ماتع وبحجج قوية ساطعة ، ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد اعتنى به العلماء وطلاب العلم قديماً وحديثاً ، شرحاً وتعليقاً وتحشية ونظماً.

ومن المنظومات الماتعة ما نظمه الشيخ محمد الطيب الأنصاري في نظمه المسمى بـ(البراهين الموضحات بنظم كشف الشبهات) ، فهو نظمٌ جيد جديرٌ بالعناية والحفظِ.

وقد اعتنى أهل العلم عناية فائقة بنظم كثير من العلوم ، لأن المنظومات

أسهل في الحفظ وأثبت في الذهن كما قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

و صارَ من عادةِ أهلِ العلمِ ... أن يعتنوا في سبرِ ذا بالنظم

لأنه يسهلُ للحفظِ كما ... يروق للسمعِ ويشفي من ظمَأ

وقال الشيخ محمد الطيب الأنصاري في مطلع نظمه :

قالَ محمدُ المسمَّى الطَّيِّبا السلفيُّ نِحْلةً ومذهبا

الحمدُ لله الكريمُ إِذ كَشَفْ عنا سحابَ الجَهْل فضلاً فانْكَشَفْ

وعَلَّمَ التَّوحيدَ والقرآنا أنزلَهُ مفصَّلاً تِبْيانا

ثمَّ صلاتُه على مَنْ قد حَما جوانِبَ التَّوحيدِ أَعظمَ حما

والمستجيبين له من صحبهِ وآلِه والمنتمي بحبِّهِ

هذا وكَشْفُ الشُّبهات أَلَّفَهْ إمامُ وقتِهِ الصحيحُ المعرفة

محمدُ بن عابد الوهَّابِ مجدِّدُ الدين بلا ارتيابِ

فجا كِتاباً حَجْمُهُ صغيرُ لكِنَّهُ في علمِهِ كبيرُ

وَقَدْ أَشارَ الشيخُ عبدُالله سليلُهُ ابنُ الحسن الأَوَّاهِ

رأْس قُضاةِ الوقتِ في الحِجازِ بِنَظْمِهِ في قالَبِ الإِيجازِ

فصغتُهُ بمقتضى الإِشارةْ نظماً بديعاً واضح العبارة

فقلتُ باسم اللهِ مستعيناً إِذْ هُوَ حسبي وكفى مُعينا

وقد من الله عليَّ ووفقني لشرح هذا الكتاب على إخواني من طلاّب العلم مراراً فرغبوا حفظهم الله تعالى في تفريغه وكتابته وقد قام أخونا الفاضل ـ مزمل بن إسحاق ـ حفظه الله تعالى بهذا، فأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله إنه جوادٌ كريم .

هذا الكتاب سماه مؤلفه بـ(كشفِ الشبهاتِ) .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في (التيسير): { ولكن لعُبَّاد القبور شُبهات ذكر المصنّف كثيراً منها في [كشف الشبهات] ونحن نذكرُ منها هنا ما لم يذكره} .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في رسالته لمحمد بن عمر بن سليم : (وإن كان شيخنا قد ردها في كشف الشبهات، لكن كتبنا الرد عليها على سبيل الاختصار) الدرر(١٧/ ٤٤)

وأما عنوان الكتاب فنتكلم عليه من جهتين :

الأولى : إعرابه

والثانية : بيان معناه :

فمن جهة الإعراب نقول : (كشفُ) : خبر لمبتدأ محذوف تقديره ـ (هذا) وهو مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف

والشبهات : مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والتقدير (هذا كشف الشبهات) فكأن الشيخ رحمه الله قال لك : يا طالب العلم هذا كتاب كشف الشبهات قد كتبته لك ووضعته بين يديك لتنهل مما جاء فيه وتنتفع به .

وأما من جهة بيان المعنى :

فالكشفُ لغةً : هو الرفع والإزالة والإبانة والإيضاح .

يُقال : كشفَ الشيء : يعني رفع عنه ما يغطيه ، أو رفعه عما يُغطيه .

وكشف الأمرَ : أظهره ، وكشف الضُر : أزاله ورفعه ، وكشف الحقيقة : يعني : أبانها .

الشبهات لغة : جمع شبهة ، مأخوذة من الإشتباه وهو الإلتباس والإختلاط .

يُقال : اشتبهَ عليه الأمر يعني التبس عليه ، وأمور مشتبهة يعني مُشْكِلَة وملتبسة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ البقرة: ٧٠ ، وقوله ﷺ : (إن الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ فيه لدينه وعرضه ومن واقعها واقع الحرام ...) الحديث .

والشُبهة شرعاً : هو واردٌ يردُ على القلب يحولُ بينه وبين انكشافِ الحق .

يعني :أن يرد على القلب شيء ، فالشيء هذا هو الشبهة وإنما سميت الشبهة بذلك لأنها تشبه الحق فصاحب الشبهة يشوب الحق بالباطل ويزّين ويزخرف باطله بشيء من الحق حتى يروج باطله ويسري في الناس، فالشبهة قد تستر الحق وتجعله ملتبساً على الناس فيُفتنون في دينهم .

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - { والفتنة نوعان :

فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين ، وفتنة الشهوات ، وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما :

ففتنة الشبهات : من ضعف البصيرة وقلة العلم ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى فهنالك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى فقل ما شئت في ضلال سيء القصد الحاكم عليه الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسوله فهو من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴿٢٣﴾﴾ النجم: ٢٣ ، وقد أخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال : ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ ص: ٢٦، وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم فجميعهم إنما

ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال ، ولا ينجى من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول وتحكيمه في دق الدين وجله ظاهره وباطنه عقائده وأعماله حقائقه وشرائعه فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام وما يثبته لله من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها ومقادير نصب الزكاة ومستحقيها ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وصوم رمضان فلا يجعله رسولاً في شيء دون شيء من أمور الدين بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل لا يتلقى إلا عنه ولا يؤخذ إلا منه فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله وكل ما خرج عنها فهو ضلال فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض ما سواه ووزنه بما جاء به الرسول فإن وافقه قبِلَهُ لا لكون ذلك القائل قاله بل لموافقته للرسالة وإن خالفه رده ولو قاله من قاله فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه ، وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد وتارة من نقل كاذب وتارة من حق ثابت خفى على الرجل فلم يظفر به وتارة من غرض فاسد وهوى متبع فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة } .

وقال أيضاً : { وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله : ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ

بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ ... ﴿٦٩﴾ ﴾ التوبة: ٦٩ ، أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها والخلاق هو النصيب المقدر ثم قال : ﴿ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ...﴿٦٩﴾ ﴾ التوبة: ٦٩ ،فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات ، فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق والخوض بالباطل لأن فساد الدين إما أن يكون بإعتقاد الباطل والتكلم به أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح

فالأول : هو البدع وما والاها.

والثاني : فسق الأعمال .

فالأول: فساد من جهة الشبهات ، والثاني : من جهة الشهوات .

ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين :

صاحب هوى قد فتنه هواه.

وصاحب دنيا أعمته دنياه .

وكانوا يقولون : (احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون)، وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوى على العقل .

فالأول : أصل فتنة الشبهة ، **والثاني** : أصل فتنة الشهوة .

ففتنة الشبهات تدفع باليقين وفتنة الشهوات تدفع بالصبر ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤ ، فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

وجمع بينهما أيضا في قوله : ﴿ ...وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ العصر: ٣، فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات وبالصبر الذي يكف عن الشهوات وجمع بينهما في قوله :﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ ﴾ ص: ٤٥ ، فالأيدي : القوى والعزائم في ذات الله والأبصار : البصائر في أمر الله وعبارات السلف تدور على ذلك

قال ابن عباس : أولى القوة في طاعة الله والمعرفة بالله .

وقال الكلبي : أولى القوة في العبادة والبصر فيها .

وقال مجاهد : الأيدي : القوة في طاعة الله والأبصار : البصر في الحق

وقال سعيد بن جبير : الأيدي : القوة في العمل والأبصار : بصرهم بما هم فيه من دينهم .

وقال جاء في حديث مرسل : (إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات) ، فبكمال العقل

والصبر تدفع فتنة الشهوة وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة والله المستعان .

وكشفُ الشبهة : هو رفع وإزالة التباسها ببيان وجوه بطلانها ومخالفتها للحقِّ ، هذا معنى كشف الشبهة .

وهذا الكتاب ينقسمُ إلى ثلاثة أقسام : (مقدمة . وموضوع . وخاتمة) :

فأما المقدمة : فتبدأُ من قوله : { اعلم – رحمك الله – أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ــ إلى قوله : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة. } .

وأما موضوع الكتاب : فمن قوله : { وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا ــ إلي قوله : فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟ ! } .

وأما الخاتمة : فمن قوله : { ولنختم الكلام – إن شاء الله تعالى – بمسألة عظيمة مهمَّة جدًا تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها ... إلى آخره } .

وأما مؤلفه :فهو أبو الحسين محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي .

مولده : وُلِدَ رحمه الله بالعُيينة سنة ١١١٥ هـ ، وتُوفيَ بالدرعية سنة ١٢٠٦ هـ وقد عاش رحمه الله احدى وتسعين سنة قضاها في العلم والتعليم والدعوة والجهاد في سبيل الله حتى جدد الله به الملة وأحيا به ما اندرس من معالم التوحيد والدين فقد نهج رحمه الله نهج الأنبياء في الدعوة إلي الله عز وجل وفي الصبر على أذية من آذى ، وعداوة من عادى حتى نصره الله عز وجل ومكّن له فصار إماماً من أئمة الدين قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١ .

قال ابن القيم - رحمه الله - : { سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤ } مدارج السالكين .

بـيان المقدمة

قال المؤلف رحمه الله :

{ بسم الله الرحمن الرحيم اعلم - رحمك الله - أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلي عباده.}

الـشرح :

بدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة وذلك لأمور :

أولاً: تأسيًا بكتابِ الله ﷻ حيثُ جاءتْ البسملةُ في بدايةِ كلِ سورة من سورِ القرآن عدا سورة براءة .

ثانيًا : لأنَّ أولَ ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[العلق:١]، فطريق التأسي به الافتتاح بالبسملة .

ثالثاً : تأسيًا بالنبي ﷺ حيثُ كان يبدأ مكاتباته ومراسلاته بالبسملة ،كما جاء في صحيح البخاري في كتابته إلى هرقل وفيه : «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى»(١) الحديث.

رابعًا : للتبركُ والاستعانة بالبداءة باسم الله ﷻ.

خامسًا : اتباعًا للسلف الصالح رضوان الله عليهم كما هو صنيع الإمام البخاري في صحيحه .

أما حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه : (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم ، فهو أقطع) ، هذا الحديث ضعيف جدًا ، آفته ابن عمران هذا، ويعرف بابن الجَندي

وهذه المقدمة نافعة جداً وعلى فهمها ينبني رد جُل ما سيذكره الشيخ ـ رحمه الله ـ من الشبهات فهي جديرة بالعناية فهماً لما يحتاج فهمه وحفظاً لما يحتاج حفظه فقد ذكر فيها الشيخ ـ رحمه الله ـ مهمات معينات على فهم التوحيد وهي :

الأولى : هو معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ولأجله وقعت الخصومة بين الرسل وقومهم .

الثانية : معرفة ما كان عليه المشركون من جهة الاعتقاد والعمل ، لأجل أن يقف الانسانُ على مواطن الخلل والزلل عندهم فيجتنبها.

الثالثة : معرفة توحيد الألوهية ومعرفة توحيد الربوبية ومعرفة الفرق بينهما.

الرابعُة : معرفة الشرك الذي بعث الله رسله لحربه والنهيُ عنه.

الخامسة : معرفة معنى كلمة {إله }

السادسة : معرفة معنى {لا إله إلا الله}

السابعة : بيان خطر أعداءِ التوحيد والتحريض على الإستعداد لهم والتسلُّح بالعلم.

قوله : { اعلم } : (اعلم) ، فعل أمر من العلم يعني تعلّم ، وهذه الكلمة يؤتى بها للدَلالة والتنبيه على أهمية ما سيأتي بعدها ولذلك ينبغي لطالب العلم إذا سمعها أو قرأها أن يتهيأ لمعرفة ما سيأتي بعدها من مهمات الأمور فيكون حاضرا بقلبه وسمعه .

قوله : {**رحمك الله**} : هذه جملة خبرية لفظاً ، إنشائية معنىً .

ومعنى هذا : أنها في لفظها خبر ، و إنشائية في معناها لأنه يُرادُ بها الدعاء .

فإن قلت فما الجملة الخبرية وما الجملة الإنشائية ؟

فالجملة الخبرية: هي الجملة التي تحمل خبراً يحتمل الصدق أو الكذب ، كأن يقول لك شخص : (جاء زيدٌ) فهذه جملة خبرية لأنها تحمل خبراً وهو مجيءُ زيد ، فإن كان زيد هذا قد جاء حقاً وطابَق كلام الُمخبر الواقع فهذا صدقٌ ، وإن خالف كلام الُمخبر الواقع وأن زيداً لم يأتِ ولا يزال مسافراً فهذا كذبٌ .

وأما الجملة الإنشائية : فهي ما تضمنت كلاماً لا يحتمل الصدق أو الكذب.

والجملة الإنشائية أنواع :

١. **منها الأمر :** مثاله (قم يا زيد) .

٢. **النهي :** مثاله (لا تلعب بالنار) .

٣. **الدعاء :** مثاله : (اللهم اغفر لي).

٤ـ **الاستفهام** : مثاله : (هل جاء زيدٌ) .

٥ ـ **التعجّب** : مثاله (ما أجمل السماء) ،أو بأن تأتي بصيغة التعجب (ما أفعله) .

٦ـ **التمني** : مثاله (ليت لي مالاً) ومنه قول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيبُ

فهذه الجمل كلها إنشائية لا يصح أن يقال لقائلها صدقت أو كذبت

قوله : { رحمك الله} ، هذه جملة خبرية لفظاً ،يعني أن ألفاظها خبر ولكن الشيخ يريد بها الدعاء .

فليس مراد الشيخ أن يخبر أن الله رحم القارئ لهذه الرسالة أو رحم طالب العلم الدارس لهذه الرسالة وإنما مراده أن يدعو للطالب والقارئ ، فأراد الدعاء رحمه الله ، هذا معنى كلامه والدعاء منِ أنواعِ الجملةِ الإنشائية .

ومعنى قوله : (رحمك الله) : غفر لك ما مضى من ذنوبك ووفقك للعصمة والسلامة مما يستقبل منها .

فإذا قال لك : (رحمك الله وغفر لك) فالمغفرة لما مضى من الذنوب ، والرحمة السلامة والعصمة مما يستقبل من الذنوب .

و قوله : (رحمك الله) : هذه جملة اعتراضية .

والجملة الاعتراضية : هي التي يؤتى بها أثناء الكلام التام معنىً ويتم الكلام بدونها ولا يفوت بفواتها .

يعني أنك تُقْحِمْ هذه الجملة في أثناء الكلام التام في المعنى ، ففي كلام الشيخ لو قلنا : (اعلم أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة) ، فحذفنا (رحمك الله) لكان كلامنا تاماً بدونها فهذه هي الجملة الاعتراضية .

قوله : { أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة}: هذا أول أمرٍ أراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيانه لطالب العلم .

والتوحيد لغة : مصدر وحّد يوّحدُ توحيداً ،ومادة ـ الواو والحاء والدال ـ أصلٌ يدل على الانفراد ، ومن ذلك الوَحْدة وقولهم هو واحدُ قبيلتهِ ، إذا لم يكن فيهم مثله كما قال مروان ابن أبي حفصة:

يا واحدُ العربِ الذي ما في الأنامِ له نظيرُ

ومنه قولهم : (جاء فلان وحده) يعني منفرداً .

ومنه قول : (وحدتُّ الله) يعني اعتقدتُ انفراده بالوحدانية .

وشرعاً له معنيان :{ عام وخاص }:

المعني العام : وهو افراد الله بما يختصُّ به ، وهذا شاملٌ لإفراد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

المعنى الخاص : وهو إفراد الله بالعبادة .

قال الشيخ : { اعلم أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة } ، فـ (أل) في قوله التوحيد إما أن تكون العهدية الذهنية ، وضابطها: هي التي يكون مصحوبها معهوداً ذهناً بحيث إذا ذُكر لم ينصرف الذهن إلا إليه كقوله (قال الرسول) ، (إذ هما في الغار)والتوحيد على هذا يريد به الشيخ توحيد الألوهية ، فاذاً قوله { التوحيد } ، يعني التوحيد المقدوح في الاذهان الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه ولأجله وقعت الخصومة وهو توحيد الالوهية.

وتوحيد الالوهية : هو افراد الله تعالى بالعبادة.

أما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات : فهما من أدلة وبراهين توحيد الألوهية

وإما أن نقول إن (أل) في قوله {التوحيد } جنسية استغراقية و(أل) الجنسية الاستغراقية ضابطها : صحة أن تحل محلها (كل)، وعلى هذا يكون قول الشيخ :(اعلم رحمك الله ، أن كل توحيد هو إفراد الله بالعبادة) بإحلال (كل) محل (أل) ، في قوله {التوحيد} لكن هل كل توحيد هو إفراد لله بالعبادة ؟

الجواب : لا ، إذن كيف نوجّه كلام الشيخ ؟

يقال إن الشيخ أراد أن يعرّف التوحيد ببعض أفراده وهو مسلك شرعي نبوي معروف عند أهل العلم فالعلماء أحيانا يعرّفون الأشياء ببعض

أفرادها ، وأحياناً يعرّفونها بالمثال ، وقد دل على هذا قول النبي ﷺ في حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، فسئل عنه فقال : (الرياء) ، والشرك الأصغر أعم من الرياء فهنا عرّف الشيء ببعض أفراده ، عرّفه بالمثال . ومن ذلك قوله : { أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ } ،رواه أبوداود عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ رضي الله عنه ، والقوة أعم ومن ذلك تفسير أبي هريرة رضي الله عنه للحدث : {عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لاَ تُقْبَلُ صَلاَةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ ، قَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ : مَا الْحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ } ، بالفساء أو الضراط والحدث أعم من هذا ،ومن ذلك تفسير عمر رضي الله عنه للطاغوت بالشيطان ، وتفسير جابر رضي الله عنه له بالكهان والطاغوت أعم من ذلك ، فيُخَرّج قول الشيخ على هذا .

فـ (أل) في قوله : (التوحيد) إما أن تكون للعهد الذهني وإما أن تكون الجنسية التي للاستغراق والشمول .

فعلى أنها للعهد الذهني : فلا إشكال ويكون الشيخ قد عرّف توحيد الألوهية .

وعلى أنها للاستغراق والشمول : يكون الشيخ قد عرّف التوحيد ببعض أفراده الذي هو أعظمها وأهمها وآكدها .

قال الشيخ : { التوحيد هو إفراد الله بالعبادة }

والتوحيد لابد فيه من إفراد والإفراد لا يتحقق إلا بأمرين :

الأول النفي العام : يعني النفي المحض ،أي: النفي الخالص ، وهو الذي لا يتضمن إثباتاً .

الإثبات التام : يعني الإثبات المحض : الخالص الذي لا يتضّمن نفياً،

فالنفي المحض تعطيل ، مثال ذلك (لا إله) هذا نفيٌ محضٌ خالص لا يتضمن إثباتاً ، فـ(لا إله) هذه جملة منفية (لا) هذه نافية (إله)نكرة منفية ، (لا إله) يعني لا معبود .

واستفدنا العموم من أن (إله) نكرة مسبوقة بالنفي تفيد العموم ، قولنا (لا إله) هذا نفي عام .

والإثبات التام لا يمنع المشاركة كقولنا : (الله إله) ، هذا إثبات تام لا يمنع أن يكون غيره إلها .

إذاً لا بد في التوحيد من نفيٍ عام وإثبات تام ، لأن النفي المحض كفر .

إذا قال قائل : (لا إله) أي لا معبود فهذا نفى أن يكون الله معبوداً وهذا كفر ،والإثبات وحده لا يمنع المشاركة فلو قال قائل (الله إله)فهذا الإثبات لا يمنع أن يكون غير الله إلهاً ، ولكن إذا قال : (لا إله إلا الله) فيكون قد نفى نفياً عاماً وأثبت إثباتاً تاماً ، وبذا يتحقق الإفراد والتوحيد فـ(لا إله إلا الله) تعني البراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع

العبادات فهي إقرار بإفراد الله بالعبادة وحده دون ما سواه ، وهنا لا بد لطالب العلم من أن يعرف العبادة التي يجب عليه أن يُفرد الله بها حتى يكون موحداً لله عَزَّوَجَلَّ .

قال رحمه الله : { اعلم -رحمك الله- أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كسّر صور هؤلاء الصالحين }.

قوله : (إفراد الله سبحانه بالعبادة) ،يعني أن تجعل العبادة مختصة لله عَزَّوَجَلَّ أن تجعل العبادة خالصة له وخاصة به سبحانه وتعالى .

قال الناظم في بيان أن الدعوة إفراد الله بالعبادة هو دين الرسل :

إِفرادُ ربِّ العرشِ بالعبادةِ	دينُ الكرامِ المرسلينَ القادةِ
أَرسَلَهم لِيُعلموا عبادهْ	أَنْ يُفرِدوهُ جَلَّ بالعبَادهْ
وَذلِكَ التوحيدُ لاَ يَنْجو أَحدْ	بِغَيرِهِ من العذابِ والنَّكدْ
أَوَّلهمْ نُوحٌ أَتى لمن غَلَوا	في الصالحينَ والكفورِ قَدْ أَتَوْا
وُداً سواعاً ويَعوق نَسْرا	من قدْ أَضَلُّوا في الأَنامِ كَثْرا
وَخَيْرُهُم آخِرُهُم محمدُ	وكلُّهمْ بالمعجزاتِ أُيِّدوا
نَبيُّنا هو الذَّي قَدْ كَسَّرا	هؤلاءِ الصَّالحينَ صُوَرا

قوله : { أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة } ،التوحيد هو الغاية التي خلقنا الله جل وعلا لأجلها قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦، والله جل وعلا أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل التوحيد فلا بد للإنسان أن يعرف العبادة التي خُلق لأجلها .

وهذه من المقدمات المهمة التي يجب على طالب العلم أن يعتني بها وأن يعرف معنى العبادة التي خُلق لأجلها حتى يؤدى ما خلق الله لأجله وما هو حق عليه لربه.

تعريف العبادة

العبادة لغةً: هي التذُّلُل والخُضُوعُ؛ يقال : طريقٌ مُعَبَّدٌ : إذا كان مُذَلَّلًا بوَطْءِ الأقدام، أو بالسير عليه ، وبعيرٌ معبّد : يعني مذلل بكثرة الركوب عليه ، وسميَّ العبدُ عبداً لذلته وانقياده لسيده ،ومن ذلك قول طَرَفَة بن العَبْد في معلقته :

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِياتٍ وأَتْبَعَت ... وَظِيفًا وظيفًا فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

معنى البيت: (تُبَارِي): تُسابق، (العتاق): النُّوق الكرام، (الناجيات): السريعات، (الوظيف): عظم الساق، (المعبد): المذلَّل، وهذا هو الشاهد .

وشرعًا : تعرف باعتبارين:

١- باعتبار المتعبد به: (أي باعتبار أنواعها باعتبار أفرادها): وعلى هذا الاعتبار تُعرَّف بتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية: وهو أنَّ العبادة :اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة(٢).

شرح التعريف

العبادة : (اسم) ما الدليل ؟: دخول (أل) عليها قوله (جامع):أي يحوي ويشمل أشياء كثيرة، فالعبادة جنس تحته أنواع وأفراد فما أنواعها ؟ قال (لكلِّ ما): و(ما) موصولة بمعنى (الذي) تفيد العموم (يحبه الله ويرضاه)إذن يدخل في العبادة جميع ما يحبه الله ويرضاه من ماذا ؟ {من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة } : فإن قال قائل كيف نعرف أنّ الله يحب هذا القول أو يحب هذا الاعتقاد أو يحب هذا العمل ؟ الجواب: إذا أمر به أمر إيجابٍ أو أمر استحبابٍ، أو أثنى على فاعله، أو رتَّب على فعله ثواباً أو رتب على تركه عقاباً ، أو بيّن أنه سبيلٌ للفلاح وسبيلٌ للفوز بالجنة أو أنه من صفة أهل الإيمان .

قوله: (من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة).

الأقوال الباطنة : المراد ها تصديق القلب واعتقاده وإقراره .

والدليل على أن اعتقاد القلب يسمى قولا حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنه قال: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سريَّة، فصبَّحنا الحرقات من جهينة،

---

(١) العبوديـة: (صـ : ٤٤).

فأدركت رجلًا فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبيِّ ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «أقال ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنَّما قالها خوفًا من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها عليَّ حتَّى تمنَّيت أنِّي أسلمت يومئذ) (٣) ، والضمير في قوله { أقالها ؟} راجع إلى القلب ، ومعناه : أصدقها قلبه واعتقدها وأقرَّ بها أم أنها كلمة جرت على لسانه ؟ فإن أسامة رضي الله عنه قد سمع الرجل يقولها بلسانه ويشهد لهذا قوله للنبي ﷺ {إنما قالها خوفا من السلاح } وعلى هذا فجميع الاعتقادات التي جاءت في الكتاب والسنة داخلة في العبادة القولية الباطنة ومن أنواعها كالإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وتفاصيل ما في ذلك كله

النوع الثاني : الأقوال الظاهرة : وهي أقوال اللسان كالتَّلفظ بالشَّهادتين، والحلف به والأذان، والتلبية، وقراءة القرآن، والأذكار والاستغفار وصدق الحديث، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فكل هذا من القولية الظاهرة .

والأعمال عند أهل السنة تنقسم إلى قسمين :

أعمال باطنة : وهي أعمال القلوب كالخوف، والخشية، والخشوع، والصدق، والإخلاص.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وأعمال ظاهرة : وهي أعمال الجوارح كالصلاة، والصوم، والحجِّ، والزكاة، والجهاد، والذبح والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وإماطة الأذى عن الطريق،...الخ ، فظهر مما تقدم أن العبادة أنواع وأفراد كثيرة وأنها موزعة على القلب واللسان والجوارح فكل له نصيب منها .

٢- باعتبار التعبد (أي فعل العبادة): وتعريفها بهذا الاعتبار أن يقال:

هي التَّذلُّل والخضوع لله تعالى وحده بفعل أوامره وترك نواهيه محبَّة وتعظيمًا على وفق الشرع.

قال القرطبي رحمه الله : (وسُمِّيَت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذلِّلين لله)[٤]،وهذا المعنى هو الذي ذكره ابن القيم رحمه الله : **في نونيَّته فقال:**

وعبادة الرحمن غـــاية حبِّه ... مع ذلِّ عابده هما قطبـــان

وعليهما فَلَكُ العبـادةِ دائرٌ ... ما دار حتَّى قامت القُطْبـان

ومداره بالأمرِ أمرِ رسوله ... لا بالهوى والنَّفس والشَّيطان

فقيام دين الله بالإخلاص والْـ ... إِحْسان إنَّهما له أصلان

لم ينْجُ من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الأصلان

والناسُ بعدُ فمشركٌ بإلهه ... أو بابتداعٍ أو له الوصفانِ

فبين رحمه الله أن العبادة غاية المحبة وغاية الذل مع الإخلاص والإحسان

(٢) انظر " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبي (١/ ٩٦).

فالإخلاص : معناه عبادة الله وحده و ترك الشرك في العبادة مع إرادة وجه الله بها

والإحسان : هنا يراد به عبادة الله على وفق الطريقة النبوية المحمدية .

فمن كان على هذا فقد امتثل أمر الله وأدى ما عليه ومن خرج عن هذا فإما أن يكون مشركا مفارقا للإخلاص بأن جعل العبادة أو شيئاً منها لغير الله أو أراد غير وجه الله بعبادته وإما أن يكون مبتدعا مفارقا للإحسان بأن عبد الله بالبدع ومن الناس من جمع بين الأمرين ـ عياذا بالله ـ فجمع الشرك والبدع كما هو حال الصوفية والشيعة ومن نحا منحاهم فإنهم يجمعون بين الشرك في عبادة الله وبين عبادة الله بالبدع والضلالات والموفق من لزم الإخلاص والإحسان في العمل ، فمعرفة العبادة وأنواعها من الأمور المهمة في معرفة التوحيد وتحقيقه .

قال : { اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة }

إذاً التوحيد هو أن نخُص الله بالعبادة بأن نجعل العبادة كلها وبجميع أنواعها له وحده سبحانه .

قال : { **وهو دين الرسل** } ، (وهو) يعني التوحيد .

قال : { **دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلي عباده** } ، التوحيد هو دين الرسل كلهم من نوح عليه الصلاة والسلام الذي هو أول الرسل كما سيأتينا إلى خاتمهم محمد ﷺ الذي هو آخر الرسل .

والدينُ لغة : هو الذُّل والطاعة والتعبيد ، ومنه قولهم (دنتهُ فدانَ) يعني : أذللته فذَلْ ، وتقول : (أُدينُ الله بكذا) يعني أنك تطيعه وتتعبّد له .

وشرعاً : هو ما بعث الله به رسله من التوحيد ، أو هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

هذا دين الرسل جميعا فدينهم التوحيد كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة . قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : الأنبياء إخوة من علات ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، فليس بيننا نبي)، وفي رواية لمسلم قال: (أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علات ، ليس بيني وبينه نبي) .

والإخوة لعلاّت : هم الإخوة من أب واحد لأمهات شتى ، ومراد النبي ﷺ أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد وأن شرائعهم مختلفة في التحليل والتحريم كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨ ،وأما التوحيد الذي هو الأصل فهو دينهم جميعاً و قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦، هذا هو الأصل الذي جاءوا به جميعاً ،﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ

﴿٢٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٥، وقال تعالى :﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴿١٣﴾ ﴾ الشورى: ١٣.

قال : { وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده }

فالتوحيد هو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، فالرسل جميعاً أرسلهم الله إلى العباد يأمرونهم بالتوحيد أولا وقبل كل شيء ودلت على ذلك أدلة إجمالية وأدلة تفصيلية .

فالإجمالية كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦ ، وقوله : ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الزخرف: ٤٥،وقوله : ﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحقاف: ٢١ ــ ٢٢، وقوله : ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ الشورى: ٤٨.

وأما التفصيلية: فكقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ هود: ٢٥، ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ هود: ٥٠، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود: ٦١، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥، وقوله عن موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ طه: ٩٨ وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢، وقال عن خاتمهم ﷺ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ يونس: ١٠٤، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ ص: ٦٥

وقال ﷺ: { بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم منهم} ، وعن عمرو بن عبسة قال لما أتيت النبي ﷺ بمكة : { قلت ما أنت؟ قال : ((نبي)) قلت : وما نبي؟ ((قال : أرسلني الله)) قلت : بأي شيء أرسلك ؟ قال: ((بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يعبد الله لا يشرك به شيئاً)) قلت من معك على هذا ؟ قال : ((حر وعبد)) }ومعه يومئذ أبو بكر وبلال، وحديث أبي سفيان مع هرقل قال :{وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ فَقُلْتَ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يُزِيدُونَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ } ، الحديث ،فهذه أدلة تفصيلية تدل على أنه ما من رسول أرسله الله إلا وجعل التوحيد أصل دعوته ، وإلا ودعا الناس أول ما دعاهم إلى توحيد الله سبحانه ، وهكذا كان نبينا ﷺ يرسل أصحابه دعاةً إلى الله فيأمرهم أن يأمروا الناس بالدعوة إلى التوحيد أولاً وقبل كل شيءٍ كما في بعْثِ معاذ إلى اليمن قال له : (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ

الكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تعالى)، وفي رواية : (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) متفق عليه ، فالدعوة إلى التوحيد تكون قبل الدعوة إلى الصلاة وقبل الدعوة إلى الزكاة وقبل الدعوة إلى الصوم وقبل الدعوة إلى الحج وقبل الدعوة إلى بر الوالدين وصلة الأرحام ، لأن التوحيد حق الله وحق الله أعظم الحقوق، وكذلك النهي عن الشرك يكون أولاً قبل النهي عن نكاح المحارم ، وقبل النهي عن الزنا بالمحارم ، لأن الشرك فيه اعتداء على حق الله الذي هو أعظم الحقوق فلا بد أن تستقر هذه المعالم في نفوس الناس لا سيما طلبة العلم فالتوحيد أول واجب على المكلفين .

أول واجب على العبيد ... معرفة الرحمن بالتوحيد

إذ هو من كل الأوامر أعظم ... وهو نوعان أيا من يفهم

فهذا أول ما يجبُ على الإنسان معرفته واعتقاده والعمل بمقتضاه ، بأن يفرد الله بالعبادة .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { فأولهم نوحٌ عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً ، وآخر الرسل بمحمد ﷺ ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين .}

قوله : { فأولهم نوحٌ عليه السلام } : يعني أن نوحا عليه السلام أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض ، والدليل على أوليته قوله تعالى : ﴿

﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ١٦٣ ﴾ النساء: ١٦٣، فهذه الآية دلت على أن الرسل جميعا جاءوا بعد نوح إذن هو أول الرسل إلى أهل الأرض، ومن السنة ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن الناس يقولون له: (أنت أول رسولٍ أرسله الله إلى أهل الأرض)، فدل ذلك على أن نوحاً أول من أرسله الله عز وجل .

قال العلامة الحكمي :

أولهم نوح بلا شك كما .... أن محمدًا لهم قد خُتِـما

قوله : { أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين } :

هذه الجملة فيها بيان أول وقتٍ حدثَ فيه الشرك، وبيان سببه وهو الغلو في الصالحين، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ٢١٣ ﴾ البقرة: ٢١٣، الشاهد قوله: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : { ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام؛ قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعُبدت الأصنام والأنداد

والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحُجَجه البالغة وبراهينه الدامغة، ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأنفال: ٤٢ ، قال الله : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ ، فهنا محذوف دل عليه قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ ﴿١٩﴾ ﴾ يونس: ١٩، فكانوا جميعا على التوحيد كما جاء من حديث عِياض بن حمار في مسلم الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ) الحديث .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: { لما غلو في الصالحين } :

فغلوِّهم في الصالحين هو سبب حدوث الشرك بالله سبحانه .

الغلو لغة : قال ابن فارس (الغين واللام والحرف المعتلّ) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ ومجاوزةِ قدرٍ أو حدٍ .

الغلو شرعاً : هو مجاوزة ما حُدَّ شرعاً اعتقاداً أو قولاً أو عملاً .

يعني أن الغلو قد يكون في الأقوال وقد يكون في الأعمال وقد يكونُ في العقائد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الغلوُّ هو مجاوزة الحدُّ بأن يُزاد في الشيء في ذمه أو مدحه على ما يستحقه .).

الصالحون :جمع صالح ،والصالح : هو من أقام ظاهره وباطنه على وِفق الشرع ،أو هم من صلحت قلوبهم وجوارحهم بالإيمان والعمل الصالح وهم الذين قاموا بحق الله وحق رسوله ﷺ وحق عباده ،فهم المتصّفون بالصلاح وهو التزام الطاعة ، ويدخل في قوله (الصالحين) الأنبياء ، وهم ذروة الصالحين ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيِّه يوسف : ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١، وقال الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ التحريم: ٩-١٠ ، والصلاحُ لا يحصلُ للإنسان بالتوارث إنما يحصل الصلاح وتحصل الوَلايةُ بالإيمان والعمل الصالح والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ

﴿٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٩، أما إن تخلَّف الإنسان عن الإيمان وعن التوحيد فإنه لا يكون صالحاً ولذلك فلا بد أن نجزم أنّ كل من كان على الشرك فليس له في الصلاح من حظٍ ولا نصيب ، لأنه أخل بالشرط الأول من شروط الصلاح الذي هو الإيمان قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ... ﴾ ، ومن كان فاسقاً ماجناً يترك الصلاة ويترك الصوم في نهار رمضان ولا يصلي مع المسلمين في المساجد بدعوى أنه يصلي في مكة فهذا أيضاً ليس له في الصلاح من حظٍ ولا نصيب ،ومما يبين السبيل إلى الصلاح حديث الولي : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) ، الحديث ، رواه البخاري ،فهذا صار ولياً بسبب تقربه إلى الله بما أفترضه عليه وبمداومته على أداء النوافل .

قال : { لما غلو في الصالحين } ،إذن سبب الشرك هو الغلوُّ في الصالحين ، ولذلك بوّب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد **(باب ما جاء أن سبب كفر بني إسرائيل كفر بني ادم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين)** ، ولا يزال الناس في أزمنتنا هذه يشركون بالله بسبب الغلو ،

بل إن الناس في هذه الأزمنة غَلو في الفسقة والفجرة وفيمن يتمرّد على شريعة الله .

فالغلو : هو مجاوزة الحد ، فما من أحد إلا وله حد ، فالصالح حدّهُ أنه عبدٌ مطيعٌ لله مربوب له ، ليس له من خصائص الألوهية ولا من خصائص الربوبية من شيء ولا يشارك الله في شيء من اسمائه ولا في شيء من صفاته ، بل هو عبد مربوب مطيع لله فمن رفع الصالح فوق حدّه بأن جعل له شيئاً من أفعال الله أو أوصافه كأن يعتقد أن الصالح أو الولي يعلم الغيب ،أو أن الولي يسمع السمع المطلق ، أو أنه يعلم ما يحدث الناس به أنفسهم ، أو أن الولي يخلق أو أنه يهب الذرية ، أو أن الولي يُنزلُ المطر ، أو أنه يفرج الكروب ، ، أو أن الولي يُدعى أو يُستغاث به ،ويُستعان به ويُحلف به هذا كله من الغلو ، فأصل الشرك إنما هو بسبب الغلو في الصالحين ، فهذا هو سبب الشرك فإذا عرف الإنسان أسباب الشرك ووسائله وذرائعه فإن الواجب عليه أن يجتنبها ومنها وأعظمها وأشدها خطرا وأكثرها انتشارا الغلو في الصالحين ، ومن صور الغلو في الصالحين أن يُبنى على قبورهم وأن تُسرج هذه القبور وتُنار وتُقْصَد بالزيارة ، وأن تُقصد للعبادة ،وأن يُطلَب من أصحابها ما لا يُطلب إلا من الله هذا كله من صور الغلو في الصالحين ، ومنه ما هو شرك ومنه ما هو وسيلة من وسائل الشرك بالله ، كالطواف بقبر الصالح أو الأخذ من

التراب الذي في القبر أو من التراب الذي حوله يستشفون به أو أن يُذبح عند القبور هذا كله من الغلو في الصالحين .

قوله : {وُد ـ وسواع ـ ويغوث ـ ويعوق ـ ونسراً }:

جاء عند البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (هذه اسماء رجال صالحين) الحديث ، وهذا فيه دليل على ان الأصل في الإنسان التوحيد ، وأن التوحيد أصيل ، وأن الشرك طارئ ودخيل .

قال : { فأوحى الشيطان إلى قومهم } ، كما جاء في الحديث : (إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين)، هذا مبدأ مجيئ الشيطان ، الشياطين أتت لما مات هؤلاء الصالحون من قوم نوح جاء الشيطان فأوحى إليهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها انصاباً ، يعني أصناماً ، فصوروا صنم على صورة (وُد ـ وسواع ـ ويغوث ـ ويعوق ـ ونسراً) ، والمراد من ذلك أن يتذكر الناس اجتهادهم في عبادة الله عز وجل فيجتهدوا في عبادة الله كما اجتهد أولئك .

قال : { **لما نُسي العلم عُبدوا** } : وهذا دليل على أن العلم إذا فُقِد حل الشرك بالله سبحانه فلما نُسي العلم أتى الشيطان إلي هؤلاء وأوحى إليهم أنَ آباءكم كانوا يعبدون هؤلاء ويجعلونهم واسطة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى وهذا هو الغلو في الصالحين ، فغلو فيهم وعبدوهم وقد كان مبدأ أمرهم تصوير هذه الصور فبهذه الوسيلة من وسائل الشرك بالله سبحانه وتعالى بدأوا ثم

آل أمرهم إلى عبادتهم ، و تجدون الآن أن الناس يصورون صوراً لأناس يزعمون أنهم أولياء ، تأتي إلى بعض البيوت تسألهم من هؤلاء؟ فيقولون هذا الولي فلان ، وهذا الولي فلان ، وتأتي إلى الناس في متاجرهم فتجد أنهم يعلقون صوراً فإن سألت من هذا؟ فيقولون هذا الولي فلان ، فلماذا يعلقون هذه الصور ؟ .

يعلقونها لأن بعضهم يعتقد أن صورة هذا الولي تحفظ المكان وأهله ، وبعضهم يعتقد أن الصور هذه تجلب الأرزاق وهذا من الشرك بالله فأفتتن الناس بفتنتين فتنة الصور وفتنة القبور .

قال : { وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالين }

وآخر الرسل هو النبي ﷺ دلّ على هذا القرآن والسنة قال الله ﷻ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠، وجاء عن ثوبان رضي الله عنه : (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)، فآخر الرسل هو نبينا محمد ﷺ .

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله:

وكلُ مَن مِن بعده قد ادعى ... نبوةً فكاذبٌ فيما ادعى
فهو ختامُ الرسلِ باتفاقِ ... وأفضلُ الخلقِ على الإطلاقِ

قال الشيخ : { وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالين } ، وهذا يدلك على خطورة الشرك ، وأن الشرك إذا دخل في القلوب وتمكن منها صعُبَ زواله كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ : (فانظر إلى أصنام عُبدت في زمن أول رسول ما حطمها إلا آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم) ، فقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : (دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء : ٨١] ، ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سبأ : ٤٩] رواه مسلم ، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم جاء ليكسر هذه الأصنام ويحارب الشرك بالله سبحانه وتعالى كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رُمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم منهم) رواه أحمد ، وجاء في صحيح مسلم من حديث عمرو بن عبسة أنه قال للنبيُّ صلى الله عليه وسلم : { ما أنت ؟ قال : { أنا نبي } ، فقلت وما نبي ؟ قال : { أرسلني الله } ، فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟ قال : (أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء) } ، هذا الذي بعث الله جل وعلا به رسوله فقد بعثه بكسر الأوثان.

والأوثان : جمعُ وثن ، وهو ما عُبدَ من دون الله عزو جل سواءً كان على صورة أو على غير صورة ، فلما جاء النبي ﷺ بدأ بإزالة معالم الشرك ، وهذا مبدأ الإصلاح فمن وُفِّقَ من حكام المسلمين وولاّةُ الله جل وعلا أمرَ بلدٍ فإن الواجب عليه أن يبدأ أولاً بإزالة معالم الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قبل كل شيء ، فيُزيل هذه القباب والأضرحة والمشاهد والمزارات ، كذلك يعمد إلى الكهنة و إلى السحرة فيُقيم فيهم حدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ الحج: ٤١،فمن وُفِّقَ فإنه يقيم الشعائر ويُعلي كلمة الله ويُظهر الشعائر ويمحو الباطل ويُزيل معالم الشرك بالله فهذه هي طريقة النبي ﷺ في الإصلاح فإنه بدأ يوم فتح مكة بإزالة معالم الشرك فحطم الأصنام التي حول الكعبة .

فالغلو كما قال ابن فارس (الغين واللام والحرف المعتلْ) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ ومجاوزةِ قدرٍ أو حدٍ ، أو هو مجاوزة ما حُدَّ شرعاً اعتقاداً أو قولاً أو عملاً ، يعني أن الغلو قد يكون في الأقوال وقد يكون في الأعمال وقد يكونُ في العقائد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الغلوُّ هو مجاوزة الحدُّ بأن يُزاد في الشيء في ذمه أو مدحه على ما يستحقه .) ، فالغلو في الصالحين يكون برفع الصالح فوق منزلته بأن تجعل له ما لله من الأفعال ، كأن يعتقد الانسان

بأن الولي يخلق ، وأن الولي يرزق وأن الولي يشفي الأمراض ، وأن الولي يكشف الكروب ، وأن الولي يعلم الغيب ، وأن الولي يسمع السمع المطلق ، ويُبصر البصر المطلق ، وأن يعتقد أن الولي يستحق العبادة أو شيئاً منها فيصرف العبادة أو شيئاً منها للولي ، هذه كلها من صور الغلو في الصالحين .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : { أرسله الله إلى أُناسٍ يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ، مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناسٍ غيرهم من الصالحين .} .

قوله : { أرسله } الضمير هنا راجعٌ إلى النبي ﷺ .

قوله : { **إلى أناس يتعبدون** }: هذا فيه بيان ما كان عليه المشركون من جهة العمل

قوله : { **ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً** } : عطف هذا على قوله (يتعبدون) ، من باب عطف الخاص على العام، قوله : (ويتعّبدون) هذا عام ، ومراده رحمه الله أن المشركين الذين بُعِثَ فيهم الرسول ﷺ كانوا يتقربون إلى الله جل وعلا بأنواعٍ من العبادات ، والكثير من الناس يظن أن المشركين الذين بُعِثَ فيهم رسول الله ﷺ ما كانوا يؤمنون بوجود الله عَزَّ وَجَلَّ ولا أنه الخالق الرازق المدبّر ، وهذا من الخطأ ومن الخلل في الاعتقاد ، فإن المشركين الذين بُعِثَ فيهم الرسول ﷺ كانوا يؤمنون بوجوده وأنه

الخالق المالك المدبر بل ويتقربون إليه جل وعلا بأنواعٍ من العبادات ،كما سيأتينا الكلام على الحال التي كانوا عليها من جهة الاعتقاد ، فكونهم يعبدون الله تعالى هذا دليل أنهم كانوا يعتقدون وجوده ، ويعتقدون أنه الخالق ، وأنه الإله الأعظم هذه عقيدتهم ولذلك قال : (أرسلهم إلى قوم يتعبدون) ، والدليل على هذا ما جاء في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : { قلتُ : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ } ، (أتحنّث) : يعني أتعبّد ، قال : { قلتُ : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْت أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ أَفِيهَا أَجْرٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَسْلَمْت عَلَى مَا أَسْلَفْت مِنْ خَيْرٍ. } ، فحكيم بن حزام رضي الله عنه كان يعبد الله جل وعلا بصلة الأرحام ، وعِتق الرقاب ، والصدقة ، وكان يفعل ذلك وهو في الجاهلية ،فسأل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله هل يأجرني الله على هذا العمل ؟ فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم :{ أسلمت على ما أسلفت من خير }، وهذا فيه دليل على أن الله جل وعلا يُثيب الكافر على الأعمال التي تقرّب بها إليه إذا دخل في الإسلام ، وأما إذا لم يُسلِم فإن الله جل وعلا ، يُجازيه بها في الدنيا بالمأكل والمشرب والملبس وغير ذلك فإن الله جل وعلا لا يظلم الناس شيئاً كما جاء في حديث أنس في صحيح مسلم أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله لا يظلم مؤمناً حسنته ، يعطى بها في الدنيا) ، وفي رواية : (يثاب عليها الرزق في الدنيا) ويجزى

بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بها بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها) ، فالكافر يُطعم من الدنيا بحسنات ما عمل حتى فإذا أتى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها .

وكان المشركون يحبون الله ولكنهم أشركوا غير الله بالله في المحبة قال الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...ۗ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥ ،وإنما كفروا بالله لأنهم أشركوا غير الله بالله في المحبة ، وهذا دليل على أنهم كانوا يؤمنون به وبوجوده وأنه الإله الأعظم الذي يجبُ أن يُعبد ، فالمشركون ما أنكروا أن الله يُعبد وإنما أنكروا أن يُفرد بالعبادة ، فكانوا يحبون الله ويُعبدونه بأنواعٍ من العبادة .

قوله : (ويحجّون): فقد كان الكفار يحجون والدليل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ... ﴿٢٨﴾ ﴾ التوبة: ٢٨، قوله : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ... ﴾ ،هذا دليلٌ على أنهم كانوا يأتون المسجد الحرام ، وكانوا يطوفون به تعبداً لله ويحجون كما جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : { كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك ، قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ويلكم قد قد) فيقولون : إلا شريكاً هو لك

تملكه وما ملك ؛ يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت } رواه مسلم ، فقوله :(قد قد) يعني حسبكم اقتصروا على هذا ولا تزيدوا عليه ، إذاً كانوا يطوفون بالبيت تعبداً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وهذا الحديث فيه دليل على أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، وأنه الإله الأكبر وأن ما يجعلونه من آلهة مع الله مملوكة له جل وعلا يملكها ويملك ما تملك لقولهم : (إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) .

ويشهد لهذا أن أبابكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحجة التي أمرّهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (بعثني أبوبكر فيمن يؤذن في الناس بأربع كلمات منها : « لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان »،الحديث ، وكانوا من تعظيمهم لله عَزَّ وَجَلَّ أنهم إذا جاءوا البيت يقولون هذه الثياب قد عصينا الله تبارك وتعالى فيها فيطلبون من أهل مكة أن يُعيروهم شيئاً من الثياب ليلبسوها لأنهم يعتقدون أن ثياب أهل الحرم طاهرة لأنهم لا يعصون الله عَزَّ وَجَلَّ في تلك المواطن ، أما غيرهم فإنهم يعصون الله ، فإن وجد المشرك من يُعيره ثوباً خلع ثيابه ولبس الثياب التي استعارها ، وإن لم يجد خلع ثيابه وطاف بالبيت وهو عريان ، حتى النساء ، وكانت الواحدة منهن تطلب ثيابا، فإذا لم تجد نزعت ثيابها وطافت عريانة، وتضع يدها على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله *** وما بدا منه فلا أحله

فنزل قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ... ﴿٣١﴾ ﴾ الأعراف: ٣١، تطوف بالبيت وهي عُريانة تعظيماً لله سبحانه وتعالى ، ويشهد لهذا أيضا ما ثبت في صحيح مسلم من عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ ؟ قَالَ : لاَ يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)، وابن جدعان هذا كانت له جفنة ـ كما ذكر ذلك النووي في شرح مسلم ـ يرقى إليها بالسلم وهذا يدلك على عظيم ما كانوا عليه من الكرم ، وكذلك كانوا يكرمون الحجيج ويتفاخرون بذلك ويقولون نحن الذين نطعم الحجيج ونحن الذين عمرّنا البيت ونحن الذين نسقي الحجاج فقال الله جل وعلا : ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ التوبة: ١٩، وكم كانت لهم من عبادات فقد كانوا يعبدون الله بالصوم كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها : (أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية)، كما كانوا يعبدون الله بالنذر كما جاء في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه : (إني

نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام وقد جاء الله بالاسلام فقال أوف بنذرك) ، وجاء في مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشام بن العاص نحر حصَّته خمسين بدنة، وأن عَمْراً سأل النبي ﷺ عن ذلك؟ فقال: أمّا أبوك، فلو كان أقر بالتوحيد فصُمْتَ وتصدقتَ عنه نفعه ذلك) إهـ. كما كانوا يدعون الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٥ ، وقال تعالى : ﴿ ...حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس: ٢٢، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ الإسراء: ٦٧ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأنعام: ٤٠

، فالأمر فكما قال الشيخ : { أتى إلي قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً } .

قوله : { ويذكرون الله كثيراً} : يعني أنهم يذكرونه عند الشدائد فيدعونه سبحانه كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأنعام: ٤٠ ، وهذا حاصل ، أو يكون معنى قوله : { ويذكرون الله كثيراً} : أي يتعبدون لله جل وعلا في بشيءٍ من الأذكار والدليل وهذا حاصل منهم أيضا ودليله تلبيتهم (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك) يقولون هذا وهم يطوفون ببيت الله سبحانه وتعالى ، هذا مع إيمانهم بأنه سبحانه هو الخالق الرازق والمدبّر .

بيان شرك الأولين :

وهنا سؤال : ما هي جريمتهم التي سموا بسببها بالمشركين ؟ .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله عَزَّوَجَلَّ ، يقولون : نريدُ منهم التقرب إلى الله تعالى ، ونريدُ شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناسٍ غيرهم من الصالحين . } .

هذه هي جريمتهم ،عبادة الوسائط مع الله طلبا لشفاعتهم وللقرب من الله ، وإنما وقعوا في ذلك لظنهم أن شركهم هذا إنما هو تعظيم لله، فكانوا يقولون إن الله جل وعلا أجلُّ وأعظم من أن يُتقّرب إليه بدون واسطة ، فنحن في الدنيا لا نصلُ إلى الملوك إلا بواسطة فكيف بملك الملوك ؟ فالشيطان زيّن لهم الشرك ووضعه لهم في قالب تعظيم الله .

فالمشركون قالوا إن الله أجل وأعظم من أن نصل إليه بدون وسائط ، فلا بدّ لنا من وسائط تُعبد حتى نصل إلى الإله الأعظم ، لا بد لنا من آلهة صغيرة لنصل بها إلى الإله الأعظم .

ومن جعل لله وسائط أو جعل بينه وبين الله وسائط بهذا المعنى فقد وقع في هوة الشرك و الكفر فهذا ما كان عليه المشركون من جهة الاعتقاد فالله جل وعلا لا يُوصلُ إليه عندهم إلا بواسطةٍ تُعبد ، ومن ثم أخذوا يعبدون هذه الوسائط ليصلوا بها إلى الله سبحانه وتعالى ولتشفع لهم عنده

.

قوله : { ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ﷻ ؛ يقولون : نريدُ منهم التقرب إلى الله تعالى ، ونريدُ شفاعتهم عنده } .

هذا اعتقادهم وفعلهم ، والله جل وعلا سماه شركاً فقال تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾ يونس: ١٨ ،قال الله ﷻ : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فإن سئلوا لماذا عبدتم هؤلاء ؟ قالوا : (هؤلاءِ شفعاؤنا عند الله)، قال الله ﷻ :﴿ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾ يونس: ١٨ ،فسمى الله جل وعلا اتخاذهم الشفعاء الذين يعبدونهم شركاً ،وفي سورة الزمر قال الله جل وعلا : ﴿ ... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ الزمر: ٣، فالله جل وعلا سماهم كَذَبة لأنهم قالوا إن الله جل وعلا لا يُوصلُ إليه إلا بواسطة تُعبد، وسماهم كفَرة لأنهم عبدوا هذه الوسائط ، هذه مصيبتهم أنهم جعلوا هذه الوسائط شركاء لله في عبادته فكانوا بهذا

مشركين ، ما عبدوا الله وحده بل عبدوا الله وعبدوا الصالحين معه وهذا هو غلوهم في الصالحين .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **{ مثل الملائكة وعيسى ، ومريم ، وأناسٍ غيرهم من الصالحين .}.**

الصالحين يدخل فيهم الملائكة ويدخل فيهم الأنبياء والرسل ، وكل من آمن وعمل صالحاً .

وبهذا نكون قد عرفنا الحال التي كان عليها المشركون من جهة العمل ، فقد كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره ، فهذا دينهم فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى إفراد الله بالعبادة .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : **{فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ؛ لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرِهما.}**

لما وصلوا إلى الحال التي وصل إليها قوم نوح ، في الغلو في الصالحين بأن جعلوهم وسائط تعبد فدعوهم وحلفوا بهم وتوكلوا عليهم يريدون بذلك القرب من الله ويريدون منهم أن يشفعوا لهم عند الله عَزَّ وَجَلَّ فحصل منهم الشرك بالله ، فأرسل الله إليهم محمداً ﷺ .

قوله : { **يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم** }، وهذا فيه بيان الغاية من بِعثة محمد ﷺ ، فالنبيُّ ﷺ إنما بُعِثَ ليُجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ،وشأنهُ في

ذلك شأنُ الأنبياء ، فالأنبياء بُعِثوا لدعوة الناس إلى إفرادِ الله جل وعلا بالعبادة كما قال الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦ ، وقال النبي ﷺ : {بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له } ، وفي صحيح مسلم لما قال عمرو بن عبسة للنبي ﷺ: { ما أنت ؟ قال : أنا نبي ، قال وما نبي ؟ قال : { أرسلني الله } ، قال: وبأي شيء أرسلك ؟ قال : { أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء }، هذه هي بعثته ﷺ .

قال : { فبعثت الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم }

التجديد لغة : مصدر جدّد يجدد تجديداً ، وجدد الشيء صيّره أو جعله جديداً ، أو هو إعادة الشيء حالته الأولى.

والتجديد شرعاً: هو إبرازُ وإظهار ما كان عليه النبيُّ ﷺ والصحابةُ والتابعون من العلم والاعتقاد والقول والعمل .

أو هو : إعادة الناس إلى ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه والتابعون من العلم والاعتقاد والقول والعمل فقد قال النبي ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبوداود عن أبي هريرة ، فهذا هو التجديد في خطاب الشرع وعند العلماء .

وأما عند المبتدعة والحداثيين فالتجديد عندهم : هو استبدال عقائد الإسلام وأحكامهِ بغيرها ، وتطويع أحكام الدين لتتوافق مع العصر وتواكبه ، هذا هو التجديد الذي كان يدعو إليه الترابي وغيره من المُحْدِثين .

قال : { **يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم** } : فالمشركون في زمان النبي ﷺ كانوا يقولون نحن على دين إبراهيم ، وكذا اليهود وكذلك النصارى ، وكل فرقة منهم تزعم أنها كانت على دينه وعلى ملته وقد برأه الله جل وعلا منهم جميعاً قال تعالى :﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧ ، فما كان من اليهود ولا كان من النصارى ولا كان من المشركين ، فهذه الملل جميعاً خالفت إبراهيم عليه السلام في ملته ، ما ملته ؟ هي الحنيفية ، فاليهود كانوا يعبدون غير الله كما قال الله جل وعلا عنهم :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴿٣١﴾ ﴾ التوبة: ٣١ ، فعبدوا عزيراً وعبدوا غيره ، والنصارى عبدوا عيسى عليه السلام وعبدوا أمه ، وعبدوا الأحبار والرهبان ، كذلك والمشركون عبدوا اللات والعُزَى ومناة وهُبل وغيرها ، فكلهم خالفوا ملة إبراهيم عليه السلام فكيف يكونون على ملته ولذا قال :﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧، فجاء النبيُّ ﷺ لإعادة الناس إلى الحنيفية التي هي ملة إبراهيم ودينه قال الله جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ الأنعام: ١٦١، ما ملته؟ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢، فجاء ليُبيِّن لهم أن العبادةَ حقُّ الله سبحانه وتعالى وأنه لا يجوز لأحد أن يعبد سوى الله سبحانه وتعالى، هذه هي ملة إبراهيم، قال الله عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الزخرف: ٢٦ – ٢٧، هذه هي ملته، أن يبرأ الإنسان من عبادة كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى وأن يتوجه بالعبادة كلها لواحدٍ وهو الله عز وجل، ولن يكون الإنسان على ملة إبراهيم ولن يكون على الحنيفية حتى يستقيم على هذا، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الزخرف: ٢٦ – ٢٧، ف(مما) أصلها (من ما) و (ما) موصولة بمعنى الذي تفيد العموم، فهذه براءة من عبادة كل معبود، وقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، فأبان أن الذي يستحق العبادة هو الذي خلق من العدم، وهذه قاعدة عظيمة من قواعد التوحيد، وهي أن الخالق هو الذي يستحق أن يُعبد، وأما المخلوق فلا يستحق العبادة ولا شيئاً منها قال الله

عزّ وجلّ ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴿٤﴾ ﴾ الممتحنة: ٤، والكفر هنا بمعنى البراءة ﴿ كَفَرۡنَا بِكُمۡ ﴾ أي تبرأنا منكم حتى توحدوا الله بعبادته وحده لا شريك له ، فلا يكون الإنسان على ملة إبراهيم إلا بالبراءة من عبادة كل معبود سوى الله عزّ وجلّ ، وأن يبغض عبادة غير الله ويبغض أهلها

قال الله عزّ وجلّ ﴿ ...قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنعام: ٧٨ – ٧٩ .

والحنيف هو: المقبل على الله المعرض عما سواه ، أو هو : المعرض عن الشرك قصدًا للتوحيد ، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم جاء ليعيد الناس إلى ملة إبراهيم بأمرهم بعبادة الله وحده وينهيهم عن الشرك بالله .

قال : { فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم } .

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أَصبَحْنَا على فِطرةِ الإِسلامِ ، وعلى كلمة الإِخلاص ، وعلى دِين نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملَّةِ أَبِينَا إِبراهيمَ حَنيفًا مُسلمًا ، وما كَانَ مِنَ الْمُشرِكينَ » ، فجعل هذا من الأذكار التي يذكر بها العبد ربه سبحانه وتعالى في صباحه ومسائه معلناً بذلك أنه على ملة إبراهيم التي

هي فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي كلمة الإخلاص لا إله إلا الله وهي والبراءة من الشرك ، وهي دين نبينا محمد ﷺ .

قال : { ويُخبرهُم أن هذا التقرب والاعتقاد محضُ حق الله تعالى ؛ لا يصلح منه شيء لغير الله ، لا لَملكٍ مقرب ولا لنبي مُرسلٍ فضلاً عن غيرِهما . }

المراد في قوله (أن هذا التقرب) ، يعني : التقرّب إلى الله بعبادة الصالحين من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن وغيرهم فهذا التقرب أي هذه العبادة التي جُعلت وصُرِفت للوسطاء والشفعاء هذه العبادة حق الله عَزَّوَجَلَّ والواجب على العباد أن يتقرّبوا بها إلى الله لا لغيره .

قوله : { والاعتقادُ } : الاعتقاد يريد به اعتقاد أن أحداً غير الله تجوز عبادته ، فالاعتقاد الحق هو أن العبادة لا تجوز إلا لواحد وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فمن اعتقد أن العبادة أو شيئاً منها يصلح أن يكون لغير الله عَزَّوَجَلَّ فهذا يكون قد اعتقد اعتقاداً باطلاً ، فالعبادة حقُّ الله ، والذي يستحقُّ العبادة واحد هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قال : { ويُخبرهُم أن هذا التقرب والاعتقاد محضُ حق الله تعالى ؛ لا يصلح منه شيء لغير الله } ، لا يصلح أن نعتقد أن غير الله يجوز أن يُعبد ، ولا يصلح كذلك أن تُصرف العبادة أو شيئاً منها لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قال : { لا لَملكٍ مقرب ولا لنبي مُرسلٍ فضلاً عن غيرِهما .} ، فلا يجوز للناس أن يعبدوا الأنبياء ، ولا أن يعبدوا الملائكة فضلا عمن دونهم قال الله ﷻ :﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩ ، فقد بيّن الله جل وعلا أنه ما أرسل رسولاً وما أنزل على رسولٍ كتاباً فجاء هذا الرسول فدعا أمته لعبادة نفسه هذا لم يحصل أبدًا قال الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ...﴿٧٩﴾ ﴾ الآية ، وإنما يقول : ﴿ ...وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ، ﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ ، قال العلماء : اعتصموا بالربِّ سبحانه وتعالى وتعلقوا به واعبدوه وِحده سبحانه وتعالى ، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ...﴿٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ٨٠، فلا يوجد نبي دعا الناسَ إلى عبادة نفسه ، ولا يدعوهم كذلك إلى عبادة غيره من الملائكة والنبيين ، وإنما يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

قال : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ...﴿٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ٨٠، قوله : (أربابا) يعني : معبودين ، ﴿ ...أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ

بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ٨٠، وهذه الآية دليلٌ على أن الأنبياء لو دعوا الناس إلى عبادة أنفسهم أو إلى عبادة غيرهم من الأنبياء أو الملائكة فضلا عمن سواهم لكانوا قد دعوهم إلى الكفر بنصِّ هذه الآية ، ﴿ ...أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ، إذًا كل من توجه بالعبادة لنبيٍّ مرسلٍ أو لملكٍ مقرّبٍ فهو كافر ، فكيف بمن توجّه بالعبادة لمن هودون الملائكة والنبيين ، وكيف بمن توّجه بالعبادةِ إلى أهل الشرك وأصحاب العقائد الفاسدة وأصحاب الكبائر والمعاصي الذين يرى ويُشاهَد فسقهم وتمردهم على شريعة الله ﷻ ويُشاهَد تعطيلهم للصلوات وتعطيلهم للفرائض من الصيام ومن الحج ببيت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، الذين غيروا حج بيت الله بحجِّ المشاهد والقباب ، فلا شك ولا ريب في كفر من جعل العبادة لهؤلاء .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { ويُخبِرهُم أن هذا التقرب والاعتقاد محضُ حق الله تعالى } .

والمحضُ : هو الخالصُ.

فالعبادة حق مخصوص بالله ، كما جاء في الصحيحين من حديث معاذ أن النبيَّ ﷺ قال له : { يَا مُعَاذُ ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهَّ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهَّ ؟ قُلْتُ : اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّ حَقَّ اللهَّ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ

يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا} ، فهذا حق الله ، فهل جعل الله هذا الحق للأنبياء ؟ لا ، وما جعله كذلك للأولياء ولا لغيرهم ، قال : {حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} .

يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في النونية :

لله حق لا يكون لغيره ... ولعبده حق هما حقان

لا تجعلوا الحقين حقا واحدا ... من غير تمييز ولا فرقان

فحق الله جل وعلا أن يُعبد وحده ، وحق الرسول ﷺ أن يُصدّقْ و يُتبعْ ، والله جل وعلا جعل لكل شيء قدرا ، فلا يجوز للإنسان أن يغلو وأن يتجاوز ما حُدَّ له شرعاً ، فالعبادة حقُّ الله عَزَّ وَجَلَّ .

قال : { لا يصلح منه شيء لغير الله ، لا لَملكٍ مقرب ولا لنبي مُرسلٍ فضلاً عن غيرِهما .} ، إذا كان الله جل وعلا أبطل عبادة الملائكة وأبطل عبادة النبيين ، فبطلان عبادة غيرهم من باب أولى .

بيان أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية

قال الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ : {وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له ، وانه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيهن ، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره . }

الشرح :

بين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في المقدمة حال المشركين من جهة العمل ، وهنا يُبيّنُ رَحِمَهُ اللَّهُ حالهم من جهة الاعتقاد .

قوله : {وإلا فهؤلاء المشركون} ، مراده هنا أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما بعث ليجدد للمشركين دين أبيهم إبراهيم ، أي : ليدعوهم إلى توحيد الألوهية ، وإلى تركِ الشرك في الألوهية ، فما جاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى إفراد الله بالخلق والرزق والملك والتدبير ، وغيرها من أفراد الربوبية لأنهم كانوا يقرّون بهذا .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : {وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له ، وانه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو .}

وهذه كلها من أفراد الربوبية ، فالله جل وعلا هو المنفردُ بالخلق وحده ولم يشاركه في ذلك احدٌ لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ، وهو المنفردُ برزقِ

الخلق وحده لا يشاركه في ذلك احدٌ لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا وليٌّ صالح ، فلا يرزق الخلق إلا الله وحده ، كذلك هو المنفردُ بالإحياء والإماتة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، و هو المنفردُ بتدبير أمور الناسِ كلها لا يشاركه في ذلك أحدٌ من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { وأن جميع السموات السبع ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيهن ، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره . } .

يعني أنه المالكُ والخالقُ للسموات وللأرضين ، وهو المالك لمن فيهنّ لا يشاركه في ذلك أحدٌ ، وأن جميع من في السموات من الملائكة وغيرهم وجميع من في الأرض من الجنِّ والإنس وغيرهم كلهم عبيدٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وتحت تصرّفه فهو يتصرّف فيهم وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فينقلهم من حالٍ إلى حال ، يُفقر غنيا ويُغني فقيرا ، ويشفي مريضاً ويَفُكَّ أسيراً ويرد غائبا ويجبر كسيرًا ، ويرزق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما شاء بما شاء إلى غير ذلك من أنواع التدبير .

فالمشركون كانوا يعتقدون أن هذا لله وحده ، وما كانوا يجعلون له شريكاً في شيءٍ من أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

بيان الأدلة على إقرار الكفار بتوحيد الربوبية

قال الشيخ رحمه الله : {فإذا أرادتَ الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فأقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ يونس: ٣١. وقوله : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤ – ٨٩ وغير ذلك من الآيات .}

الشرح :

وكأن الشيخ يقول أنا ادعّيتُ دعوى وأنا مطالبٌ بإقامة البيّنة والحجة عليها ،فإن قال قائل : ما الدليل على أن المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبيُّ ﷺ يشهدون أن الله هو الخالق الرازق المدبّر المحيي المميت ؟ .

قال الشيخ : { فأقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن

يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ يونس: ٣١.،هذه الآية دليلٌ على أن الله هو الذي يرزق وحدهُ ، فقوله: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ ،من الذي وهبكم هذه الأسماع والأبصار ؟ ، ومن الذي خلقها ؟ومن المالك لها ؟ ومن الذي يتصرف فيها ؟ ، وقال:﴿ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ ؟ وهذه في الإحياء والإماتة ، ثم قال : ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ ﴾ ؟، هذه في التدبير ، و﴿ الأمرُ ﴾ مفرد معّرف يفيد العموم ، يعني : ومن يدبر أمور الناس ؟من يدبر أمر رزقهم وأمر شفائهم ...إلخ .؟ ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ ﴾ ، فهذا هوالدليل على أنهم يجعلون جميع ذلك لله وحده ولا يشركون معه غيره في شيءٍ من ذلك ، قال : ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ ﴾ ،ما قال : سيقولون اللات ،أو سيقولون اللات والله ، ولا قال : سيقولون العُزّى قال : ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ، وقوله جل وعلا :﴿ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ، وهذا احتجاج عليهم بما أقروا به من إفراده جل وعلا بالربوبية على ما جحدوه وأنكروه من إفراده جل وعلا بالألوهية ، وهذا أيضاً من الأدلة التي تدل أنهم كانوا يُقرّون لله جل وعلا بالربوبية ، فمن أساليب القرآن وطرقِه في محا ججتهم وفي سوقهم إلى الحق أن يحتج عليهم بما أقروا به ، وهم مقرون لله جل وعلا بربوبيته ولكن جعلوا له شركاء في الألوهية ،

فالله جل وعلا احتج عليهم بما أقروا به من إفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالربوبية على ما جحدوه وأنكروه من إفراده بالألوهية ، وهذا الإلزام قد ذكره الله جل وعلا في مواضع كثيرة من القرآن ، وهو من الأدلة الدالة على أنهم كانوا يقرون لله جل وعلا بالربوبية.

قوله :﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ،قال العلماء : يعني أفلا تتقون الله جل وعلا فتوحدونه في إلاهيته كما وحدتموه في ربوبيته؟ أو أفلا تتقون الشرك في ألوهيته كما اتقيتم الشرك في ربوبيته ؟ والآية دليل واضح على أنهم يشهدون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر للأمر .

وقوله : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ، هذه في إقرارهم لله بالملك ، فالله جل وعلا هو المالك للأرض ولمن فيها والأنبياء والأولياء والصالحون كلهم من عمار الأرض ، فالله جل وعلا يملك الأرض ويملك من فيها ، فكل من في الأرض مملوك والمملوك لا يستحقُّ أن يُعبد ، فالذي يستحق أن يُعبد هو المالك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ :﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، يعني : أفلا تتذكرون هذا فتستدلون به على وجوب إفراده بالألوهية ؟ فإن كان الله جل وعلا هو المالك للأرض ولمن فيها فالأرض ومن فيها كلهم مملوكون والمملوك لا يستحقُّ أن يُعبد ، الذي يستحق أن يُعبد هو

المالك سبحانه وتعالى ، قال : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ، قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ،أفلا تتقون الشرك في العبادة وأنتم تعلمون أنه ربُّ السموات ، الخالق المالك لهن ، وأنه رب العرش الخالق و المالك له ، قال : ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وهذا فيه أن الله جل وعلا هو المالكُ لكل شيءٍ وأن كل من سوى الله سبحانه وتعالى مملوكٌ مربوب ، قوله :﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، فالله جل وعلا هو المانع والحامي والعاصمُ لغيره سبحانه وتعالى وليس هناك أحدٌ يمنعُ أحداً من الله سبحانه وتعالى وهذا فيه بيان أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتصرّفُ في عباده جلبًا للمنافع ودفعًا للمضار وليس هناك من يحولُ بين الله وبين خلقه فيدفعُ عنهم منفعةً ومصلحة أراد الله جل وعلا إيصالها لهم ، أو يدفعُ ضراً أو سوءً أراداه الله جل وعلا أن يوصله لهم كما قال الله جل وعلا :﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ الفتح:١١، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ الأحزاب: ١٧، قوله : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾، وهذا مضارعٌ يدلُّ على أن النفيَّ مستمرٌ ، قال

:﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾،﴿ تُسۡحَرُونَ ﴾ أي تُخدعون وتُصرفون عن عبادة من هذه صفته إلى عبادة من لا يملكُ شيئاً فهؤلاء لا عقول لهم نافعة وإلا فكيف يجعلون المخلوق مساوياً للخالق ومستحقاً لما يستحقه الخالقُ فالذي لا يملكُ شيئاً ولم يخلق شيئاً ، ولا شِركة له في شيءٍ مع الله عَزَّ وَجَلَّ هل هذا يستحق أن يكون شريكاً للمالك لكل شيءٍ والخالق لكل شيءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، هذا لا يصح إلا عند من سُلِب العقل النافع كما قال الله جل وعلا عن الكفار : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ ﴾ الملك: ١٠ – ١١.

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: { وغير ذلك من الآيات }، و(قولَه) بفتح اللام : عطفاً على قولهِ : (إقرأ)، فـ(الواو) عاطفة على نية تكرار العامل ،(إقرأ).

وقوله :(وغيرَ) كذلك هذه معطوفة على نية تكرار العامل ، والتقدير :واقرأ غيرَ ذلك من الآيات التي جاءت في القرآن تدلُّ على أن المشركين كانوا يقرون لله جل وعلا بالربوبية .

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قال : { وغير ذلك من الآيات }، يريدُ أن يُبيّن لك أن الأدلة كثيرة في تقرير هذا ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ

لِلَّهِ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٣، و قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الزخرف: ٨٧ ، و قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبوت: ٦١، و قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فاطر: ٣، وهذا السؤال وجّهه النبيُّ ﷺ للمشركين قال الله ﷻ : ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فاطر: ٣ ، فما نسبوا شيئاً من الخلق أوالرزق لغير الله ولذا حتجَّ الله عليهم بما أقروا به قال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فاطر: ٣، فجعل الربوبية دليلاً على إفراده بالإلهية ، والإستفهام هنا استفهام إنكاري متضمّنٌ للنفي ، يعني أن الله جل وعلا يُنكر عليهم إشراكهم في الإلاهية قال : ﴿ ...هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾، (تؤفكون) : يعني تُصرفون عن عبادة الخالق الرازق إلى عبادة من لم يخلق شيئاً ولم يرزق شيئا ، وقال الله تعالى :

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ النمل: ٦٤ ، تأمل كيف أن الله جل وعلا يحتج عليهم بما أقروا به على ما جحدوه وأنكروه ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾، فليس هناك أحدٌ يرزق الخلق شيئاً، فالله جل وعلا حصر وقصر رزق الخلائق على نفسه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات: ٥٨، وهذه جملة معرّفة الطرفين ، أصلها { الله الرزاق} ، { الله} ، مبتدأ { الرزاق} ، خبر ، { الله} ، أعرف المعارف ، { الرزاق} ، معرّف بالألف واللام ، وهذه الجملة فيها حصرٌ وقصرٌ ، وأكدها الله بمؤكدين بـ(إنّ) ، {إن الله } ،وجاء بضمير الفصل (هو) الدال على التوكيد حتى لا يشك أحد ، ولا يرتاب مرتاب في أن الرزق محصورٌ ومقصورٌ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده ولذلك الله جل وعلا قال : ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ الملك: ٢١، يعني :إن أمسك الله رزقه ، فما سمّوا واحداً ، ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ ﴾، عيّنوا لنا واحداً ، يرزقكم إن أمسك الله جل وعلا عنكم الرزق؟ فما عيّنوا واحداً ، فالثابت عندهم أن رزق العباد محصورٌ ومقصورٌ على الله ، وكذلك الخلق قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤، (له) جار ومجرور خبر مقدم ، و(الخلق) مبتدأ

مؤخر ، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والقصر ، فهذا دليلٌ على أن الرزق محصورٌ ومقصورٌ على الله سبحانه وتعالى ، وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ الحجر: ٨٦، أصلها : (ربك الخلاّق) ، فـ(رب) معرف بإضافة الكاف و (الخلاّق) معرّف بالألف واللام فهذه جملة معرّفة الطرفين تفيد الحصر والقصر ، فالآية فيهاحصر وقصر الخلق على الرب ، وأُكد ذلك بمؤكدين قال (إن ربك هو) فالمؤكدان هما : (إنّ) و (هو) ضمير الفصل و(الخلاّق) معرّف بـ(ال)، فهذه جملة معرفة الطرفين تفيد الحصر والقصر ، قال الله جل وعلا : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ النحل: ٧٣ ، فـ(رزقاً) نكرة منفية ، وهذا يدل على أن غير الله جل وعلا لا يملك للناس أيَّ نوعٍ من أنواع الرزق ، قال : ﴿ ... مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا ... ﴾، (شيئاً) نكرة منفية تفيد العموم ، ﴿ ... وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ، فعل مضارع منفي ، هذا يدلُّ على أن عدم استطاعتهم مستمرة ، فسبحان الله مع من أعمى قلوب أعدائه فكيف تعلقت قلوبهم بغير الله سبحانه في أرزاقهم وحوائجهم فهذه كلها اخبار من الله سبحانه وتعالى ، والواجب على الإنسان أن يصدّق الله في خبره ويؤمن بما تضمنته هذه الآية ونظائرها من أن أرزاق الناس وحوائجهم بيده سبحانه

إذاً الشيخ رحمه الله بيّن لك ما كان عليه المشركون من جهةِ الاعتقاد ، فمن جهةِ الاعتقاد كانوا يقرون أن الله جل وعلا هو الخالق وحده ، الرازق وحده ، المالك وحده ، المدبّر وحده ، ومن جهةِ العمل كانوا يعبدون الله جل وعلا بأنواعٍ من العبادات .

قوله : { **الذي يُسميه المشركون في زماننا [الاعتقاد]** }، ولا يزالون يسمونه بهذا في زماننا ، فإن سألت أحدهم عن عقيدته قال لك: أنا عقيدتي في رجال أبي حراز ، وذاك يقول : أنا عقيدتي في الكباشي ، وآخر يقول : أنا عقيدتي في أزرق طيبة، وذاك يقول : أنا عقيدتي في الإزريقاب ، وغير ذلك .

يريدون بهذا أن هؤلاء يصحُّ ويصلحُّ أن يتعلق بهم في جلب المنافع ودفع المضار وأن يدعوا ، أو أن يُحلف بهم ، أو أن يُستعان بهم ،، أو أن يُستغاثُ بهم ،وأن يُنذر لهم ،وأن يُذبح لهم ، وأن يُطاف بقبورهم ، ويُتمسّح بترابهم ، وأن يُطلب منه ما لا يُطلب إلا من الله جل وعلا ، ويقولون لك هؤلاء لهم جاه ومنزلة عندالله عز وجل وهم بابنا إلى الله وهم واسطتنا إلى الله سبحانه وتعالى ،ونحن مذنبون ونحن مقصّرون ، ولا يمكن أن نصل إلى الله جل وعلا إلا أن يشفع لنا هؤلاء عند الله ، وإلا أن يتوسط لنا هؤلاء عنده ، فيسمون جميع ذلك بالإعتقاد ، يقول الواحد منهم : أنا عقيدتي في فلان .

يعني يصح أن يُحلف به ويُستعان به ويُستغاث به لما له من المنزلة والمكانة عندالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، والنتيجة واحدة ، أولئك سموهم آلهة ، وهؤلاء سموهم بالسادة ، أولئك سموها عبادة ، وهؤلاء سموها توسلاً واعتقاداً ، والمؤدى واحد ، والنتيجة واحدة كلٌ يشركون غير الله بالله في العبادة والنتيجة واحدة .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **{ فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا }.**

تحقّق الشيء : إذا ثبت عنده وكان على يقينٍ منه .

فقوله : **{ فإذا تحققت}** ،يعني إذا ثبت عندك هذاوتيّقنت أن المشركين كانوا يقرّون قال : {بهذا} والإشارة هنا إلى توحيد الربوبية .

الإقرار : هو إثباتُ الشيء والاعتراف به .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : **{ فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ ،وعرفتَ أن التوحيدَ الذي جحدوه هو توحيدُ العبادةِ ، الذي يُسميه المشركون في زماننا [الاعتقاد] ،كما كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً } .**

قوله : { ولم يُدخلهم } ،يريد توحيد الربوبية الذي كانوا يؤمنون به فإنه لم يُدخلهم في توحيد الألوهية ، ف (أل) في قوله : (التوحيد) ، للعهد الذهني ، يعني لم يُدخلهم في توحيد الألوهية .

قوله : { الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ } ، فالرسول ﷺ دعاهم إلى إفراد الله جل وعلا بالعبادة الذي هو توحيد الألوهية .

قال : { **وعرفتَ أن التوحيدَ الذي جحدوه هو توحيدُ العبادةِ** } ،و(أل) هنا كذلك للعهد الذهني .

الجحود لغة : ضدُّ الإقرار ، وهو نفيُّ مافي القلب إثباته ، أوإثبات مافي القلب نفيُه.

وهذا يفيد أن الجحود يكون باللسان ، فربما أن الإنسان كان مصدقاً بالشيء بقلبه ، ويعلم ثبوت هذا الشيء في قلبه فإن سئل عنه جحده وأنكره كما قال الله عزوجل :﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤ ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام: ٣٣ ، يعني أنهم يُنكرون بألسنتهم ما ثبت في قلوبهم ،أو يُثبتون بألسنتهم ما هو منفيٌ في قلوبهم.

قوله : { **توحيدُ العبادةِ** } ،الذي هو توحيد الألوهية ، والذي هو إفراد الله بالعبادة هذا الذي جحدوه وأنكروه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الصافات: ٣٥، وقال الله جل وعلا :﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ ص: ٥، وقال

تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ...٧٠ ﴾ الأعراف: ٧٠، كذلك لما قال النبيُّ ﷺ لعمه أبي طالب : (يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله"ـ قال عبد الله بن أبي أمية وأبو جهلٍ،: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب) .

قوله : { وكانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً ، ثم منهم من يدعو الملائكة }.

فهذا هو الشرك ، فإنهم كانوا يدعون الله ويدعون الأولياء ، ويدعون الأنبياء ، ويدعون الصالحين ، ويدعون الرسل ، ويدعون الملائكة .

قوله : { ثم منهم من يدعو الملائكة }، يعني يعبد الملائكة .

فإن سئلوا لم عبدتموهم ؟ قالوا هؤلاء صالحون ، هؤلاء قريبون من الله سبحانه وتعالى ، هؤلاء أهل مكانة وجاه ومنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

قوله : { لأجلِ صلاحهم وقربهم من الله } ماذا يريدون منهم ؟

قال : { ليشفعوا له } ، يشفعوا له ، وماأشبه الليلة بالبارحة .

قال : { أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات }،أراد الشيخ بهذا أن يبين تنوع معبودات الناس فمنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الصالحين .

قال : { مثل اللات أو نبياً مثل عيسى .}، ومنهم من يعبد اللا ت ومنهم من يعبد عيسى عليه السلام ومنهم يعبد الأنبياء ، وهذا كله من الشرك ،

إذا دعا الإنسان الله ﷻ ودعا غيره هذا معناه أنه أشرك غير الله بالله في عبادة الدعاء ، وإن ذبح لله وذبح للولي أوذبح للشيخ أوذبخ للقبر ، هذا يكون قد أشرك غير الله بالله في عبادة الذبح ، فكما أنه يتعّبد لله ﷻ بالذبح فكذلك ذبح للشيخ يعني أنه أشرك بالله ﷻ في هذه العبادة ، وقِس على هذا ، هذا هو الشرك ، ولذلك قال الشيخ رحمه الله : { عرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك } ، لماذا أشهر النبي ﷺ سيفه في وجوههم ؟ لأجل هذا الشرك فالله جل وعلا أمره بهذا قال الله ﷻ: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ... ﴾ الأنفال: ٣٩ ، قال ابن عباس : (حتى لا يكون شرك وحتى يُخلص التوحيد لله).

وقال ابن كثير رحمه الله: (أمر تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله أي يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان.) اهـ

و (حتى) هذه غائية ، يعني أن هذا القتال سيستمر إلى أن ينتفي الشرك ويزول وإلى أن لا يوجد شرك ﴿ ...وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ... ﴾ ، ويفهم من هذا أنه إذا كان بعض الدين لله يدعون الله ويستعينون بالله ويستغيثون بالله ، وبعضه لغير الله فيدعون غيرالله ويستعينون بغير الله ويستغيثون بغير الله ،وجب القتال حتى يكون الدين كله لله ، قال الله ﷻ:

﴿ ...فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ

كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ التوبة: ٥، {فَإِن تَابُوا۟ } يعني من الشرك وتركوه {وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ }، وفي أخرى ﴿ ... فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ التوبة: ١١، {فَإِن تَابُوا۟ } يعني من الشرك فتركوا الشرك ووحدّوا الله فتثبت لهم حينئذالأُخوة الإيمانية و الأُخوة الدينية ، وقال النبيُّ ﷺ كما في المسند من حديث ابن عمر وغيره : (بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجُعِل رزقى تحت ظل رمحى وجُعِل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم منهم) ، و قال النبي ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، فإذا شهدوا هذه الشهادة وتركوا الشرك بالله فإنه يكفّ عن قتالهم وتعصم دماؤهم وأموالهم .

قال الشيخ : { وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على الشرك } ، ما الشرك الذي قاتل عليه رسول الله المشركين؟ .

هو الشرك في الألوهية ، الشرك في الألوهية هو أن تحلف بالله وتحلف بغيره ، وأن تدعو الله وتدعو غيره ، وأن تستعين بالله وتستعين بغيره ، وأن تذبح لله وتذبح لغيره هذا هو الشرك .

قال الشيخ : {ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله } ، دعاهم إلى أن تكون العبادة لواحدٍ قال الله ﷻ :﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء: ٣٦، وقال تعالى :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥ ،وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥ ،وقال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾ قريش: ٣،وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ ﴿٣٦﴾ ﴾ الرعد: ٣٦ ،وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ الزمر: ١١ ، ،وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ النمل: ٩١ ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١،فجاء النبيُّ ﷺ يدعوهم إلى إفراد الله بالعبادة وأن تكون العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨، الشاهد : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ ، ﴿ أَحَدًا ﴾ ،و(احداً) نكرة مسبوقة بنهيٍّ ، والنكرة إذا سُبقت بالنهي أفادت العموم

، ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾، يدخل في ذلك الملائكة والأنبياء والصالحون والقباب والقبور والمشاهد والأضرحة والأشجار والأحجار والشمس والقمر فلا يجوز أن يُعْبد مع الله أحداً ، وكما قال تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ ﴾ الرعد: ١٤، فالعبادة حقُّ الله فإذا جعلنا العبادة لغير الله فهذا الشرك الذي هو الباطل بل هو أبطل الباطل قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ ﴾ الحج: ٦٢.

بيان التأكيد على القاعدتين الأساسيتين

قال الشيخ : { وتحقق أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام.} .

الكثير من الناس يظنون أن (لا إله إلا الله) معناها لا خالق ولا رازق إلا الله وهذا باطل وتحريف لمعناها ومما يدل على ذلك إجماع العلماء على أن الإنسان إذا دُعيَ للدخول في الإسلام وقال : (أشهدُ أن لا ربَّ إلا الله وأن محمداً رسول الله) لا يُقبل منه هذا ، ولا يدخلُ بهذا في الإسلام ، فالدخول في الإسلام يكون بإفراد الله بالعبادة : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ، ولو كان الإقرار بالربوبية يُدخِلُ في الإسلام لكان إبليس أول المسلمين ، لأن إبليس كان يؤمن بالربوبية ولا يُنكرها والدليل قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الحجر: ٣٩، وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤، فكان يؤمن بربوبية الله ﷻ ، ومع ذلك لم يدخل في الإسلام ،ولا يمكن للإنسان أن يدخل في الإسلام إلا بالشهادتين ، فإذا وحّد الله في ربوبيته ، ووحّد الله في ألوهيته ، و وحّد الله

في أسمائه وصفاته فهذا هو المؤمن الموحد ، وإن أنكر واحداً من أنواع التوحيد أولم يُقر بواحدٍ من أنواع التوحيد فهذا مشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا بد من التفريق بين هذا وهذا ، فلا بد من أن نُفرد الله جل وعلا بأفعاله ، فلله جل وعلا أفعال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وإنبات النبات وإنزال المطر وهبة الذرية وإحياء الموتى وهداية القلوب وتفريج الكروب ، إلى غير ذلك من أفعاله وهذه كلها عائدة إلي الربوبية قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ ، ثم عدّد أفعاله قال :﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ البقرة: ٢٢ ،فعدّد الأفعال التي ترجع إلى الربوبية ، كذلك الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ... ﴾ ، فذكر فعلين من أفعال الرب ، فهذا حآج إبراهيم في ربه :﴿ ...قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾، فادعى أنه شريكٌ لله جل وعلا في هذين الفعلين في الإحياء والإماتة ، فتوحيد الله بالربوبية عائدٌ إلى توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأفعاله ، وتوحيد االألوهية هو إفراد الله بأفعالنا التي تقعُ منا على جهةِ التعبد والتقرب ، قال :﴿ ...قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ

ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨ .

قال الشيخ : { وأنّ قصدهم } ، وهذا معطوف على نية تكرار ، العامل هنا : (تحققت) يعني وتحققت أنّ قصدهم الملائكةَ والأنبياءَ والأولياءَ بالعبادة والتعلق بهم .

قال : { يُريدونَ شفاعتَهم والتقربَ إلى الله بذلك } ، وهذا هو الشرك .

قال : { هو الذي أحل دماءهم وأموالَهم .} ، فالشرك أعظم سبب تحل به الدماء والأموال، وإنما تعصم الأموال والدماء بالتوحيد كما قال النبيُّ ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، فإذا وقعوا في الشرك فلا عِصمة لأموالهم ، ولا عِصمة لدمائهم ،إذاً إشراكهم بعبادة الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون بذلك شفاعتهم والقرب من الله ﷻ بعبادتهم هذا هو الشرك الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم .

قال : {عرفتَ حينئذٍ التوحيدَ الذي دعتْ إليه الرسلُ ، وأبى عن الإقرارِ به المشركون } .

فالتوحيد الذي جاء الرسل بالدعوة إليه هو توحيد الألوهية ، وهو الذي جحده المشركون ، والشرك الذي قاتل النبيُّ ﷺ المشركين عليه هو الشرك في الألوهية وهو صرفُ العبادة لغير الله ، بأن تدعو الله وتدعو

غيره ، وأن تعبد الله وتعبد غيره ، وأن تستعين بالله وتستعين بغيره ، وأن تستغيث بالله وتستغيث بغيره ، أن تحلف بالله وتحلف بغيره .

وتأمّلوا في بديعِ تصنيفِ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كيف أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يُكرر هذا حتى يتقرّر في نفس الطالب وفي نفس القارئ .

بيان معنى كلمة التوحيد

قال الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: { وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً هو معنى قولك لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يقرون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك } .

قوله : {وهذا التوحيد } ، (أل) في التوحيد للعهد الذهني والمراد هنا توحيدُ الألوهية .

قوله : { هو معنى قولك لا إله إلا الله} ، هو معنى قولك لا إله إلا الله مطابقةً فإن هذه الكلمة إنما وُضِعت للدلالة على التوحيد قال الشيخ ـ رحمه الله ـ في كتاب التوحيد : { باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله } ، فعطف الشهادة على التوحيد وهذا من باب عطف الدال على المدلول ،فإن (لا إله إلا الله) جاءت لتدل على التوحيد ، فكما أن لا إله

إلا الله نفي وإثبات فكذلك التوحيد لا بد فيه من نفي وإثبات والتوحيد لابد فيه إفراد ، والإفراد لا يتحقق إلا بنفيٍ عام وإثباتٍ تام ، وكذلك كلمة (لا إله إلا الله) التي هي كلمة التوحيد ، تسمىّ كلمة التوحيد لأنها تدلُّ على التوحيد ، هذه الكلمة هي نفي وإثبات (لا إله إلا الله) ، فـ (لاإله) هذا هو النفي ، و(إلا الله) هذا هو الإثبات ، وهذا هوالتوحيد ،فإن (لا إله إلا الله) معناها : لا معبودَ بحقٍّ إلا الله ، والتوحيد الذي هو توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة ، وهو يطابق في معناهُ (لا إله إلا الله) التي معناها : لا معبودَ بحقٍّ إلا الله ، أي ليس هناك من يستحق أن يُعبد إلا الله فهذا معناها .

ولذا قال الشيخ هنا : {وهذا التوحيد }، يعني توحيد الألوهية ، { هو معنى قولك لا إله إلا الله} ، فلا إله إلا الله لا تعني توحيد الربوبية ، وإنما معناها توحيد الألوهية ، إذاً (لا إله إلا الله) في الأصل جاءت لتدل على توحيد الألوهية ،جاءت لتدل على أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله ، فمعناها أن يُفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعبادة وحده لا شريك له .

قال الشيخ : { فإن الإله عندهم } ، يعني عند المشركين الذين بُعِثَ فيهم الرسول ﷺ وكانوا أهل لسانٍ عربي .

قال : { فإن الإله عندهم هو الذي يُقْصد}، (الإله) : في لغة العرب في لغة قريش وفي لغةِ غيرها من العرب ، (الإله) : عندهم اسمٌ لما يُقْصَدُ

بالعبادة أو بشيءٍ منها ،هذا معنى (الإله) ، ولذلك قال: { فإن الإله عندهم هو الذي يُقْصد} ، أي يُقصد بالعبادة ، فكل من قصد شيئاً فجعل له شيئاً من عبادته فقد اتخذه إلهاً ، فمن دعا نبياً أو حلف بنبيٍّ ، أو استعان بنبيٍّ ، أو استغاث بنيٍّ فقد قصد هذا النبي بالعبادة ويكون بهذا قد اتخذه إلهاً .

ومن قصد صالحاً بشيء من العبادة فذبح لهِ أو دعاه فقد قصد هذا الصالح بالعبادة ويكون قد إتخذ هذا الصالح إلهاً ، ف(الإله) ما قُصد بالعبادة أو بشيءٍ منها قال الله عز وجل: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ الشعراء: ٦٩ – ٧١، فوالد إبراهيم وقومه لما قصدوا هذه الأصنام بالعبادة سماها آلهة ، قال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنعام: ٧٤، فدلّ هذا على أن من قصد الأصنام بالعبادة فقد اتخذها آلهة ، كذلك قال الله جل وعلا عن أصحاب الكهف : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ .. ﴿١٥﴾ ﴾ الكهف: ١٥، يعني عبدوهم ، ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الكهف: ١٦، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم

سمى تعلق مَن تعلّق بشجرةٍ ،تأليهاواتخاذ إله مع الله لما قالوا له : (اجعل لنا ذات أنواط) قال رسول الله ﷺ لهم (قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهاكما لهم آلهة) فأؤلئك سموها آلهة وهؤلاء سموها شجرة ، والعبرة بما يفعل هؤلاء مع الشجرة وما يفعل أولئك مع الأصنام فكلاهما طلب ما يألهه ويعبده ، وجاء فِي البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قَالَ: (يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَقَالَ كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لله صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُون قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَال كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لله صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَا يَحْبِسُكمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاس فَيَقولُونَ فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا) الحديث ، والشاهد في هذا الحديث على أن الإله يعني المعبود ومن قصد بالعبادة قوله : (لِيَذْهَبْ

كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) ، ثم قال : (وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ)
يعني وأصحاب كل معبود مع معبودهم .

قال الشيخ : { وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم } ، عندهم يعني في لسان العرب ولغتها، وهذا هو معنى الإله في القرآن وعند جميع المفسّرين وفي جميع معاجم وقواميس اللغة فإن (الإله) : اسمٌ لما قُصِدَ بالعبادة أو بشيءٍ منها .

قال : { الإله هو الذي يُقصدُ لأجل هذه الأمور } ، يعني لأجل طلب القربة والشفاعة .

قال: {سواءً كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرةً أو قبراً أو جنّياً } .

إذاً العبرة بصرف العبادة ، فمن صرف العبادة لله وحده فقد اتخذ الله إلهاً ، ومن جعل العبادة أو شيئاً منها لغير الله من نبيٍّ فقد اتخذ ذلك النبيَّ إلهاً ، ومن جعل العبادة أو شيئاً منها لوليٍّ فقد اتخذ ذلك الوليَّ إلهاً ، ومن جعل العبادة أو شيئاً منها لقبرٍ فقد اتخذ ذلك القبر إلهاً، ومن جعل العبادة أو شيئاً منها لشجرةٍ فقد اتخذ تلك الشجرة إلهاً.

قال : { لم يريدوا أن الإله هو الخالق والرازق والمدبّر } ، هذا ليس معنى الإله لا في اللغة ولا في الشرع ، فليس معنى (الإله) أنه الخالق والرازق ،أو أنه القادر على الإختراع وهذا أكبر تحريف حصل في الدين وهو تحريف معنى (الإله) إلى معنى الخالق أو القادر على الاختراع ، وبسبب

هذا وقع الناسُ في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فأصبحوا يدعون غير الله ويستغيثون بغير الله ويذبحون لغير الله ويخافون خوف السر من غير الله إلى غير ذلك من العبادة التي جعلوها لغير الله ولايرون في ذلك بأسًا لطالما أنهم يعتقدون أن الله هو الخالق وأنه هو الرازق وحده ويظنون أنهم بهذا قد حققوا التوحيد والغاية من (لا إله إلا الله) فمعناها عندهم لا خالق إلا الله ولا مدبر إلا الله ، ومن اعتقد هذا فقد حقق الغاية التي خُلق الناسُ لأجلها وهذا أعظم وأكبر تحريف حصل في الدين وهذا الذي عند الأشاعرة والمتكلميّن والمتصوّفة .

قال : { فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمتُ لك } ،فلو كان معنى (لا إله إلا الله) لا خالق ولا رازق إلا الله وعلمنا أن المشركين كانوا يقرّون لله عَزَّوَجَلَّ،بذلك إذاً فما معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الصافات: ٣٥ ، وعن أيِّ شيءٍ قد استكبروا ؟ إن كان معناها لا خالق ولا رازق إلا الله وهم يعتقدون هذا فهل يعقل أن يكونوا قد استكبروا عن هذا الذي هم به مقرون ومعترفون؟ لا ما استكبروا عن هذا أبدا ، فدلّ هذا على أن (لا إله إلا الله) له معنىً كانوا قد استكبروا عنه وهو أنه لا معبود بحقٍ إلا الله ، ولذلك لما قال لهم { قولوا (لا إله إلا الله) تُفلحوا } ، قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا

وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ﴾ ص: ٥ ، ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأعراف: ٧٠، فأحالوا معنى (لا إله إلا الله) إلى عبادة الله وحده ، ولما سأل هرقل أبا سفيان رضي الله عنه قال : (وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَّ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ)،وهو إنما دعاهم لـ (لا إله إلا الله) ، ففهموا أن (لا إله إلا الله) معناها الدعوة إلى عبادة الله وحدهُ لا شريكَ له .

قال : { وإنما يعنون بالإلـه }

يريد المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، {يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظِ السيّد} ، يعني أن المتأخرين في زمان الشيخ وفي هذه الأزمنة سمّوا من يدعونهم ويستعينون بهم ويستغيثون بهم وينذرون لهم ويذبحون لهم ويتوكلون عليهم ويقصدونهم بالعبادة السادة ، إذاً لفظ السيّد عندهم وضع اسمًا على من قُصِدَ بالعبادة أو بشيءٍ منها ، سُميَ سيّداً أو سُميَ ولياً أو سُميَ فقيراً أو سُميَ شيخاً أو سُميَ إماماً فهو يرادف لفظ الإله في اصطلاح ووضع الأولين وعرفهم .

فالمشركون في زمان الشيخ وزماننا اتخذوا أناساً سموهم بالسادة ، هؤلاء السادة اعتقدوا فيهم أن لهم جاه ولهم منزلة ولهم مكانة عند الله عز وجل ،تؤهلهم إلى أن يُدعوا مع الله ويُستعان بهم مع الله ويُدعوا في الشدائد

ويُستغاثُ بهم ، ويُطلب منهم المدد ، ويُطلب منهم الولد ، ويُطلب منهم المطر ، ويُطلب منهم أن يفرّجوا الكروب ، فهؤلاء سموه سيداً وسموه شيخاً، ً وسموه صالحاً وهذا هو التأليه بعينه .

قال : { وإنما يعنون بالإلـه ما يعني المشركون في زمانناً بلفظِ السيّد} ، ومن هنا يجب أن نحذر احذر أيها العبد من أن تُخدع ، يقال لك هذا الولي وهذا الشيخ وهذا الإمام كما هو عند الشيعة يسمونهم بالأئمة ويريدون بذلك أن هؤلاء يصلح أن يُدعوا ، وأن يُحلف بهم ويستعان بهم ،أو يُستغاث بهم ، فمن قصد أحداً بعبادته فقد إتخذ إلهاً هذه هي الحقيقة ، فالعبرة بالعبادة وبما يُفعل مع هذا الذي سُميَّ وليّاً ، وبما يُفعل مع ذاك الذي سُميَّ صنماً ، فالأسماء لا تُغيّر الحقائق ، لو أن إنساناً شرب الخمر وسماها عسلاً ما غيّر شيئاً من حقيقتها ، ولو أنه شرب الخمر وسماها لبناً فهي خمر ، الحقيقة واحدة أن كل واحدٍ منهم شرب الخمر ، هذا جعل العبادة لحجر ، وذاك جعل العبادة للنبيِّ ﷺ ، وذاك جعل العبادة للولي ، وذاك جعل العبادة للملائكة ، الكل يستوون في أنهم قصدوا غير الله جل وعلا بعباداتهم ، وكل من قصد غير الله فقد إتخذه إلهاً .

قال الشيخ : { وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها } ، المراد معناها لا مجرّد لفظها ، هل جاء الرسول ﷺ وقال للمشركين قولوا (لا إله إلا الله) ؟، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم منهم أن يتلفّظوا بها مجرد تلفّظ ؟ الجواب : لا .

ف(لا إله إلا الله) لا بد فيها من أمور :

الأول : العلم بمعناها نفياً وإثباتاً .

الثاني : اعتقاد ما دلت عليه من معنى .

الثالث : التلفظ بها .

الرابع : العمل بمقتضاها .

إذا علمنا معناها لا معبود بحقٍّ إلا الله فيجب علينا أن نعتقد هذا المعنى ، أن يستقر هذا المعنى في القلوب ، وأنه لا تجوز عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، وأن غير الله جل وعلا لا يستحق العبادة ولا يستحق شيئاً منها ، فنعقد قلوبنا على هذا ، أن العبادة حقُّ الله وحده لا يصلح أن تكون لنبيٍّ ولا لوليٍّ ولا لصالحٍ ولا لملك ولا لجنيٍّ ولا لإنسيٍّ ، العبادة حقُّ الله ، فإذا علمنا هذا المعنى واعتقدناه بقلوبنا فإن الواجب علينا أن نعمل بمقتضى هذا المعنى بأن نعبد الله جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادة ولا نشرك غير الله بالله في عبادته ، ثم كذلك علينا أن نتلفّظ بها ، فالتفظ بها دون علم بمعناها

،ودون اعتقاد لهذا المعنى ، ودون عملٍ بمقتضاها لا ينفع ، فالمنافقون كانوا يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار،واليهود كانوا يقولونها ، والنصارى كانوا يقولونها ، فما من نبيٍّ بعثهُ الله إلا وجاء بها ، والكثير من الناس يقولونها ولكنهم ما عرفوا معناها ، ولا عرفوا ما دلت عليه ، ولا اعتقدوا معناها ، ولا عملوا بمقتضاها ، فما ينفعهم هذا ، ف(لا إله إلا الله) لها قيود ثقال ولها شروط كما قال الشيخ حافظ الحكمي :

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقاً وردت

فإنَّه لا ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبه ... وفقك الله لما أحبه

الإنسان لا ينتفع بمجرد النطق ، وبمجرد التلفّظ بهذه الكلمة حتى يعرف معناها وحتى يعتقد ما دلت عليه من معنى ، وحتى يعمل بمقتضاها ،وأن تكون له محبة لها ولأهلها وأن يحب التوحيد وأن يحب الدعوة للتوحيد وأن يحب تجريد التوحيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وأن يُبغض الشرك وأن يبغض وسائله وأن يُبغض أهله ، هذا هو الدين وهذه هي الحنيفية قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ

أَمَلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ المتحنة: ٤ .

قوله : { والكفارُ الجهالُ يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو (إفرادُ الله تعالى) بالتعلقِ } : أي تعلق القلب به سبحانه؛ من جهة كونه معبوداً وحده ، ومن جهة إفراده بالعبادة ، بأن يُدعى وحده ، وأن يستعان به وحده ، وأن يُستغاث به وحده ، ولا يُرجى أحد سواه ، ولا تُطلب الحوائج إلا منه .

قوله : { والكفرُ بما يعبدُ من دون الله ، والبراءة منه} ، أي أن يتعلق قلب الإنسان بالله جل وعلا من جهة كونه معبوداً وحده ، وأن يتبرأ من كل معبودٍ سوى الله .

قال : { إنه لما قال لهم قولوا : لا إله إلا الله ، قالوا : (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب) [ص : ٥]} ، وهذا يدلك على أنهم فهموا أن دعوة النبيُّ ﷺ لهم لـ (لا إله إلا الله) ،تعني أن يستقيموا على عبادة الله وحده ، فإذا دخل أبوطالب في ملة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي التوحيد معناه أنه ترك ملة آبائه التي هي عبادة الله وعبادة غيره معه.

معاني خاطئة لـ (لا إله إلا الله)

قال الشيخ : { فإذا عرفت أن جهالَ الكفارِ يعرفون ذلك} :

الإشارة هنا إلي معنى (لاإله إلا الله) ، يعرفون أن معنى (لاإله إلا الله) معناها لا معبود بحقٍّ إلا الله ، وأن الذي يُفرد بالعبادة واحد وهو الله ﷻ ، وأن عبادة غيره باطلة .

قال : { فالعجبُ من يدعي الإسلامَ وهو لا يعرفه} ، ليته يدعّي الإسلام فحسب بل يدعّي العلم ،ويدعي الإمامة في الدين ، ويُقدّم للناسِ على أنه العالم الأوحد ، وأنه الإمام فلان ، وأنه شيخ الإسلام فلان ، وهو لا يعرف معنى (لاإله إلا الله) ، **وربما تزيّا بزي العلماء** وفسح له في الإعلام وهو لا يعرف معنى (لاإله إلا الله) ،هذه مصيبة وهذا مما يدل على غربة الدين وغربة الإسلام .

قال : { وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهالُ الكفارِ ، بل يظنُ أن ذلك التلفظُ بحروفها}

بعضهم ربما قال يكفيك أن تقول (لا إله إلا الله) مجرد قول .

قال : {من غير اعتقاد القلبِ لشيءٍ من المعاني ، والحاذقُ منهم من يظنُ أن معناها ، لا يخلقُ ولا يرزقُ ، إلا اللهُ ، ولا يدبرُ الأمرَ إلا اللهُ } .

الحاذق : هو صاحب المهارة والخبرة عندهم .

قال : {من يظنُ أن معناها ، لا يخلقُ ولا يرزقُ ، إلا اللهُ ، ولا يدبرُ الأمرَ إلا اللهُ } ، فهم يتنوّعون في هذا ، فمنهم من إذا سألته ما معنى (لا إله إلا الله) ؟ قال لك : لا تبحث عن معناها يكفيك أن تتلفّظ بها ، وآخر إذا سُئل ما معنى (لا إله إلا الله) ؟ قال: معناها : لا خالق ولا رازق ولا مالك ولا مدبّر إلا الله . وآخر يقول : معناها لا حاكم إلا الله إلى غير ذلك من تحريفاتهم .

قال : { فلا خير في رجلٍ جُهالُ الكفارِ أعلمُ منه بمعاني (لا إله إلا الله) } .. الكفار الذين بُعِث النبيُّ فيهم عرفوا أن (لا إله إلا الله) } تعني أن يتركوا عبادة ما كانوا يعبدون ، وأن يعبدوا الله وحده لا شريك له .

فالمراد هنا التأكيد على أن الإله في لغة العرب وفي الشرع وعند المفسّرين وعند العرب الأقحاح :اسمٌ لما يُقصد بالعبادة أو بشيءٍ منها ، وأن معنى (لا إله إلا الله) ، معناه : لا معبود بحقٍّ إلا الله ، وأن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله ، وهذا الذي كان يؤمن به المشركون قال الله جل وعلا :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦ ، يؤمنون بأن الله هو الخالق وهو الرازق وهو المالك وهو المدبر، ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ في عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وأن الشرك هو جعل شريك لله فيما يستحقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ومنه الشرك في الألوهية وهو جعل شريك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في عبادته ، والشرك في الربوبية هو جعل شريك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أفعاله ،

والشرك في الأسماء والصفات هو جعل شريك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أسمائه وصفاته ، وأن التوحيد الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب هو توحيد الألوهية ، وهو إفرادُ الله بالعبادة ، أن تكون العبادة لواحدٍ وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده لا شريك له وأن من فسّر (لا إله إلا الله) بأنه لا خالق ولا رازق إلا الله ، ولا قادر على الإختراع إلا الله فقد خالف القرآن وخالف السنة وخالف لغة العرب وخالف إجماع العلماء وإجماع المفسّرين ، فـ(لا إله إلا الله) معناها : لا معبود بحقٍّ إلا الله .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: { إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب } :

(إذا عرفت ما) ، (ما) هنا موصولة بمعنى الذي تفيد العموم ، يدخل في ذلك جميع ما تقدم مما ذكره الشيخ ، (إذا عرفت ما) : يعني ما مضى من أن التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وأنه دين الرسل جميعاً ، وأن الرسل جميعاً أُرسلوا به ، أُرسلوا لدعوة الناس إلى التوحيد ، وأن أول شركٍ حدث في العالم كان في زمن قوم نوح ، وأن سبب هذا الشرك هو الغلو في الصالحين ، وأن الله جل وعلا بعث نبيّه ﷺ ليجدد للأمة دين أبيهم إبراهيم ، وأن المشركين كانوا يُقرّون لله عَزَّ وَجَلَّ بالربوبية ، وكانوا يعبدون الله بأنواعٍ من العبادات ، وكانوا يعتقدون أنه لا خالق ولا رازق ولا مالك ولا مدبّر إلا الله، وكانوا يعلمون أن (لا إله إلا الله) معناها : لا معبود بحقٍّ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولكنهم جعلوا بينهم وبين الله وسائط اعتقدوا أن الله

جل وعلا لا يُوصلُ إليه إلا بواسطةٍ تُعبد فعبدوا غير الله طلباً للقربة والشفاعة وأن هذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله ﷺ لينهاهم عنه وقاتلهم لأجله وحلّت له منهم الدماء ولأموال ، لأجل هذا ، وكذلك أن توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة ، و أن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله ، وأن الشرك هو جعل شريك لله عز وجل في عبادته .

قال : { إذا عرفت ما قلتُ لك معرفة قلب } ،يعني ليس من قبيل المعرفة العارضة بل هي معرفة استقرت في القلب فصارت يقيناً لا يقبلُ الشك ولا يتغيّر ولا يتحوّل هذه حقائق شرعية فالواجبُ أن يعقد الإنسان عليها قلبه ، وأن يكون على يقينٍ منها .

واليقين : هو استقرار العلم في القلب استقراراً لا يتحّول ولا يزول ولا يتبدّل .

قال الشيخ رحمه الله : { إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[النساء:٤٨] } .

قال : { وعرفت الشرك }، معرفة الشرك واجبة ، يجبُ علينا أن نعرف الشرك وأن نعرف أفراد الشرك لأن العبادة لا تصحُّ إلا بإجتناب الشرك قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ النساء: ٣٦، فعبادتك لا تصحُّ إلا بإجتناب الشرك ،إذاً يجبُ عليك أن تعرف الشرك لتجتنبه حتى تصِّحَ عبادتك ، لأجل هذا قلنا إن اجتناب الشرك واجب، ولا يمكن أن تجتنب شيئاً وأنت لا تعرفه ،إذا أُمرت باجتناب شيءٍ فإنك تقول للذي أمرك بإجتنابه بيّن لي هذا الشيء الذي أمرتني بإجتنابه .

تعريف الشرك

قال : { وعرفت الشرك }.

الشرك لغة : مصدر أشرك يُشرك شركاً ، ومادة (الشين والراء والكاف) أصلٌ يدلُّ على مقانةٍ وخلاف إنفراد.

مقارنة : يعني إقتران اثنين أو أكثر في شيءٍ لا ينفرد به أحدهما عن الآخر، فالمشرك قَرَن بين الله وبين غيره في شيءٍ من العبادة ، فإن المشرك ما أفرد الله بها ولا أفرد غير الله وإنما قرن بينهما، ولذلك قال : (الشين والراء والكاف) أصلٌ يدلُّ على مقانةٍ وخلاف إنفراد، فالشرك ضدّه .

والشرك شرعاً : هو جعلُ شريك لله فيما يستحقه ،والشرك هنا المراد به الشرك في الألوهية وهو جعلُ شريك لله في العبادة ، أو تسوية غير الله بالله في عبادته ، أو جعل ندٍ لله تعالى في عبادته .

قال : { إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء:٤٨] }.

فإن الله جل وعلا لا يغفرُ لعبدٍ لقيه بالشرك الأكبر قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ النساء: ١١٦، بل من واقع الشرك بالله ﷻ فقد تمت خسارته ، خسر دنياه وخسر آخرته قال الله ﷻ : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾ الزمر: ١٥ – ١٧، وقال تعالى :﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥ ، فهذه الآية ونظارها فيها معرفة خطورة الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

قال : { وعرفتَ دينَ الله الذي بَعَثَ بِهِ الرُسُلَ من أولِهِم إلى آخرِهم الذي لا يقبلُ اللهُ من أحدٍ ديناً سواهُ } .

مراده الإسلام بمعناه العام ، الذي هو الإستسلام لله بالتوحيد والإنقيادُ له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

فلا بد من العناية بهذه العلوم التي هل أجل العلوم وأشرفها لا سيما ما تضمنته هذه المقدمة التي قدم بها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لأن ردْ غالب ما سيأتي من الشُبه مبنيٌّ على هذه المقدمات ولذلك لا بد من العناية بها ولا بد من ضبطها

قال :{ وعرفتَ ما أصبح غالبُ الناسِ عليهِ من الجهلِ بهذا ؛ أفادَكَ فائدتينِ } .

قوله : { وعرفتَ ما }، (ما) ، هنا بمعنى الذي تفيد العموم ، قوله (من الجهل بذا) الإشارة هنا في معرفة التوحيد وأنه إفراد الله بالعبادة ، وأن الخصومة وقعت في هذا ، ومعرفة الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي هو جعلُ شريكٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في عبادته ، ومعرفة أن سبب الشرك هو الغلو في

الصالحين ، وهو عبادة الصالحين لطلب القربة والشفاعة هذا هو الذي أحلَّ الدماءَ والأموال .

قال : { وعرفتَ ما أصبح غالبُ الناسِ فيهِ من الجهل بهذا }،

أكثر الناس وللأسف يجهلون أساس الدين وأصل الملة قال الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٤٠، فأكثر الناس لا يعلمون هذا قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ الأنعام: ١١٦،وقوله تعالى : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٢ ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

قال : { وعرفتَ ما أصبح غالبُ الناسِ عليهِ من الجهلِ بهذا ؛ أفادَك فائدتينِ } ، معرفتك بجميع ما مضى في هذه المقدمة مع نظرك لحال كثيرٍ من الناس الذين يجهلون ما تعلمه ومن به ربك عليك .

قال الشيخ : { أفادك فائدتينِ : الأولى : الفرحُ بفضلِ اللهِ ورحمتِه كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس : ٥٨] } .

فلابد للإنسان من أن يعرف نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه ، ولا شكَّ أن نعم الله تعالى الدينية على العبد أعظم وأعلى وأغلى وأجل من نعم الله تعالى الدنيوية على العبد ، فمعرفة التوحيد والكونُ من أهله ومعرفة الشرك مع إجتنابه وبغضه هذه نعمة عظيمة وهي أعظم نعمة دينية يمتّنُ الله جل وعلا بها على العبد ، قال الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يوسف: ٣٧ – ٣٨ ، فالتوحيد هو سبيل وطريق الأنبياء ولا يخالفه إلا من خالف إجماعهم .

قوله : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ، إذاً هذا فضلٌ من الله جل وعلا تفّضل به عليهم ، ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٣٨ – ٤٠ ، هذا فضلٌ من الله تفضّل به على عباده فعلى العبد أن يفرح بهذا ، والموّحدُ يفرح بهذا لا سيّما إذا نظر إلى حال كثير من الناس ممن حُرِموا هذا الخير ، بل ممن جُعلوا أعداء لهذا الخير ، يقول الله تعالى للصحابة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ النساء: ٩٤، فهذه مِنّةٌ عظمى ونعمة كبرى قال الله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحجرات: ١٧، فالهداية إلى التوحيد والهداية إلى الإسلام والهداية إلى السنة ، والهدايةُ إلى السير على طريق السلف هذه والله نعمةٌ لا توازيها النعم الدنيوية ، بل لا توازيها الدنيا بأسرها لذلك يجبُ على الإنسان أن يشكر الله ، كما قال بعض السلف: (ما أدري أي النعمتين أعظم أن هداني للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء) رواه الدارمي في مقدمة سننه باب في اجتناب الأهواء، فهذه نعمة عظيمة يجب على الإنسانِ أن يستحضرها ، ويشكرالله عليها في صباحه ومسائه قال الله جل وعلا لنبيّه :﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ

عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ النساء: ١١٣،ففضله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته عظيم .

قال : { أفادَك فائدتينِ : الأولى : الفرحُ بفضلِ الله ورحمتِه كما قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس : ٥٨] } .

فنفرح بهذا الفضل أن هدانا ربنا للإسلام وجعلنا من أهله ، أن هدانا للتوحيد وأن جنبنا الشرك ، وأن عرّفنا التوحيد وعرّفنا بالشرك ، هذا كله من فضل الله عز وجل علينا ، فالفرحُ بفضل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ورحمته هذا فرحٌ أمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ به فلا بد للإنسان أن يستشعر هذ النعم وأن يفرح بها وأن يشكر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليها ، فالله جل وعلا قال في ذمِّ الكفار : ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ غافر: ٧٥ ، فدلَّ هذا على أن الفرحُ بالحقِّ محمود ، الفرحُ بالحقِّ والهداية إلي صراط الله المستقيم فرح محمود قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يونس: ٥٨، هذا خيرٌ من الدنيا وما فيها .

قال : {وأفادَك أيضاً :الخوف العظيم } ، أفادَك أيضاً :الخوف العظيم لأنك عرفت الشرك وعرفت خطره وضرره ومن ذلك أن الله جل وعلا لا يغفره ، وأن الله حرم الجنة على من واقعه وأحبط عمله وحرمه الشفاعة وأحلَّ دمه وماله وجعله من الخالدين في النار ، فإذا عرفت هذا أفادك الخوف العظيم فلا بد أن تخاف من الشرك ، ومن عظيم نصح الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحرصه على سلامة الأمة ونجاتها كتب ما كتب و بوّبَ باباً في كتاب التوحيد قال : (باب الخوف من الشرك) ، وأورد قول إبراهيم عليه السلام، ﴿...وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ إبراهيم: ٣٥، قال إبراهيم التيمي : (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم) ، فالموحد يخاف أن ينتكس وأن ينكص على عقبيه وأن يرتدّ مشركاً بعد أن هداهُ الله ، فالهداية نعمة لابد أن تصان وتحمى بسياج منيع من الشكر .

قال : {**وأفادَك أيضاً :الخوف العظيم** } ، والموحد إذا خاف جد وشمر لأن من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، فإذا خاف الشرك فإنه سيجد في تعلّم الشرك وتعلم أفراد الشرك وتعلم الوسائل التي توصل إلى الشرك حتى يجتنب جميع ذلك .

شروط تكفير المعيّن وبيان أن المسلم قد يكفر بكلمة يقولها

قال : { وأفادَك أيضاً :الخوف العظيم ،فإنك إذا عرفتَ أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجُها من لسانِه ، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يعذرُ بالجهلِ } .

مما ينبغي أن يعلم أن الشيخ رحمه الله لم يؤلف كتابه هذا ـ كشف الشبهات ـ ولا مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ولا نواقض الإسلام لأجل تكفير المعيّن ،بل أراد بذلك الرد على كثير من دعاة الضلالة وأرباب الجهالة الذين يشيعون في الناس أن الإنسان إذا دخل في الإسلام ونطق بالشهادتين فإنه لا يخرجُ عن الإسلام أبداً ، ولا يمكن أن يرتدّ عن الإسلام بل هو مسلم وإن فعل ما فعل ، وإن اعتقد ما اعتقد ، فالشيخ رحمه الله حين قال : (فإنك إذا عرفتَ أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجُها من لسانِه) ، أراد أن يُبيّن لك أن المسلم قد يرتد عن دينه ويخرج من الإسلام لا كما يظنُّ ويعتقدُ الكثيرُ من دعاة السوء أن الإنسان إذا دخل

في الإسلام فإنه لا يخرج منه لا بقول ولا بعملٍ ولا باعتقاد ، فأراد الشيخ رحمه الله أن يُبيّن لك أن الردة لها أسباب ، وأن الإسلام له نواقض ، فمن تلبّس بهذه النواقض وواقع سبباً من أسباب الردة فإنه يخرج عن دين الإسلام وهذا التقرير على جهة التعميم ، أما عند إنزال الحكم على الأفراد فلا بد من توّفر شروط التكفير وانتفاء موانعه .

قال الشيخ : { فإنك إذا عرفتَ أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجُها من لسانِه } ، ويُفهم من هذا أن الإنسان قد يكفر بالكلمة ،أي يكفر بالقول ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ ﴿٧٤﴾ ﴾ التوبة: ٧٤ ، فالآية دليلٌ على أن الإنسان يكفر بالكلمة ، وقال الله جل وعلا : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ – ٦٦، فبيّن الله جل وعلا أنهم كفروا بهذه الكلمة ، ومن الأدلة التي تدُّ على أن المسلم قد يرتّد عن دينه وقد يخرج عن الإسلام قوله جل وعلا : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا

وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ البقرة: ٢١٧ ، قوله : (يردوكم) يعني يعيدونكم إلى الكفر .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ البقرة: ٢١٧ ،فحكم الله بكفرِ من رجع عن دينه وعن إسلامه بالخلود في النار، وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ المائدة: ٥٤ ، فهذه الآية من أدلة حصول الردة ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾ آل عمران: ١٠٠، وهذا أيضاً من أدلة أن الردة قد تقع وقد تحصل، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ آل عمران: ١٤٩ ، والأدلة كثيرة على أن المسلم قد يرتد وقد يخرج من الإسلام ومن الدين ، وبذلك جاءت الأدلة من السنة فمنها قوله ﷺ : لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث"، وفي اللفظ الآخر "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله

وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة" ، وفي رواية قال : (المارقُ من الدين) وفي رواية : (التاركُ لدينه المفارقُ للجماعة) ، وفي رواية : (التاركُ الإسلام) وفي رواية : (رجلٌ زنى بعد إحصانه وكفر بعد إسلامه) ، وفي رواية : (وكفر بعد إسلامه) ، وهذه الأدلة كلها تفيد أن المسلم قد يخرج من الدين ويُصبِحُ كافرا حلال الدم والمال ، ففي الصحيحين لما بعث النبيُّ ﷺ معاذاً وأباموسى وكان كل واحدٍ منها على جهةٍ من جهات اليمن ، فجاء أن معاذاً زار أباموسى قال : " فإذا رجل موثوق، فقال: ما هذا ؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم ثم ارتد فقال معاذ لأضربن عنقه" [صحيح البخاري، برقم (٤٠٨٨)]، وفي رواية: (هذا رجلٌ كفر بعد الإسلام ، فقال معاذ: لا أنزلُ حتى يُقتل) ، وفي رواية: "فقال معاذ: لا أجلس حتى أضرب عنقه، قضى الله وقضى رسوله" [مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٥٦٢)] ، وفي رواية: (لأضربن عنقه) ، وجاء في السنن عن عكرمة: (أن ناسا ارتدوا على عهد علي رضي الله عنه فأحرقهم بالنار)، وحديث العرنيين : (فلما صحوا وكانوا بناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود فبلغ النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم فأتي بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم ثم تركهم في الحرة على حالهم حتى ماتوا) ، فهؤلاء ارتدوا وقتلوا راعي رسول الله ﷺ الذي كان

يرعى الإبل وكان مسلماً ، وكذلك جاء في الصحيحين عن أبي هريرة في قتال أبي بكرٍ المرتدين، فهذه الأدلة كلها تدلُّ على أن المسلم قد يكفر وقد يرتد عن دينه إذا واقع أسباب الكفر وأسباب الردة ، فالشيخ رحمه الله أراد أن يُقرّر هذا .

قال : {فإنك إذا عرفتَ أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجُها من لسانِه ، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يعذرُ بالجهلِ } ، ليس مراد الشيخ من هذا تكفير كل من وقع في الشرك وهو جاهل كلا ، قد يقول قائل :كيف تقولُ هذا ، وهذا نص واضحٌ من كلامه في المسألة ؟

الجواب : نقول هذا لما علمناه من كلامه في تقرير هذه المسألة في كتبه .

وقوله هذا يخرج على وجهين :

الأول : أن المراد بقوله (وهو جاهل) يعني وهو جاهل بعاقبتها وبأثرها وما تؤول إليه وما توصل إليه مع علمه بحرمتها وقبحها وهذا حاصلٌ في كثيرٌ من الناس يتكلم بكلمة وهو يعلم أن هذه الكلمة محرمة لكن لا يدري أثرها ولا يدري ما يترتب عليها فهذا لا يُعذر ، لو أن شخصاً عرف أن دعاء غير الله محرم بأدلة الكتاب والسنة ثم دعا غير الله قلنا له قد كفرت ، فقال أعلم أن دعاء غير الله حرام ولكني لا أعلم أن الإنسان إذا دعا غير الله خرج من الإسلام فهل هذا يعذر ؟.

الجواب الأول : هذا لا يُعذر ، ودليل هذا حديث الرجل الذي واقع زوجته في نهار رمضان فإنه أتى النبي ﷺ فقال : (هلكت يارسول الله) ، وهذاواضح في أنه كان يعلم أن جماع زوجته في نهار رمضان محرّمٌ ، وفي رواية قال : (احترقتُ يا رسول الله قَالَ مَا شَأْنُكَ قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ) ، وما كان يدري ما الذي يترتب على ذلك فأمره النبيُّ ﷺ بالكفارة ولم يعذره ، لأنه لو عذره لما رتب عليه الكفارة ، بل أجرى النبي ﷺ عليه ما ترتب على فعله ، فقول الشيخ يُخرج على هذا ، ويدلُّ لهذا أن النبيَّ ﷺ قال : وإن العبدَ ليتكلمَ بالكلمة من سَخَط اللهّ لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم)، إذاً هو يعلم أنها من سخط الله، وفي رواية قال : (إنَّ العبدَ ليَتكلمُ بالكلمةِ ما يَتبَيَنُ فيها ، يَزلُّ بها في النار أبعدَ مما بينَ المشرق)، و : (إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رِضوانِ الله) ، فيكتب الله جل وعلا من رضوانه وإن كان لا يدري عِظمَ وثِقل هذه الكلمة عند الله سبحانه وتعالى ، يعني هو جاهل بعاقبتها ولكن لا يجهل حكمها في الشرع بأنها محرمة وأنها كلمة سيئة .

الثاني : أن مراده من قوله : (فلا يُعذر بالجهل) : أن الجهل ليس بعذر يمنعنا من التغليظ في الإنكار على من تكلم بكلمة الكفر وسيأتي ما ذكره الشيخ في قصة بني إسرائيل والصحابة الذين سألوا النبيَّ ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط .

فقد قال الشيخ هناك : { وتفيدُ أيضاً : أنه لو لم يكفرْ ، فإنهُ يُغَلظُ عليهِ الكلامُ تغليظاً شديداً ، كما فعل رسولُ ﷺ } ، وأما كون الشيخ رحمه الله وسائر أئمة الدعوة النجدية يعذرون بالجهل فالنقولات عنهم في هذا كثيرة ، ومن ذلك

قول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدرر السنية (م / ١ / ١٠٤) : (وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لا جل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله او لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل (سبحانك هذا بهتان عظيم .) .

قال : (وإذا كنا لا نكفر من عبد) فما ذكر نوعاً من أنواع العبادة لإفادة العموم ، ، ومعلوم أنهم صرفوا شيئاً من العبادة لغير الله ، ومن صرف العبادة أو شيئاً منها لغير الله فهو كافر على جهة العموم .

قال : { لأجل جهلهم وعدم من ينبههم } ، أبعد هذا النص الواضح الصريح ، يحقُّ لأحدٍ أن ينسب للشيخ محمد بن عبدالوهاب أنه يكفر بالعموم ؟ ، فنسبة التكفير يالعموم للشيخ من جملة الفرى التي نفاها الشيخ عن نفسه كثيرًا ونفاها عنه أئمة الدعوة النجدية من بعده وهم أعلم بطريقته ومنهجه .

قال : { ومن ذلك يزعمون أنا نكفّر بالعموم } ،يعني من غير إقامة للحجة ومن غير مراعاة لشروط التكفير وموانعه؟.

قال : { فكيف نكفر من لم يشرك بالله أو لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل (سبحانك هذا بهتان عظيم .) } ، فهذا من الكذب عليه الذي أشاعه الخرافيون ، يزعمون أنه يكفر الناس بالعموم وأنه يستحل دماءهم وأموالهم ، وبعضهم يدعّون أنهم على السنة ، بل وعلى السلفية يكتبون ويتكلمون في تثبيت هذا الذي أشاعه القبوريّون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب لينفّروا عن دعوته وقد كذبوا في هذا على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ .

قال : { وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسل ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفره وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك } اهـ. الدرر السنية (م ـ ١/ ٧٣) .

وهذه الجملة نستفيدُ منها في :

١ – أن الشيخ أُتُهِمَ في حياته بتلك التهمة الكاذبة تنفيراً للناس عن التوحيد الذي دعا إليه.

٢ – أنه نفى عن نفسه تلك التهمة نفياً صريحاً وكاتب العلماء بذلك ليكونوا على بينة من دعوته.

٣- أنه لا يكفر إلا من عرف دين الله معرفة صحيحة ثم بعد أن عرفه نهى الناس عنه وسبه، ومعنى ذلك أنه لا يكفر الجاهل حتى يُعَلم ، و أنه يرى أن أكثر الأمة ليسوا كذلك .

وبهذا يتضح أن التهمة كذب وافتراء أريد بها تنفير الناس عن دعوته الحقة.

وربما أنك تجد فيهم من يواقع الشرك بالله لكنه ما عرف دين الرسول الذي هو التوحيد ، وأعرف الناس بمذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب تلامذته وأحفاده .

قال الشيخ سليمان بن سحمان في الدرر (٧/ ٣٧٢) يقول في تقرير منهج أئمة الدعوة النجدية في التكفير :

والكفر لا ندعوا به من قالها   بدأً وجهلاً حين يدمي المائن
.إلا إذا قامت عليه حجة   فالكفرُ والتعطيلُ منه كائنٌ
هذا الذي أدى إليه علمنا   وبه لذي العرش المهيمن دائن
والقول بالتفصيل فيما قاله   شيخ الهدى والحق منه بائن

يقول : نحن لا نكفّر من تكلّم بكلمة الكفر إبتداءً لاسيما إن كان جاهلاً كما يرمينا بذلك الكَذَبَةّ في هذا الزمان ، أما من أقامت عليه الحجة فهذا الذي نكفره ، **قوله** : (**هذا الذي أدى إليه علمنا**) يعني أن هذا ما تحقق عندهم في هذه المسألة .

وكذلك قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في بيان منهج أئمة الدعوة النجدية في التكفير :

والله ما كفروا يا من قضى شططا ... إلا الذي بصريح الشرك قد دانا

إن كان قد عرف التوحيد ثم أتى ... بضده لو يصلي الخمس إدمانا

قال : نحن ما نكفر إلا من أتى بالشرك الصريح وهذا لا نكفره إلا بعد أن يكون عرف التوحيد ، فإن جاء بالشرك وكان على علمٍ بالتوحيد فهذا الذي نكفره ولو كان من المدمنين يعني من المداومين على الصلاة .

والقاعدة عند أهل السنة والجماعة : أنهم يعممون ويُطلقون فيقولون من قال كذا فهو كافر ، من فعل كذا فهو كافر ، أما عند الحكم على الشخص المعيّن فإنهم يقفون حتى تثبت في حقه شروط التكفير وتنتفى موانعه ، فإذا ثبت شروط التكفير في المعيّن وأنتفت في حقه الموانع كفّروه .

والتفريق بين التعميم والتعيين دلّ عليه حديث النبي ﷺ الذي لعن فيه شارب الخمر فلما جيء بحمار رضي الله عنه وكان يكثر من شرب الخمر ، قال أحدُ الصحابة : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ : "لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله". فالنبي ﷺ لعن شارب الخمر على جهة العموم ولما جاء اللعنُ في هذا المعّين قال النبي ﷺ : "لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله". ، **لذلك شيخ الإسلام بن تيمية يقول** : (والتحقيقُ في هذا) أي في مسائل التكفير

حتى لا تكفر من دون حجة ومن دون بيّنة وهذا منزلقٌ خطير ، وكم نصحنا الشباب بهذا أن من أراد السلامة فعليه أن يُحكم هذا الباب ،مسألة التكفير ومسألة الحكم بغير ما أنزل الله ، ومسألة العذر بالجهل ، ومسألة الحزبية وما يتعلّق بالأحزاب والجماعات القائمة ، فإذا أتقن هذه فإنه لا يُخافُ عليه بعد ذلك من الشبهات المعاصرة .

قال: { والتحقيق في هذا : إن القول قد يكون كفرا كمقالات الجهمية الذين قالوا إن الله لا يتكلم ولا يرى في الآخرة .}

وهذا كفرٌ بالله ، من قال أن الله لا يتكلم هذا كافر لأنه كذب الله في خبره الله تعالى يقول : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ...﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٣، وهذا يقول أن الله لا يتكلم .

قال : { و لا يُرى في الآخرة } ، وكذلك الذي يقول إن الله لا يرى في الآخرة كافر لأنه مكذب لله في خبره قال الله عز وجل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣ ، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم :((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته)) ، وقال :((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا)) رواه البخاريّ عن جرير البجلي ، وفي رواية مسلم عن

صهيب الرّوميّ ((قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ)) .

قال الشيخ : { **ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر ، فيطلق القول بتكفير القائل كما قال السلف : من قال القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ، ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة كما تقدم كمن جحد وجوب الصلاة والزكاة واستحل الخمر والزنا وتأول ، فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه** } .

يعني كون أن الصلاة واجبة والزكاة واجبة ، وأن الخمر محرّمة هذا من العلم الظاهر وربما يكون من العلم الضروري الذي يستوي فيه كل الناس ، فهذه أعظم ظهورا من أن الله يتكلم ويُرى في الآخرة .

قال الشيخ : { فإذا كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان }

الذي يُنكر وجوب الصلاة والزكاة ويستحل الخمر هذا لا نكفره إلا بعد البيان مع ظهور هذه الأحكام .

قال : { كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر، ففي غير ذلك أولى وأحرى ، وعلى هذا يخرج الحديث الصحيح في الذي قال : (إذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني في اليم فوالله لئن قدر الله على ليعذبني

عذابا ما عذبه أحدا من العالمين وقد غفر الله لهذا مع ما حصل له من الشك في قدرة الله وإعادته إذا حرقوه ، وهذه المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع . أ ـ هـ } (م / ١٩ / ٦١٧) .

وقال في الـفتاوى (م ١٢/ ٥٠٠) : { فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه مع الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالة التي يبين بها لهم أنهم مخالفون للرسول، وإن كانت مقالتهم هذه لا ريب أنها كفر، وهكذا الكلام في جميع تكفير المعنيين}.

وقال أيضا : { فإنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة انه لم يشرع لأمته أن تدعو أحدا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله }
هذه الأمور عند شيخ الإسلام بن تيمية من المعلوم من الدين بالضرورة ، وهذا يبين لك أن المعلوم من الدين بالضرورة يختلف ويتفاوت ، فقد يكون في مكانٍ دون مكان ، وعند شخصٍ دون شخص ، فهذا شيخ الإسلام بن تيمية يقول : إن هذه الأمور من المعلوم عنده بالضرورة .

قال : { وأن ذلك } ، الإشارة هنا إلى ما مضى من دعاء الأموات والصالحين وغيرهم من السجود للميّت أو لغير الميّت .

فقال : { بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يكن تكفيرهم بذلك } ، الباء في قوله (بذلك) سببية يعني بسبب السجود للموتى وغير الموتى ودعاء الصالحين والأنبياء والملائكة وغيرهم .

قال : { لا يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه }.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: { الكفر حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله فما دل الكتاب والسنة على أنه كفر فهو كفر ، وما دل الكتاب والسنة على أنه ليس بكفر فليس بكفر ، فليس على أحد بل ولا له أن يكفر أحداً حتى يقوم الدليل من الكتاب والسنة على كفره، وإذا كان من المعلوم أنه لا يملك أحد أن يحلل ما حرم الله، أو يحرم ما أحل الله، أو يوجب ما لم يوجبه الله تعالى إما في الكتاب أو السنة ، فلا يملك أحد أن يكفر من لم يكفره الله إما في الكتاب وإما في السنة} .

والتكفير له أربعة شروط لا بد منها :

الأول : ثبوت أن هذا القول ، أو الفعل ، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب أو السنة .

الثاني : ثبوت قيامه بالمكلف.

الثالث : بلوغ الحجة.

الرابع : انتفاء مانع التكفير في حقه.

فإذا لم يثبت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، فإنه لا يحل لأحد أن يحكم بأنه كفر، لأن ذلك من القول على الله بلا علم .

بيان أن المسلم قد يكفر بكلمة يقولها

قال الشيخ : { فإنك إذا عرفتَ أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجُها من لسانِه ، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يعذرُ بالجهلِ ، وقد يقولُها وهو يظنُّ أنها تقرُّبه إلى الله تعالى ؛ كما ظنَّ المشركون ، خصوصاً إن ألهمَك اللهُ ما قصَ عن قوم موسى معَ صلاحِهم وعلمِهم ، أنهم أتوْهُ قائلينَ : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] فحينئذٍ يعظمُ خوفُك وحرصُك على ما يخلصُك من هذا وأمثالِه .} .

هناك فرقٌ بين الكافر الأصلي والمرتد .

الكافر الأصلي : هو الذي لم يدخل في الإسلام أصلاً .

والمرتد : هو المسلم الذي دخل في الإسلام ثم تلبّس بناقضٍ من نواقضِ الإسلام .

فالمشركون ظنوا أن الشرك بالله يقرّبهم إلى الله كما قال الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣، بل وقعوا في الشرك تعظيماً لله بأن قالوا أن الله أجل وأعظم من أن يوصل إليه بدون واسطة ، فإذا كان الملوك في الدنيا لا يوصل إليهم إلا بواسطة فكيف بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؟ ، فالشيطان قدم لهم الشرك في قالَبِ تعظيم الله .

قال : { خصوصاً إن ألهمَك اللهُ ما قصَ عن قوم موسى معَ صلاحِهم وعلمِهم ، أنهم أتوْهُ قائلينَ : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] فحينئذٍ يعظمُ خوفُك وحرصُك على ما يخلصُك من هذا وأمثالِهِ .} .

إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة ، معناه عرفت أن الردة لها أسباب وأن الإسلام له نواقض ، فحينئذٍ يعظُمُ خوفك من أن تقع في شيءٍ من نواقض الإسلام ، أو في شيءٍ من موجبات الردة .

قال : { وحرصك } ، إذا خاف من هذا حرص على أن يتعلم العلم ، حرص على أن يعرف التوحيد ويعرف الشرك ، ويتعرّف على نواقض

الإسلام وأسباب الردة ، لأنه يخشى على دينه ، يخشى أن يرتد ، ومما يدل على أن الشيخ يعذر بالجهل ، ماذكره مما حصل من قوم موسى عليه السلام ومن أصحاب النبيِّ ﷺ .

وسيأتينا في هذا الكتاب قول الشيخ : { ولا خلافَ أن بني إسرائيلَ لو فعلوا ذلكَ لكفروا . وكذلك لا خلافَ في أن الذين نهاهُم النبيُّ ﷺ لو لم يطيعوهُ ، واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعدَ نهيِه لكفروا . وهذا هو المطلوبُ } ، فقوله (نهاهم) ، هذه هي الحجة .

قال : { لو لم يطيعوهُ واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعدَ نهيِه لكفروا }

فالشيخ لا يرى التكفير قبل التعليم وقبل إقامة الحجة ، وقوله : (بعدَ نهيِه) ، يعني بعد إقامة الحجة ، بعد أن يُبيّن لهم أن هذا من الشرك بالله .

قال : { بعدَ نهيِه لكفروا ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها }

قد يقع في نوعٍ من أنواع الشرك وهو جاهلٌ به ، فتفيد التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان .

قال : { وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فُنبِّهَ على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر } .

فإذا كان الشيخ يعذر المجتهد العالِم الذي عرف القرآن والسنة ، وكُتُب شروح السنة والتفاسير بين ناظريه في كل حين ، فما ظنك بالأمي الذي يعيش بالبادية الذي لا يعرفُ القرآءة ولا الكتابة ، وربما أنه ما وصله أحدٌ من دعاةِ التوحيد ؟.

قال الشيخ : **{ كما فعل بنو إسرائيل ، والذين سألوا النبي ﷺ ، تفيد أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله ﷺ }.**

فيعذرونه بجهلهم ولا يكفرون ولا يعذرون من جهة ترك الغلظة في الإنكار عليهم لأنه قد اشتد نكير النبي صلى الله عليه وسلم عليهم حتى قال : الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل: (إجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون)، لتركبن سنن من كان قبلكم».

فانظر كيف جعل عليه الصلاة والسلام اتخاذ الشجرة للتبرك اتخاذ إله آخرمع الله .

بيان حكمة الله من جعله أعداء للأنبياء

قال : { واعلم أنّ الله سبحانه وتعالى من حكمتِهِ لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[الأنعام : ١١٢] } .

قوله : (أعلم) : أي ياطالب العلم ويا من هُديت إلى معرفة التوحيد ويا من وحدت الله جل وعلا وعرفت الشرك وجانبته ، عليك أن تعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء ، والحكمة صفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أسمائه الحكيم ، وهذا الاسم متضمنٌ لصفة الحكمة .

الحكمة : وضع الأشياء في مواضعها الموافِقة للغايات المحمودة ، أو هي وضع كل شيءٍ في موضعه .

فالله جل وعلا إذا قال قولاً أو فعل فعلاً فإنه تنتج عنه الثمرة المقصودة منه في الدنيا والآخرة ، فإذا كتب الله جل وعلا مثلاً على عباده الجهاد في سبيل الله ، فالله جل وعلا إنما كتب ذلك لحكم وثمار مقصودة وهذه الثمار لا بد أن تحصل آجلاً أو عاجلاً ، فهنا قال : { واعلم أنّ الله سبحانه

وتعالى من حكمتِه لم يبعث نبياً } ، (نبياً) نكرة منفية ، والنكرة إذا سُبقت بنفيٍ تفيد العموم ، هذا عموم في الأنبياء كلهم .

قال : { لم يبعث نبياً بهذا التوحيد } ، و(أل) في التوحيد للعهد الذهني ، والمراد توحيد الألوهية .

قال : {إلا جعل له أعداءً } ، وهذا يدل على أن أعظم ما عودي عليه الأنبياء هو التوحيد وأن الخصومة واقعة فيه إلى يومنا هذا، فجعل الله للرسل أعداء يعادونهم ويحاربونهم بشتى الوسائل ، فلا بد من الإنتباه لهذا فالأعداء لا يعادونك ولا يحاربونك من طريق واحد ولا بوسيلة واحدة وإنما تتعدد طرقهم وأساليبهم ووسائلهم في العِداء ويثيرون الشُبه والشائعات من أجل أن ينفّروا الناس عن توحيد الله سُبحانَهُ وَتعالَى .

والعدو : هو من ساءهُ مايسّرُّك وسرّهُ ما يسوءُك .

قال : {كما قال تعالى } : والشيخ يستدل على هذا { واعلم أنّ الله سُبحانَهُ وَتعالَى من حكمتِه لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً ، كما قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام : ١١٢]}.

و قال : {إلا جعل له أعداءً } ، الجعلُ هنا : هو الجعل الكوني القدري ، يعني إلا شاء الله أن يكون لكل نبيٍ عدواً .

والجعلُ قسمان (شرعي وكوني قدري) .

قال الله ﷻ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الزخرف:٤٥، هذا جعلٌ شرعي ، يعني هل أبحنا وْ شرعنا في دينٍ شرعناه أو في كتابٍ أنزلناه على رسولٍ أرسلناه أنه يجوزُ أن يُشرك غير الله بالله في عبادته ؟ .

وقال الله ﷻ: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ الحج: ٦٧ ، هذا جعلٌ شرعي وقال تعالى ﴿ ...جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ... ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج: ٧٨ ، وهذا جعل شرعي أيضا

وأما قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ الفرقان: ٦١، فهذا جعلٌ كوني قدري ،

فقوله : (إلا جعل له أعداء) هذا جعلٌ كوني قدري .

قال الشيخ: { قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام : ١١٢]}

و (كل) هذه من ألفاظ العموم ، قال الشيخ (لم يبعث نبياً) نكرة منفية، وهذا عموم ، ودليل العموم قوله تعالى : (لكلِّ نبيٍ) ، وهذا فيه تسلية

للنبيِّ ﷺ فالله جل وعلا يقول : كما كان لك أعداء يحاربونك فكذلك جعلنا لكل نبيٍ قبلك أعداء ، فهذه سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً)، وهذا ما قاله ورقة بن نوفل للنبيِّ ﷺ : (لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي) ، و(رجل) نكرة منفية تفيد العموم ، وقال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ الفرقان: ٣١، وهنا قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢، ف (شياطين) بدل من قوله : (عدواً) ، يعني أن الأعداء هؤلاء شياطين ، والأعداء هؤلاء مجرمون ،هذا وصفُ الله جل وعلا لهم وصَفَهم فقال (شياطين) ، وهم مجرمون ،﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ... ﴾ الآية، والأعداء هؤلاء من الجن ومن الإنس قال : ﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ... ﴾ الآية، فالقول المُزيّن المزخرف ،هو الشبهات ، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريدُ أن يُبيّن لك مصدر الشبهات ﴿ ...شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ... ﴾ ، الشبهات تنبعثُ من هؤلاء وهم مُصدروها والمروجون لها ، فإذا كان الأمرُ كذلك وعوديَ الأنبياء فلا بد أن يُعادى من ورثوا الأنبياء ، فالشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد أن يُقرر في نفسك

هذا ، يا أيها الموّحد لطالما أنك تأسيت بأنبياء الله ورسله ، ووحّدت الله كما وحّدوه ، ودعوت إلى توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ ونبذت الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وواليت وعاديت على هذا فستجد أعداءً كُثُر .

قرر الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أولا وجود الأعداء ، ثم بين أن هؤلاء الأعداء منهم من هو عامي مقلّد ، ومنهم من هو عالم ، ومنهم من هو طالبُ علمٍ ، ففيهم علماء لكنهم علماءُ سوء وعلماء ضلالة كما قال الله جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ ، الآية ،التوبة: ٣٤ ، وهم وإن كانت لهم علومٌ كثيرة إلا أنها علومٌ غير نافعة والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف علينا من هذا الصِنف من الناس كما في حديث عمر في مسند الإمام أحمد وصححه العلاّمة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قال : (أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن)، وكان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله عَزَّ وَجَلَّ من علمٍ لا ينفع كما في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم أن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَدُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ ، وَمِنْ نَفسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ عِلمٍ لاَ يَنْفَعُ أَعوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلاَءِ الأَرْبَعِ)، فسماه علماً مع كونه غير نافع .

قوله : { علومٌ كثيرة }،ربما أنه يكون عالماً في النحو وفي البلاغة وفي الصرف وربما يكون عالماً في الحديث وفي الأصول ، وعالماً في المنطق ، وعالماً في الفرائض والمواريث وغير ذلك .

قوله : { وكتبٌ وحججٌ } ، لهم علوم ولهم كتب ولهم مؤلفات ولهم حُجج ، ولكنها كما قال القائل :

شُبَهٌ تهافت كالزجاج تخالها .... حقاً وكل كاسر مكسور

قال : { كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[غافر : ٨٣]} .

والعلم : مفرد معرّف يُفيدُ العموم .

قال العلامة السعدي في تفسير هذه الآية : (وهذا عامٌ في جميع العلوم التي نوقض بها ما جاءته به الرسل ومن أحقها في هذا الدخول علوم الفلسفة والمنطق اليوناني الذي رُدت به كثيرٌ من آيات القرآن)

وكل علمٍ خالف ماجاء به كتاب الله وما جاءت به السنة فهو علمٌ باطل ، فهذا هو مصدر الشبهات شياطين الإنس والجن .

قال : { إذا عرفت ذلك } ، إذا عرفت أنه ما من نبيٍّ ، وما من وارثٍ لنبيٍ إلا وجعل الله لهم أعداء ، وهؤلاء الأعداء لهم حجج ولهم علوم .

قوله : { وعرفتَ أن الطريقَ إلى اللهِ لا بد له من أعداء قاعدينَ عليه، أهلِ فصاحةٍوعلمٍ وحججٍ } ، ويكونون من أهل الفصاحة ممن يجيدون تنميق العبارات فالحذر من الاغترار بهذا.

قال فالواجب عليك أن تعلم من دينِ الله ما يصير سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين } ، أراد الشيخُ ـ رحمه الله ـ أن يُحثَّ طالب العلم على التسلّح بالعلم وأن يُحصِل العلم الذي يستطيع أن يردّ به شبهات أهل الباطل ، فالعلم سلاحك يا طالب العلم .

قال : { سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين } ، الشياطين المجرمين من الجن والإنس الذين تقدم ذكرهم والذين هم أعداء الأنبياء .

قال : { الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل : ﴿ ... لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٦، ١٧]} .

قال : (لأقعدنّ) اللام هذه للقسم والنون للتوكيد ، وهذا فيه أن هؤلاء الأعداء الشياطين يعلمون أن الله له صراط مستقيم ، لكنهم مع هذا يعادونه ويحاولون أن يصدّوا الناس عنه ولذلك لا تظن أن أهل الباطل جميعاً يجهلون الحق ولا يعرفونه بل ، الكثير منهم يعرفون الحق ويعرفون أن أهل التوحيد على الحق ولكنهم يعارضونه إما لمصالح ، وإما حسداً وإما تكبّراً .

قوله : (لأقعدنّ)، هذا يدل على أنه ملازمٌ للصدِّ عن سبيل الله .

قال ابن القيم : [فإن القاعدُ على الشيء ملازمٌ له] ، وتأمل قوله : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ ، فما من طريق من طرقِ الخير إلا والشيطان قاعدٌ عليه يصدّ الناس عنه ، .

قوله : { مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} ، قال أهل العلم : يعني من قبل الدنيا .

قوله : (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) ، يعني من قبل الآخرة يزهّدهم فيها .

قوله : (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ) قالوا من قبل الحسنات ، حتى الحسنات يسعى في أن يفسدها عليك فإما نزعة إلى إفراطٍ وإما نزعة إلى تفريطٍ ، قوله : (وَعَن شَمَآئِلِهِمْ) يعني السيئآت ، قوله : (وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ،وهذا هو الذي يبعث الخوف ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦ ﴾ الأنعام: ١١٦، فالكثير من الناس صاروا أتباعاً للشيطان ، بل ربما فاق بعضهم الشيطان في المكر كما قال القائل :

وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى بي الدهر حتى صار إبليس من جندي

عياذاً بالله ، فهذه توطئة وتنبيه ، فالشبهات، هذه لا بد من وجودها ، وهذا من حكمة الله فأنه أوجد الكفر وأوجد أهله الذين يحمونه

ويستدلون عليه ، ويكتبون ويقومون بنشره وإشاعته بين الناس نثراً وشعراً وتأليفاً وخطابة ووعظاً .

وكذلك أوجد الحق وجعل له أُناساً يعتنون به يعتنون بتعلّمه وتعليمه ويعتنون بنشره والدفاع عنه ، قال تعالى : ﴿ ...ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ محمد: ٤.

فالله عز وجل شرع الجهاد بالكلمة والقلم والجهاد بالسيف ، كلُّ ذلك لِحكمٍ ولتقوم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليرفع الله جل علا بعض عباده درجات ويتخذّ منهم شهداء ، فالله جلّ وعلا له في هذا حكمٌ عظيمة .يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في جلاء الأفهام :

(فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين واتباعهم وهم خلفاء الرسل في أممهم والناس تبع لهم والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما انزل اليه وضمن له حفظه وعصمته من الناس وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته اياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم لهم وقد أمر النبي بالتبليغ عنه ولو آية ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثا وتبليغ سنته إلى الأمة افضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس واما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه).

بيان ضعف حجج أعداء التوحيد

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولا تحزن ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء:٧٦]، والعامِّيُّ من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧٣] }.

الشرح:

فكل من تمسك بكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ ودعا إلى الله وإلى ما جاء به الرسول ﷺ فهو من جند الله، وكل من أعرض عن كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ وأقبل على الشهوات والشبهات فإنه من جند الشيطان، وجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسِّنان.

فبعد أن بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء ، وأن التوحيد لا بد له من أعداء ، وأن الأعداء فيهم العامي وفيهم من معه شيءٌ من العلم ، بعد أن بيّن هذا وبيّن أن هؤلاء يسلكون شتى السبل في الصدِّ عن سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ وفي حرب التوحيد وفي حرب أهله ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مطمئنًا ومبشراً الموحدين : (إذا أقبلت على الله).

الإقبال على الله : هو الإنشغال بعبادة الله وطاعته وتفويض الأمر إليه والإعراض عما سواه وترك الإلتفات إلى غيره مع التبرؤ من الحول والقوة .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : { ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته }

قوله : (وأصغيت) والعطف هنا من باب عطف الخاص على العام لأن الإصغاء إلى حجج الله وبيناته داخلٌ في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

و عطف الخاص على العام يُرادُ به التأكيد على أهمية الخاص .

وعطف خاصٍ بعد ذي عموم *** منبّهاً بفضله المعلوم

كعطف جبريل وميكال على *** ملائك قلت وعكسه جلا

و الإصغاء إلى حجج الله وبيناته المراد به أن تطلب العلم ، (أصغى إلى حجج الله وبيناته) يعني مال بسمعه لها .

قال : { فلا تخف ولا تحزن } ، فلا تخف من هؤلاء القاعدين على الصراط ، ولا تخف كذلك مما معهم فما معهم إلا الباطل ، و ما معهم إلا السراب كما قال ابن القيم :

وإذا تكاثرت الخصوم وصيحوا*** فأثبت فصيحتهم كمثل دخان

يرقى الى الأوج الرفيع وبعده*** يهوي الى قعر الحضيض الداني

ما معهم إلا الشبه دينهم مبني على الأحاديث الموضوعة والمكذوبة ، وإذا جاءوا بآية فسروها بغير تفسيرها ، وكذلك إذا جاءوا بحديثٍ صحيح كما

قال الله عَزَّ وَجَلَّ في بيان حالهم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران: ٧.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: { فلا تخف ولا تحزن ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾.}،

(كيد) مفرد مضاف يُفيد العموم، فمهما كاد ومهما جاء من أي طريق فإن كيده كما قال الله: (كَانَ ضَعِيفاً)، فكيده ضعيف، ولذلك تجد أن حججهم أوهى من خيط العنكبوت، والشأن في أن يُقبل الإنسان على الله عَزَّ وَجَلَّ، فإذا أقبل الإنسان على الله عَزَّ وَجَلَّ بطاعته وعبادته وبتفويض الأمرُ إليه وبالإعراض عما سواه فسينصره الله كما قال جل وعلا: ﴿ ...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ الطلاق: ٢ – ٣، وقال: ﴿ ...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ الطلاق: ٤، ومن كان حسبه الله فإنه لا يُغالَب، قال الله عن نبيّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ ...فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ التحريم: ٤، الشأن أن ينصر الإنسان الله عَزَّ وَجَلَّ وأن ينصر دين الله، وإن كادك أعداءُ الله من الكفار والملاحدة واليهود والنصارى

والشيوعيون :﴿ ...إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ النساء: ٧٦،

فالمؤمن لا يخاف منهم ولا من عددهم ، ولا عُددِهم ولا من أسلحتهم

لأنه يؤمن بهذا ﴿ ...إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ النساء: ٧٦،

فمهما صوّروا أنهم القوة التي لا تُغلب فالمؤمن الذي يقيس الأمور بكتاب

الله عَزَّوَجَلَّ يعلم أنهم ضعفاء ،﴿ ...إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ ، والشيطان مفرد

معرّف يدخل فيه كل شيطان من الجن أو من الإنس ، فالمؤمن الموحد

الذي أقبل على الله عَزَّوَجَلَّ لا يخافهم أبداً ا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ آل عمران:

.١٧٥

قال : { والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين } .

لو قال قائل أنت قلت :﴿ ...إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾،كيف

يكون كيده ضعيفاً وقد أغوى أكثر بني آدم ؟

الجواب : نقول له : نحن لم نقل هذا إنما الذي قال هذا هو الله عَزَّوَجَلَّ :﴿

...إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾، وصحيح أنه يُغوي أكثر بني آدم

كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ

وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٧، وجاء في الصحيح من

حديث أبي سعيد أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما حدَّث الصحابة بأن الله – عَزَّوَجَلَّ– يأمر

آدم يوم القيامة فيقول:"يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرِ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ الحج: ٢، [فاشتد ذلك عليهم] قالوا: يا رسول الله، وأيُّنا ذلك الواحد؟ قال: "أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُم رَجُلٌ وَمِنْ يَأْجُوج ومَأْجُوج أَلْفٌ". ثم قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ..." إلخ الحديث، يعني من كل ألفٍ ينجو واحد وهذا دليل على أنه أغوى ويُغوي أكثر بني آدم، ومع هذا يُقال: ﴿...إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾؟ نقول نعم، كما قال ابن القيم: (تالله ما عدا عليك العدو الا بعد ان تولى عنك الولي)، الوليُّ هو الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ الأعراف: ١٩٦، قال: (تالله ما عدا عليك العدو الا بعد ان تولى عنك الوليُّ فلا تظن ان الشيطان غلب ولكن الحافظ أعرض)، أعرض الحافظ وإلا لو كنت من المقبلين على الله سبحانه وتعالى لما كان للشيطان عليك من سبيل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ النحل: ٩٩ – ١٠٠، فالإعرض عن طاعة الله وترك الإنشغال بطاعته وعبادته هذا كله من طاعة الشيطان .

قوله : { يغلب ألفاً } ، هذا يُرادُ به الكثرة لا ذات الألف .

قوله : قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الصافات: ١٧٣، هذا دليل على أن العامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين.

العامي من الموحدين : هو الذي معه قواعد كلية ، وليس عنده أدلة تفصيلية ، وما معه من كثيرعلم يدفع به الشبهات ، ولا قدرة له على الجدال ، فمثلاً يسمع هذا العامي قوله تعالى ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١، فهذه قاعدة كلية فالذي خلق هو الذي يستحق أن يُعبد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، ولذلك إذا جاء الألف من علماء المشركين يدعون هذا إلى أن يعبد غير الله فإن سألهم سؤالاً واحداً هزمهم ، كأن يقول لهم هؤلاء الذين تدعوني لعبادتهم هل خلقوا مع الله شيئاً؟ فإن قالوا : لا ، قال إذن عبادتهم باطلة فالذي يستحق أن يُعبد هو الذي خلق هو الله .

ولذلك لما قال أحد دعاة الباطل لعامي من عوام الموحدين وأراد أن يدعوه إلى عبادة غير الله والتعلق بغيره عز وجل قال له : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ

قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩ ، فأراد أن يقول له هؤلاء أهل كرامة ، وهم أحياء عند الله، فقال له هذا العامي : الله جل وعلا قال :(يُرزقون)، والذي يُرزق لا يستحق أن يُعبد ، الذي يستحق أن يُعبد هو الرزاق ، وقال له لو أن الله جل وعلا قال : (يَرْزُقون) لدعوناهم وسألناهم ، ولكن قال :(يُرزقون)، فبُهِت

قال : { والعامِّيُّ من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ } .

جند : مفرد مضاف يُفيدُ العموم ، الجمع المضاف يُفيدُ العموم ، والمفرد مضاف يُفيدُ العموم ،هذه قاعدة أصولية قال الله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ... ﴿١١﴾ ﴾ النساء: ١١، هذا عموم في جميع الأولاد الذكور والإناث وهنا قال : (وَإِنَّ جُنْدَنَا) ،هذا عموم كذلك يدخل فيه العامي من الموحدين ، وحتى العصاة من الموحدين يدخلون في هذا وهم من جندِ الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٌ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر: ٣٢.

قوله : { ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ } ، وهذه الآية فيها حصر وقصر ، فالله جل وعلا حصرَ وقصرَ الغلبة في جنده ، قال :﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ

﴿١٧٣﴾، أصلها : (جُنْدَنَا الْغَالِبُونَ) ، جملة معرَفة الطرفين تفيدُ الحصرَ والقصرَ (جُنْدَنَا) جند ، جمع مضاف ، (الغالبون) معرفة بالألف واللام ، و(جُندْ) معرّفة بالإضافة ، فهذه جملة معرَفة الطرفين ، والجملة المعرّفة الطرفين من أساليب الحصرَ والقصرَ .

والله جل وعلا أكّدَ هذا بمؤكدين حتى لا ترتاب ، الأول : قوله : (وإنَّ) ، و الثاني : ضمير الفصل (هُمْ) ، قال : (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) فالعامي من الموحدين يدخل في هذا العموم :(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

.

قال الشيخُ : { **فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان** } .

فلا بد أن نعلم هذا ، ونؤكد على هذا وإن كان أهل الباطل وأهل الشرك وأهل الكفر قد يغلبون أهل الإيمان أحياناً ، ولكن العبرة بالعاقبة ، فالعاقبة والغلبة لأولياء الله ﷻ ولجنده.

والغلبة بالحجة والبيان لأهل الحق في كل زمان وفي كل مكان والنظرُ في هذا إلى المجموع فالإسلام الآن ظاهر في الحجة والبيان ، وأما الغلبة بالسيف والسنان فقد تكونُ لأهل الحق تارة ، وقد يُدال عليهم تارة ولكن العاقبة لهم .

قال : { **فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان** } .

فإذا نصرت الله نصرك الله ، فمن ظن أن الكفار يغلبون المسلمين دائما فقد ظن بالله ظن السوء ، ومن ظن أن الأمة تنتصر دون أن تنصر الله فقد ظن بالله ظن السوء ، لأن الله جل وعلا علَق النصر بسببه الذي هو نصرُه سبحانه .

وجهاد المبتدعة والردّ على الخصوم يحتاج إلى أمرين مهمين :

أحدهما : الإقبال على الله تعالى ، والتعلق به عز وجل ، والتوكل عليه .

والآخر : بذل الأسباب من التفقه والتعلم وإعداد العدة.

قال : { **وإنما الخوفُ على الموحّدِ الذي يسلكُ الطريقَ وليس معه سلاحٌ وقد مَنَّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله** ﴿ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] }

وهذا فيه بيان للمصدرالذي نستمد منه رد الشبهات فأننا نرد الشبهات بكتاب الله الذي جاء فيه الأمر بالأخذ بالسنة، فإذاً كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هم الأصلان في رد الشبهات قال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢ ، تمشي به في الظلمة فيضيءُ لك الطريق ﴿ ...وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ

نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ... ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٢٢) ﴾ الأنعام: ١٢٢ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا (٩) ﴾ الإسراء: ٩، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ (٢) ﴾ البقرة: ٢، وقال تعالى : ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا (٨١) ﴾ الإسراء: ٨١، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ (٤٨) ﴾ سبأ: ٤٨، وقال تعالى :﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) ﴾ سبأ: ٤٩، فكتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هما الأصلان في بيان وكشف كل باطل .

قال : { **وقد مَنَّ الله تعالى علينا بكتابه** } ، وهذه مِنّة عظيمة قال الله عز وجل :

﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ (٥٨) ﴾

يونس: ٥٨، قال بعض السلف : (فضل الله) يعني القرآن ، و(رحمته) أن جعلنا من أهله .

بيان بطلان حجج أهل الباطل بالقرآن :

قال : { فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)[الفرقان:٣٣]، قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة. } .

الشرح :

(حجة) نكرة منفية تفيد العموم ، وفي الآية قال : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) ، ف (مثل)نكرة منفية تُفيدُ العموم ، والمثل هنا يُرادُ به الشبهة ، والشبهة سُميّت مثلاً لسرعة انتشارها كما هو الشأن في الأمثال فالأمثال تنتشر بين الناس ويحفظونها ويتناقلونها دون أن تُكتب ،وكذلك تنتشر الشبهات في الناس ، وربما تأتي إلى مسجد وتقف أمام الناس وتذكر شيئاً مما كان عليه النبيُّ ﷺ وربما لا يتابعك على هذا أحد ، ويأتي مبطل يدعو الناس لبدعة ليس عليها من أثارةٍ من علمٍ فإذا بالناس يسمعون كلامه وينتشر فيهم قوله ، وقوله : (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) ،الحق الذي تنكشف به هذه الشبهة .

قال : { قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة. }) فوجه عمومها أن (مثل) نكرة مسبوقة بنفي .

أما قوله (إلى يوم القيامة) فهذه شاهدها قوله تعالى (وَلَا يَأْتُونَكَ) فهذا نفي مستمر ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ البقرة:

٢ ، وقال النبيُّ ﷺ : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي »، فالله جل وعلا تكفل بحفظ هذا الدين والرد على شبه المضلين فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا ووجد في القرآن ما يدحضها .

قال مسروق رحمه الله : (ما أحد من أصحاب الأهواء إلا في القرآن ما يرد عليهم ولكننا لا نهتدي له).

وقال الإمام الشعبي رحمه الله: (ما ابتدع في الإسلام بدعة إلا وفي كتاب الله ما يكذبه)

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (لو تدبر إنسان القرآن كان فيه ما يرد على كل مبتدع وبدعته).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : (فالقرآن قد دل على جميع المعاني التي تنازع الناس فيها دقيقها وجليلها) .

وقال السعدي رحمه الله: (أن الله تعالى تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل . وإن كان باطل قُبل وجودل به ، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان ما يدفعه فيضمحل ، ويتبين لكل أحد بطلانه (فإذا هو زاهق) أي مضمحل ،فإن هذا عام في جميع المسائل الدينية ، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولا نقلية في إحقاق باطل أورد حق إلا وفي أدلة الله من القواطع العقلية

والنقلية ما يُذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد ، وهذا يتبين باستقراء المسائل مسألة مسألة فإنك تجدها كذلك).

بيان موضوع الكتاب

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: { **وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا .** }.

الشرح :

بعد أن فرغ رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه المقدمة النافعة والتي هي عمدة في ردِّ غالب ما سيأتي من الشبهات شرع في موضوع الكتاب الذي هو الجواب عن أربعة عشرة شبهة يوردها أهل الباطل ويريدون بها صرفُ الناس عن دين الله الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، الذي هو التوحيد والذي هو إفراد الله بالعبادة ، وتوّريط الأمة في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشيخ : { **وأنا أذكر لك أشياء** } ، يعني : أذكرُ لك أدلة ، وهذه الأدلة قد اشتملت على قواعد وأصول أَرَدّ بها على شُبهِ أهل الباطل ،

قوله: { **جواباً لكلامٍ** } يعني جواباً لشبهٍ ، وقوله : { احتج به المشركون في زماننا علينا . } ، ولا يزالون يحتجون ويوردون الشبهات ويشككون في دين الله .

الرد على أهل الباطل بالإجمال وبالتفصيل

قال الشيخ : { فنقول : جوابُ أهلِ الباطلِ من طريقين } ، يعني الجواب على ما يورده أهل الباطل يكون من طريقين ، فتأمل قال : { فنقول : جوابُ أهلِ الباطلِ } ، فهذه فيها عموم ، ووجهه أن (أهل) مفرد مضاف يُفيد العموم وكأنه يقولُ : هذه القاعدة في الردِّ على جميع أهل الباطل على إختلاف مناهجهم وتنّوعِ شبهاتهم وباطلهم

قال : { مُجْمَلٍ ، ومُفَصّلٍ } .

الأول : الجواب المجمل :

المجمل : ويُرادُ به القاعدة العامة أو البرهان أو الدليل العام الذي يُصلح أن يكون جواباً لكل شبهة يوردها أهل الباطل ، وكما قيل : بالمثال يتضح المقال ، فمثلاً قال الله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الفرقان: ٥٨ ، فهذه الآية فيها برهان ودليل ، وقاعدة عامة وهي أن الذي يستحقُّ أن يُتوكل عليه هو الحي الذي لا يموت ، وعرفنا هذه القاعدة من هذه الآية { وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ فإن جاءك دجالٌ من الدجاجلة يذكر لك شيئاً من القرآن أو شيئاً من نصوص السنة يُريد بذلك أن يصرفك عن التوحيد ويدعوك إلى أن تتوكل على غير الله وإلى أن تتعلق بغيره ﷻ وأنت في

ذات الوقت لا تعرف معنى ما ذكره لك من القرآن ، ولا تعرف كذلك ما ذكره لك من السنة أصحيحٌ هو أم ضعيف ، وإن تثبّت صِحتهافهل هي دليل على ما أمرك به ؟ فماذا أنت فاعل ؟، هذا ما أراده الشيخُ ، فأنت عندك قاعدة كلية ، فتقول لهذا الدجال ما دعوتني إلى التعلق به والإعتماد عليه والتوكل إليه أحيٌّ هو أم ميّتٌ أم جماد ؟

أنت عندك قاعدة كلية لا تلتفت إلى ما ذكره من النصوص من القرآن أو من السنة لا سيما وأنت لا تعلم معناها ، فتسأله هذا السؤال ، فإذا قال لك : هو ميت ، فقل له إن الله أمرني أن أتوكل على الحي وهذا ميت، وإن قال لك هذا الذي أدعوك إلى أن تتوكل عليه جماد تقول له أن الله أمرني أن أتوكل على الحي وهذا جماد ، وإن قال لك هذا الذي أدعوك إلى أن تتوكل عليه وأن تعتمد عليه حيٌّ ، فقل له : أ هو حيٌّ يموت أم لا يموت ؟ فإن قال لك هو حيٌّ يموت ، فقل له إن الإعتماد والتوكل يكون على الحي الذي لا يموت وبذلك تكون قد سلمت من شره وشبهاته فهذا أمرٌ مجمل وقاعدة كلية ، فإن أجلب عليك برجله وخيله وجاء بما جاء من الأدلة فإنه لا يُلتفتُ إليها ، ولا يُنتقل عن هذا الأصل لأجل شبهاتهم و كذلك من القواعد الكلية أو من البراهين والأدلة العامة أن الذي يستحق العبادة هو الخالق ، قال الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ البقرة: ٢١، وقال الله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ الأنعام: ١٠٢، فهذا برهان عامٌ وقاعدة كلية ، فإن جاءك دجالٌ من هؤلاء القبوريّين الذين يعلقون الناس بغير الله ويدعون الناس إلى صرف العبادة أو صرف شيئاً منها لغير الله ، فأتى بشيءٍ من الأدلة التي يدعي أنها تُجيزُ لك أن تدعو غير الله أن أن تحلف بغير الله أو أن تستعين بغير الله وأنت لا تفهم هذه الأدلة وإن كانت من القرآن وأنت لا تفهم ماذكره ، وإن كان من السنة وأنت لا تعلم صحتها فتبقى على هذا الأصل ، تقول له : هذا الذي تدعوني إلى أن أستعين به وإلى أن أستغيث به وإلى أن أحلف به وإلى أن أتوكل عليه ، أخالقٌ أم هو مخلوق ؟ فإن قال هو مخلوق ، فقل له إن الله تعالى أمرني أن أعبد الخالق ، أو الذي يستحق أن يُعبد هو الخالق وحده لا شريك له فهذا ما أراده الشيخ .

قوله : { أما المجمل : فهو الأمرُ العظيمُ ، والفائدةُ الكبيرةُ لمن عقلها } .

قدم الشيخ الجواب المجمل لأمرين :

الأول : لسهولته على العامي وعلى طالب العلم وعلى العالم .

الثاني : أن المجمل فيه ردٌ لجملة من الشبهات بخلاف المفصل ، فالمفصل رد على شبهٍ معينة .

قوله : { أما المجمل : فهو الأمرُ العظيمُ ، والفائدةُ الكبيرةُ لمن عقلها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٞ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ

ﭐلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾[آل عمران : ٧] } .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { قوله تعالى } : (هو) أي الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي أنزل عليك يا أيها النبيُّ (الكتاب منهُ) و (من) هنا للتبعيض (منه آياتٌ محكمات) .

المحكم من القرآن : هو البيّن الواضح الذي لا يلتبس على أحدٍ .

فهذه المحكمات البيّنات الواضحات هي التي قال الله فيها : (هنّ أم الكتاب) ، يعني : هن أصلُ الكتاب الذي يُرّدُ إليه ما اشتبه وما أشكل ، وهذه هي طريقة العلماء ومن نسج على منوالهم من طلبة العلم من أهل الحق والهدى أنهم يردّون ما اشتبهُ إلى المحكم .

فالنصارى مثلا يستدّلون على تعدد الآلهة بقوله :﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ الحجر: ٩، يقولون ، (نحن) والضمير (نا) هذه ضمائر جمع ،﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ﴾،وهذا في لغة العرب يحتمل أمرين :

الأول : أن يكون للمتكلم ومعه غيره ومعه من شاركه .

الثاني : أن يكون للمتكلم الواحد المعظم لنفسه .

فهذا أشتبه عليه فيُرُدُّ إلي البيّن الواضح، كيف يستدل بهذا على تعدّد الآلهة وعندنا قوله تعالى :﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾ الإخلاص: ١،

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ البقرة: ١٦٣ ،وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ النحل: ٥١،فالواجب أن يُردُّ هذا إلى المحكم ،وقال الله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣،فهذه ترد للآيات التي فيها بيان أن هذا لمن تاب قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ طه: ٨٢، وتُرد للآيات التي فيها أن هذا فيمن لم يمت على الشرك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨، فعلم من هذا أن الله جل وعلا يغفر الذنوب جميعاً وهذه في حقِّ التائبين ،فمن تاب من أيِّ ذنبٍ من الذنوب فالله جل وعلا يغفر له ، أما من مات وهو على الشرك .فإن الله لا يغفر له لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨، ولقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ محمد: ٣٤.

قوله : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾ ، فمن القرآن ما هو متشابه .

المتشابه من القرآن : هو ما خفي علمه على غير الراسخين .

قوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ ﴾ ،إذاً من القرآن ما هو محكم ومنه ما هو متشابه والله جل وعلا بيّن لك طريقة أهل الهدى مع المحكم والمتشابه ،وبيّن لك طريقة أهل الزيغ ، فبيّن طريقة أهل الهدى حضاً عليها ، و بُيّنُ طريقة أهل الزيغ تنفيراً وتحذيراً منها .

قوله : (زيغٌ)، والزيغُ : هو الميلُ عن الحقِّ إلى الباطل

قال : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ ، فهؤلاء يتركون المحكم الواضح البيّن ويأخذون بالمتشابهات ، قال النبيُّ ﷺ : (الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)) الحديث ، وفي حديث آخر ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))، وكذلك فإن من لم يتق المتشابه هذا بردّه إلى المحكم وفهمه على ما اتضح وبان من المحكم فسيصير من الهلكة .

قال : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ ، يتبعون المتشابه لماذا؟ قال تعالى : ﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ يعني طلباً لفتنة الناس عن دينهم يريدون أن ينفروا الناس ويصدوهم عن دينهم ، ﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ

تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾ ،والتأويل هنا يُرادُ به صرف القرآن عن المراد إلى معان لم يردها الشارع فيصرفونه عن المراد إلى معانٍ فاسدة ، فيلوون أعناق النصوص لتوافق شركهم ولتوفق بدعهم ، ولتوافق تحليلهم لما حرّم الله ، وأما طريقة الراسخين ففي قوله : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ آل عمران: ٧ ، فالراسخون في العلم يردون ما أشكل وما أشتبه ، وما خفي معناه إلى المحكم الذي هو البيّن الواضح الذي لا يلتبس .

قال ابن القيم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : (قسم الله سبحانه الأدلة السمعية إلى قسمين : محكم ومتشابه ، وجعل المحكم أصلاً للمتشابه وأُماً له يرد إليه ، فما خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يرد إلى المحكم ،وقد اتفق المسلمون على هذا ، وأن المحكم هو الأصل والمتشابه مردود إليه).

قال : { وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابهه منهُ فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) } .

متى ما كنت في أي مكان ووجدت هذا الصنف من الناس فعليك أن تحذره كما قال الله : ﴿ ...شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢ ﴾ الأنعام: ١١٢، وهذا فيه أن الواجب عليك أن تترك ما كتبوا و حاضروا

و درسوا ، تترك هذا كله لا تلتفت إلى أحد منهم، وجاء في الشريعة للآجُرّي عن عمر قال : (إن ناساً يجادلونكم بمتشابه القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى) ، وجاء في رواية قال عمر بن الخطاب : (لا تجادلوهم بالقرآن فإنه حمال وجوه ولكن حاجوهم بالرواية)، وكما قال الشافعي : (مَنْ حفظ السنة قَوِيَتْ حُجَّتُهُ) ، فيجب على الإنسان أن يحذرهم حفاظاً على دينه ،(إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابهه منهُ فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)، هم أصحاب الزيغ الذين يريدون أن يفصلوا المسلمين عن دينهم والذين يريدون أن يصرفوا معاني القرآن ومعاني السنة عما أراد الله جل وعلا بها ورسوله .

قال : { وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابهه منهُ فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم).

مثال على الجواب المجمل

قال الشيخ : { **مثالُ ذلك : إذا قال لك بعضُ المشركين : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [يونس : ٦٢]** }.

وقد وجدنا هذا فنكون أحياناً في بعض المحاضرات وفي بعض الحِلقْ ونحن نذكر ونسرد الأدلة الدالة على أن العبادة حقُّ الله وأنه لا يجوز أن يُدعى الأنبياء والأولياء ولا من سواهم فتسمع بعضهم يأتي يقف قليلاً

فإذا به يذكر هذه الآية (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

قال الشيخ : { أو إنَّ الشفاعةَ حقٌ ، أو إنَّ الأنبياءَ لهم جاهٌ عندَ اللهِ ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يَستدلُ به على شيءٍ باطلهِ ، وأنت لا تفهم معنى الكلامِ الذي ذكرَه } .

يذكر لك هذه الآية أو يذكر لك شيئاً من حديث النبي ﷺ وهو يقول لك : أن الأولياء يجوز أن يُدعو وأن يُحلف بهم وأن يُستغاث بهم وأن يُستعان بهم أو أن يُذبح لهم ، وأن يُطاف بقبابهم وقبورهم ، وأن يُتمّسح بترابهم وأن يؤكلَ من طينها ، وأن يُطلبَ منهم ما لا يُطلبَ إلا من الله سبحانه وتعالى يريدُ أن يقرّر لك هذا ، فما دليله ؟

يأتيك بهذه الآية أو يأتيك بشيءٍ من حديثِ النبيِّ ﷺ إذا انفلتت دابة أحدكم بفلاةٍ فليقل يا عباد الله احبسوا ، ويقول لك قال رسول الله ﷺ : (إذا اعتقد أحدكم في حجرٍ نفعه) ، يأتيك بأشياء من هنا وهناك وأنت قد لا تفهم ما جاء به وأنت لا تعرف صحة ما جاء به .

قال : { فجاوبهُ بقولكَ : إن الله ذكرَ في كتابه أنَّ الذين في قلوبهم زَيْغُ يتركونَ المحكمَ ويتبعونَ المتشابهَ } معنى كلام الشيخ أنك إذا كنت على معرفة بالجواب المفصّل فجاوبه جواباً مفصلاً وناقش أدلته دليلاً دليلاً ، وانقض ما ذكره ووبين له الحق ، أما إن كنت لا تعرف معنى ماذكره فإنك

تلجأ إلى الجواب المجمل ، فالجواب المجمل لا يُلجأُ إليه ويُصارُ إليه إلا إذا عُدم معرفة الجواب المفصّل ، ولذلك نجد أن الشيخ رحمه الله سلك في هذا الكتاب طريق الجواب المفصّل كما سيأتينا في ردّه على الشبهات فإنه ردها بأجوبةٍ مفصلة.

قال : { فجاوبهُ بقولكَ } :يعني إن كنت لا تعرف معنى الكلام الذي ذكره ، فتسلك في الرد عليه الطريق المجمل .

والشيخ لما ذكر هذه الآية وهي قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ آل عمران: ٧، أراد أن يقول لك أن الآيات المحكمات بمنزلة المجمل بجامع البيان الوضوح في كل ، وأن الآيات المتشابهات بمنزلة الشبهات بجامع الخفاء وعدم الوضوح في كل فكما أننا على طريقة أهل العلم في رد الآيات المتشابهات للمحكم فكذلك نرد الشبهات إلى المجمل وهذه هي طريقة أهل العلم ومن سار على طريقتهم .

قوله : { وما ذكرته لك } .

يقول لك أن الأنبياء الصالحون لهم جاهٌ ومنزلةٌ عند الله وأنهم يشفعون عند الله فنحن نجعلهم واسطة بيننا وبين الله لأجل هذا ، ولأجل أن يقرّبونا إلى الله ، ولأجل أن يشفعوا لنا عندهُ .

قوله : { وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس : ١٨] هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرت لي – أيها المشرك – من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ﷻ ، وهذا جواب جيد سديد }

يعني نحيله إلى القاعدة العامة البينة الواضحة التي دلت عليها نصوص القرآن والسنة من أن المشركين الذين استحل النبيُّ ﷺ دماءهم وأموالهم ، كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المدبّرُ ، وأن الله جل وعلا هو الذي يستحقُّ أن يُعبد لكن كانوا يعارضون ويستنكفون عن أن يُفرد بالعبادة ، وإلا فقد كانوا يعتقدون أن الله يُعبد ويعتقدون أن الله هو الإله الأكبر ، وأن الآلهة التي تُعبد من دونه إنما هي وسيلة للوصول إلى الإله الأكبر هذه عقيدتهم ، هذا أمرٌ محكمٌ بيّنٌ ، ومع هذا فالله جل وعلا كفّرهم وحكم بكفرهم لأجل أنهم جعلوا وسائط بينهم وبين الله يعبدونهم هذا أمرٌ محكمٌ بيّنٌ ، ولا يمكن أن أترك هذا الأمر المحكم ،والله

جل وعلا قد بيّن لي أن السبب الذي كفر به أؤلئك واستحل به النبيُّ ﷺ دماءهم وأموالهم هو عبادتهم لغير الله ﷻ على جهة الوسائط ، وأنهم عبدوا هؤلاء الوسائط لأجل أن يقربّوهم إلى الله ، وإني إن فعلتُ ما تدعوني إليه فقد سلكتُ مسلك المشركين ، وإني بهذا استحقُّ ما استحّقهُ المشركون قال تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾ يونس: ١٨ قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ الزمر: ٣، فالله حكم بكفرهم كما قال تعالى : ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾، فحكم بكفر من عبد غير الله يُريدُ شفاعته ويُريدُ القرب من الله تعالى هذا أمرٌ محكم .

وأنه كفرّهم ، ما السبب ؟ السبب أنهم كانوا يقرون بالربوبية وأنه الخالق هو الله وحده والرازق وحده والُمحي والمميت وحده وهو الذي يُنزل المطر وحده ، وكانوا يتعبّدون لله بأنواعٍ من العبادات ، فإن الواجب على

الإنسان العاقل أن يبحث عن السبب الذي أحلّ دماءهم وأموالهم ، فالسبب هو الشرك في الألوهية ، لأنهم عبدوا الله وعبدوا غيره .

قوله : {وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء} ، إذاً مقصودهم الأعظم هو الله .

قوله : {هذا أمرٌ محكم لا يقدرُ أحداً أن يغيّر معناه} ، هذا أمرٌ محكم دلت عليه نصوص القرآن والسنة في أن السبب الذي أحلّ دماء وأموال المشركين ، والذي سُّموا لأجله بالمشركين ، أنهم عبدوا الله وعبدوا معه غيره ، أنهم أشركوا غير الله بالله في عبادته وهذا الذي كانوا يقولوه كما في تلبيتهم [لبيك لا شريك لك ، قال فيقول رسول - ﷺ -: (ويلكم قد قد) فيقولون : إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ؛ يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت] رواه مسلم ، (إلا شريكاً هو لك) هذا الإستثناء هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم .

قوله : {وما ذكرت لي - أيها المشرك - من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض} .

أنت عندك قاعدة ، الذي عندك أن خصومة الأنبياء مع من بُعِثوا إليهم في إفراد الله بالعبادة ، وأن أؤلئك أشركوا غير الله بالله فعبدوا غير الله لأجل القربة والشفاعة ، وقد سمّاهم الله مشركين بهذا ، وأحلّ دماءهم بهذا ، وسماهم كافرين بهذا ، وهذا يأتيك بشيءٍ من نصوصِ القرآن أو بشيءٍ من

نصوصِ السنة حتى يجعلك على عقيدة ودين المشركين ، ويزعم أن هذا هو الصلاح وهذا هو الطريق إلى الله ﷻ وهذا تناقض ، الشرك الذي سمّاهُ الله شركاً وحكم على أهله بالشرك والكفر ، الذي سمّاهُ الله كفراً وحكم على أهله بالكفر وكل ذلك في القرآن فهل يمكن أن نجد في القرآن أيضا آيات تدل على أن هذا إسلام ، وأن أهله مسلمين ، وأنه الطريق إلى الله ﷻ هل هذا يكون ؟ هذا لا يمكن هذا تناقض في أصل دعوة الأنبياء

ولذلك تقول له : { وما ذكرت لي – أيها المشرك – من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ولكن أقطع.} ، هذا هو الرجوع إلى المجمل وإلى القواعد الكلية وإلى البراهين العامة في ردِّ الشبهات ، {ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض} ، هذا أمرٌ محكم كلام الله لا يتناقض ، لا يُمكن أبداً أن يحكم ربنا ﷻ على قول أو فعل أو اعتقاد بأنه شرك ويسمّيه شركاً و يسمّيه إسلاما ، لا يمكن أن يحكم بكفر وشرك من دعا غيره ، و يحكم بإسلام من دعا غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو ، هذا لا يمكن ، قال الله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢، فكلام الله لا يتناقض

وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

قوله : { وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل .}، كلام النبي ﷺ كذلك لا يتناقض كما قال ابن القيم رحمه الله:

ما بين ألفاظ الرسول تناقض ... بل ذاك في الافهام والاذهان

التناقض في ذهنك أنت وفي فهمك أنت أما في كلام الله وفي كلام النبي ﷺ فلا تناقُض ، وكذلك لا يمكن أبداً أن يخالف كلام النبي ﷺ كلام الله ، قال الله جل وعلا عنه : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٥، .

قال : { وهذا جواب جيد سديد } ، وهذا الجواب المجمل .

قال :{**ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به ، فإنه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت : ٣٥]** .}.

فعليك أن تعلم أنه ما حصلت لك الهداية إلى توحيد الله بسعة علمٍ ولا بقوة فهمك ولا بجمال صورتك وهيئتك وإنما ذلك من فضل الله وتوفيقه عز وجل ، قال تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ ...إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يوسف: ٣٧، هذا فضل الله كما قال الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحجرات: ١٧، كلُّ

ذلك من توفيق الله عَزَّ وَجَلَّ، فمن توفيق الله لك أن هداك للتوحيد ، ومن توفيق الله لك أن جعلك تطلب العلم وسلك بك سبيل طلب العلم كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)، فالله جل وعلا هو الذي أراد لك وبك الخير لا بحولك ولا بقوتك .

قال :{ **ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به** } ، فلا تستهن بهذا الجواب المجمل .

قال :{ **فإنه كما قال تعالى** : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [**فصلت : ٣٥**] .}، (وما يلقاها) الضمير هنا راجع إلى صفة الدفع بالتي هي أحسن ، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل ردّ الشبهات بهذا الجواب المجمل من الدفع بالتي هي أحسن ، قال الله :﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ .

الثاني : الجواب المفصل :

قال : { **وأما الجواب المفصلُ : فإن أعداءَ الله لهُمُ اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دينِ الرسلِ يصدونَ بها الناسَ عنهُ** .}

يعني لهم شبه كثيرة (على دينِ الرسلِ) اعتراضاتهم هذه على دين الرسل وهم مساكين ، يظنون أنهم يعادون بهذا ما يُسمّونهم بالوهابية يظنون أن عداءهم هذا عِداء لذوات وأشخاص الوهابية وهم في الحقيقة يعادون

رسل الله ، وإن كان الرسول حيّاً لعادوه ، لأن الوهابية إنما يسلكون مسلكه في الدعوة إلى توحيد الله ، وإلى حرب الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهؤلاء في حقيقة أمرهم يعترضون على دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويعترضون على دين الرسول ، بل ودين الرسل جميعاً الذي هو التوحيد .

قال : { **يصدونَ بها** .} بهذه الشبهات ، { يصدونَ بها الناسَ عنهُ .} ، يصدونهم عن دين الرسل الذي هو التوحيد ، فهم يصدون الناس عن التوحيد ، إذاً الشيخ رحمه الله بيّن لك الغاية والمقصد لهؤلاء الشياطين من إيرادهم للشبهات أنهم يريدون بذلك أن يصدوا الناس عن دين الرسل الذي هو التوحيد قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴿٣٤﴾ ﴾ التوبة: ٣٤ ، (الأحبار) هم علماء السوء والضلالة ، و(الرهبان) ، العبّاد الذين جلسوا في التكايا والزوايا يُظْهرون للناس التعبّد ، ويُظْهرون للناس الزهد في الدنيا ، ﴿ ...وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ ، (ليأكلون) بالفعل المضارع ، يأكلون أموال الناس وهم في استمرار ، يأكلون أموال الناس بالباطل ، أنت تريدُ الولد ؟ تعال وأدفع ، وهكذا ، الكل ياتون ويدفعون تحت السجادة ، ويقولون لك هذا الشيخ أنظر إلى ملابسه ، أنظر إلى ثوب الشيخ انظر إلى زهده ، والشيخ

يركب أفخم السيارات وجالس يأكل أموال الناس بالباطل ، وعندهم علماء سوء وضلالة ، إذا أرادوا التعلّق بالأولياء أجازوا لهم ذلك ، رجل اسمه حسن عبدالعزيز هلك قبل فترة كان يُنصِّب نفسه مفتياً ويأتون به في الإذاعة ، وأتصل عليه أحد الناس وقال له : (ما حكم دعاء الأولياء والصالحين ؟) ، قال له : يجوز ،و يهنئه على هذه العقيدة الشركية ، فهؤلاء هم علماء السوء والضلالة .

قال : { ويصدّون } : إذاً هم كُثر وهم موجودون ، وهم على استمرار في أكل أموال الناس بالباطل وفي الصدِّ عن سبيل الله ، ورأسُ سبيلُ الله هو التوحيد .

الشبهة الأولى

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: { وأما الجوابُ المفصلُ : فإن أعداءَ الله لَهُمُ اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دينِ الرسلِ يصدونَ بها الناسَ عنهُ ، منها قولُهم : نحنُ لا نشركُ بالله ، بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ ، وأن محمداً ﷺ لا يملكُ لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيرِه ، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ الله ، وأطلبُ من الله بهم.} .

ومرجع هذه الشبهة : إلى الجهل بحقيقة الشرك ، ووجه ذلك أنهم حصروا الشرك في الربوبية .

يقول العلاّمة ابن القيم رحمه الله:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتّخاذ النِّدِّ للرحمن أيّاً ... كان من حجر ومن إنسان

يدعوه أو يرجوه ثمّ يخافه ... ويحبه كمحبة الديّان

قوله : {منها } ، (من) هنا للتبعيض ، وهذا يدلُّك على أن الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما استقصى جميع شبهاتهم ، كما ذكر ذلك الشيخُ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تيسير العزيز الحميد) فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ولكن لعُبّاد القبور شبهات ذكر المصنّفُ كثيراً منها في كشف الشبهات ونحن نذكر منها هنا مالم يذكره) ، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من شبهاتهم في التيسير وأجاب عليها .

قال : { قولُهم : نحنُ لا نشركُ بالله ، بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُ إلا الله وحدَه لا شركَ لهُ ، وأن محمداً ﷺ لا يملكُ لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيرِه ، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ الله ، وأطلبُ من الله بهم.} .

عليك يا طالب العلم حينما تطالع هذه الشبهات أن تقرأها جيّداً وتفهم معاني ما ذكروا ثم لا بد لك أن تعرف مردَّ ومرجع الشبهة ، فإذا عرفت مردَّها ومرجعها فإنه يسّهلُ عليك بعد ذلك أن تردّ عليها .

قوله : { قولُهم : نحنُ لا نشركُ بالله ، بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُ إلا الله وحدَه لا شركَ لهُ ، وأن محمداً ﷺ لا يملكُ لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيرِه ، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ الله ، وأطلبُ من الله بهم.} .

مرجعُ ومردُّ هذه الشبهة إلى الجهل بحقيقة الشرك والتوحيد ، والجهل بمعنى (لا إله إلا الله) والجهلُ بمعنى : (الإله) ، فالذي يفسّرُّ الإله بأنه الخالق الرازق المالك المدبر القادر على الاختراع هذا يكون قد حصل عنده تحريف لمعنى (لا إله إلا الله) فنتج عن ذلك هذا الخلط .

فالإله معناه : المعبود في القرآن وفي السنة وفي لغة العرب وفي جميع قواميس اللغة العربية ، وكذا في كلام من يعتد بكلامه من المفسّرين والعلماء .

قال : { نحنُ لا نشركُ بالله بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُ إلا الله وحدَه لا شركَ لهُ ، وأن محمداً ﷺ لا يملكُ لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيرِه ، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ الله ، وأطلبُ من الله بهم. } .

فهؤلاء كما ترى نفوا عن أنفسهم الشرك وأثبتوا لها التوحيد ، ولو صدقوا فيما قالوه فإنهم يكونون بذلك قد أقرّوا بنوعٍ واحدٍ من أنواعِ التوحيد لأن الشرك عندهم أن تجعل لله شريكاً في الخلقِ أو في الملكِ أو في الرزق أو في التدبير ، والتوحيد عندهم أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يُميت إلا الله ، ولا يدبّرُ الأمر إلا الله ، وقد حصل عندهم هذا الخلل بسبب أنهم فسّروا (لا إله إلا الله) بأنه لا خالق ، ولا رازق ولا مدبّر إلا الله ، فعندهم لو أنك ذبحت لوليٍّ أو دعوت وليّاً أو أستعنت بوليٍّ وأنت لا تعتقدُ أن هذا الوليَّ يخلقُ أو يرزق أو يدبّر الأمور فإنك على التوحيد و لا يضرّك ذلك ولكن من عرف التوحيد يعلم أن الذي يدعو غير الله ويعتقد أن هذا الذي دعاهُ يخلق أو يرزق أو يملك أن يجلب نفعاً أو يدفع ضراً يقول لك هذا قد أشرك بالله من وجهين :

الأول : أنه صرف العبادة لغير الله ﷻ وهذا شركٌ في الألوهية ، لأن توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة ، فالذي دعا غير الله ﷻ لم يفرد الله بالعبادة بل جعل شريكاً لله في العبادة ، فإن اعتقد أن هذا الذي

دعاه يملك أن يجلب له نفعاً أو أن يدفع عنه ضراً فإنه يكون قد أشرك بالله ﷻ في ربوبيته، فمن جعل لله شريكاً في أفعاله فقد أشرك بالله ﷻ في ربوبيته .

إذاً حاصل ما عندهم أنهم أقروا لله بالربوبية وجعلوا بينهم وبين الله وسائط يدعونهم ويستعينون بهم ويستغيثون بهم ويصرفون لهم العبادة لأجل أن يقربوهم إلى الله ويشفعوا لهم عنده .

قوله : { وأطلبُ من الله بهم.} ، يعني بإتخاذهم وسائط تُعبد لأجل الشفاعة ، ولأجل أن يقرّبوهم إلى الله ، فالذي يقول هذا الكلام يجهل حقيقة الشرك ، لأن الشرك في تعريفه العام هو جعلُ ندٍ أوجعل عدل أو جعلُ شريكٍ لله تعالى في حقه .

وحقُّ الله تعالى ثلاثة أنواع :

الأول : حقُّ لله في الإلاهية وهو أن يُفرد بها .

الثاني : حقُّ لله في الربوبية وهو أن يُفرد بها .

الثالث : حقُّ لله في أسمائه وصفاته وهو أن تثبت له ويفرد بها من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل .

فمن أشرك غير الله بالله في عبادته فإنه يكون مشركاً بالله في الألوهية ، ومن أشرك غير الله بالله في أفعاله فإنه يكون مشركاً بالله في الربوبية ، ومن

جعل صفة الله لغيره أو سمى غير الله بأسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المختصة به فقد أشرك غير الله بالله في أسمائه وصفاته .

والتوحيد :أن يُفرد الله بأفعاله وأن يُفرد بالعبادة وأن يفرد بما له من الأسماء والصفات ، فلابد من أن نفرد الله بها جميعاً ، فإنك إن أفردته بأحدها أو ببعضها دون بعضٍ فإنك لا تكون مسلماً ولا موحدا بل تكون ضالا مشركا ، فتوحيدهم لله في الربوبية وحده لا يكفي في الدخول في الإسلام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإقرار المشرك بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه : لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقترن به إقراره بأنه لا إله إلا الله فلا يستحق العبادة أحد إلا هو) الفتاوى (٣/ ١٠٥) .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين : (وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عبّاد الأصنام مقرّين بذلك وهم مشركون، بل إن التوحيد يتضمن - من محبة الله والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال) .

فلا تكون موّحداً ولا تكون ناجياً من الشرك إلا بأن تأتي بأنواع التوحيد الثلاثة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَأَنَّ مُجَرَّدَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ اللهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ لَا يَكُونُ تَوْحِيدًا حَتَّى يَشْهَدَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ ....وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين) الفتاوى (١٠١ /٨)

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦.

قَالَ عِكْرِمَةُ : (تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَيَقُولُونَ اللهُ وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ وَهَؤُلَاءِ يَدَّعُونَ التَّحْقِيقَ وَالْفَنَاءَ فِي التَّوْحِيدِ وَيَقُولُونَ إنَّ هَذَا نِهَايَةُ الْمَعْرِفَةِ وَإِنَّ الْعَارِفَ إذَا صَارَ فِي هَذَا الْمَقَامِ لَا يَسْتَحْسِنُ حَسَنَةً وَلَا يَسْتَقْبِحُ سَيِّئَةً لِشُهُودِهِ الرُّبُوبِيَّةَ الْعَامَّةَ والقيومية الشَّامِلَةَ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ وَقَعَ فِيهِ مِنْ الشُّيُوخِ الْكِبَارِ مَنْ شَاءَ اللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : { وَهَؤُلَاءِ غَايَةُ تَوْحِيدِهِمْ هُوَ تَوْحِيدُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَنْهُمْ : ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤ – ٨٩ ، . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَئِن

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبوت: ٦١.

قوله : { وهم يعبدون غيره } ، هذا شركهم أنهم يعبدون غير الله .

قال الشنقيطي في أضواء البيان: (فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدبر شؤونهم، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه).

و قال الشنقيطي في أضواء البيان في قوله تعالى: { ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ ، قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعامر الشعبي، وأكثر المفسرين: إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته }.

فقولهم : { نحن لا نشرك بالله }، نسألهم ماذا تسمّون قصدكم للأولياء والصالحين وجعلكم إياهم وسائط تُعبد لأجل طلب القربة والشفاعة هذا ماذا تسمونه؟ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد سماه شركاً قال الله عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يونس: ١٨، فسمى الله جل وعلا عبادة غيره معه طلباً للشفاعةُ شركاً، فقال جل وعلا :

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، وقد حكم الله بكفر من عبد غيره

لأجل طلب القربة فقال تعالى: ﴿... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ

مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ

يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ الزمر: ٣،

قوله : (أولياء) يعني معبودين، والدليل على أن كلمة أولياء معناها

معبودين أنهم قالوا : ﴿...مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ

بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ

٣﴾ ، فحكم الله بكذبهم لادعائهم أن الله لا يُوصلُ إليه إلا بواسطةٍ

تُعبد ، وحكم بكفرهم لأنهم صرفوا العبادة لغير الله .

قال : { نحنُ لا نشركُ بالله بل نشهدُ } ، إذاً قولهم : (نحنُ لا نشركُ بالله

)، إن صدقوا في أنهم يعتقدون أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يجلب المنافع ولا

يدفع المضار إلا الله ، وأن النبيَّ ﷺ وهو من هو في المنزلة والمكانة عند

الله لا يملكُ لنفسِهِ شيئاً فضلاً عن غيره كما جاء ذلك في القرآن : ﴿قُلۡ

إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾ الجن: ٢١ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا

وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ

وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ الأعراف: ١٨٨

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ

﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يونس: ٤٩، هذا ما قاله وصرّح به ﷺ فإن كانوا صادقين في هذا فهم آمنوا ووحدّوا الله ﷻ بنوعٍ واحدٍ من أنواع التوحيد وهو توحيد الربوبية ، وإلا فإن الكثير من هؤلاء لا سيما في هذه الأزمنة جعلوا لله شركاء في فعله ، فاعتقدوا أن غير الله ﷻ يرزق ، وأن غير الله ﷻ يهب الذرية وأن غير الله ﷻ يُنزل المطر ويُنبت النبات ويحفظ ويشفي المرضى ، ويفرّج الكروب إلى غير ذلك ولكن نقول تنزلا إنهم إن صدقوا في هذا ، فهم لا يشركون بالله في الربوبية فقط ، ويوحدون الله سبحانه وتعالى في ربوبيته فقط وهم مُشركون بالله في ألوهيته.

الكشفُ عن شبهتهم :

قال الشيخُ : { فجاوبهُ بما تقدّم } : الذي تقدم هو أن المشركين الأولين كانوا يُقرّون بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يُحيي ولا يُميت ولا يملك جلب المنافع ودفع المضار إلا الله ، وقد مضت الأدلةُ على هذا ، وأن أصل الخلاف بينهم وبين الرسل في أنهم جعلوا وسائط يعبدونهم مع الله ، إذاً فما عليه المتأخرون هذا هو عين ما عليه المشركون الأولون ، وهذا هو دين المشركين الذين سماهم الله به مشركين

قوله : { فجاوِبهُ بما تقدمَ : وهو أن الذين قاتَلَهم رسولُ الله ﷺ، مقرونَ بما ذكرتَ ، ومقرونَ أن أوثانَهم لا تدبرُ شيئاً ، وإنما أرادوا الجاهَ والشفاعةَ ، واقرأ عليه ما ذكرَ اللهُ في كتابِهِ ووضَّحَهُ .} .

قوله : {مقرون بما ذكرت } ، أي : يا صاحب الشبهة .

قال صاحب الشبهة : { ، بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُ إلا الله وحدَه لا شركَ لهُ ، وأن محمداً ﷺ لا يملكُ لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيرِه ، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ الله ، وأطلبُ من الله بهم} .

نقولُ له : ما أنت مقرٌ به قد أقرّ به المشركون فهل دخلوا به في الإسلام ؟ لا بل هم مشركون مع هذا الإقرارولم تقع الخصومة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأولين في أن الله يُعبد وإنما وقعت في أن الله يُفرد بالعبادةكما حكى الله قولهم ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ ص: ٥، وقال تعالى حاكياً عن المشركين : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأعراف: ٧٠، والقبوريّون ومن كان على شاكلتهم يُقرّون بأن الله يُعبد ويعبدونه ، ولكن الخصومة وقعت في أن الله يُفرد بالدعاء وبالحلف وبالإستعانة وبالإستغاثة وبالرغبة والرهبة والتوكل

وبالخشوع وبالخشية وبالخوف ، فهم يقولون : الوليُّ يُعبد ويُحلف به ويُستعان به مع الله سُبحانه وتعالى .

قوله : { ومقرّون أن أوثانهم لا تدّبرُ شيئاً } ، هذا أيضاً مما أقرّوا به قال تعالى : ﴿...وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ... ﴿٣١﴾﴾ يونس: ٣١، ما قالوا إن أوثانهم هي التي تدبّرُ أمور الناس .

قال : { وإنما أرادوا ممن قصدوا الجاه والشفاعة} ، أرادوا ممن قصدوهم بالعبادة الجاه والقرب من الله سُبحانه وتعالى والشفاعة .

قال : { **واقرأ عليه ما ذكرَ اللهُ في كتابِهِ ووضَّحَهُ .** } .

بعد أن تبيّن له هذا ، تأتيه بالأدلة التي تدل على أن المشركين كانوا مقرّين بأن الله جل وعلا هو الخالق وحده الرازق المالك المُحيي المميت المدبّر ، وأنه لا ينفعُ ولا يضرُّ إلا هو ، وقد مضى ذكرُ هذه الأدلة ، وبذا تكون هذه الشبهة قد انكشفت ، فقولهم : نحن لا نشرك بالله هذا كذب فهم يُشركون بالله وشركهم هو عينُ شرك المشركين ، وهو إتخاذ وسائط تُعبد مع الله لأجل طلبِ القربة والشفاعة وهم كما قال الله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ يوسف: ١٠٦ ، وإيمانهم هو إقرارهم لله بالربوبية وقال : ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، أي مشركون

بالله في ألوهيته ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبوت: ٦١ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الزخرف: ٨٧، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ لقمان: ٢٥ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الزمر: ٣٨، وهذا فيه أنهم كانوا يعتقدون أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله فما نسبوا جلب المنافع ولا دفع المضار لغير الله جل وعلا ، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ الزخرف: ٩، وقال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ

ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ يونس: ٣١ ،فهذه كلها أدلة تدلُّ على إقرارهم لله بالربوبيته ولكن أصل خلافهم مع الرسل أنهم غلوا في الصالحين ، وهذا أصلُ الشرك ، فجعلوا الصالحين وسائط بينهم وبين الله يعبدونهم لأجل أن يقرّبوهم إلى الله ولأجل أن يشفعوا لهم عنده فمن كان على هذا فهو على دين المشركين .

ومما يُردُّ به على قول هؤلاء ، : (ولكن الصالحون لهم جاهٌ عند الله وأنا أطلبُ منهم).

أن نقول لهم : من الذي قال لكم إذا كنتم مذنبين فاجعلوا وسائط بينكم وبين الله؟ هل أمر الله جل وعلا المذنبين بهذا ؟ أم أمرهم باستغفاره والتوبة إليه ، قال الله جل وعلا لسيّد ولد آدم :﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ النصر: ٣، ونوح عليه الصلاة والسلام أول ما جاء أمر الذين غلوا في الصالحين وعبدوهم بالإستغفار والتوبة من الشرك فهل أمرهم وجعل من شرط قبول توبتهم أن يجعلوا بينهم وبين الله وسائط ؟

الجواب : لا ، وإنما قال لهم :﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ

أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٠ – ١٢، وقال الله جل وعلا : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ طه: ٨٢، ما قال لهم وإني لغفار لمن جعل لي وسائط تعبد أو أني لا أقبل توبتكم حتى تجعلوا بيني وبينكم وسائط تعبد ، وإنما قال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء: ١١٠.

فإذا قال لك أحد هؤلاء نحن لا نشرك بالله فلا بد أن تقف وتتحقق منه هل هو متبرؤٌ من الشرك كله في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ؟.

لا تفرح بقوله : نحن لا نشرك بالله ، ولا تفرح بقوله لك : أنا موحد ، هؤلاء قالوا نحن موحّدون ، قالوا نحن نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ إلا الله ، هذا توحيد ولكنه توحيد في الربوبية فقط ، وهذا النوع وحده لا يكفي ولذلك تجد أن الكثير من الناس إذا ناقشته يقول لك : أنا أعتقدُ أن الله هو الذي يخلق ويرزق وحده ويأتيك بعقيدة المشركين ، فالشبهة عندهم أنك إذا اعتقدت أن الله هو الخالق الرازق المدبّرُ وأنه الجالب للمنافع والدافعُ للمضار وحدهُ فإنه لا يضرك بعد هذا أن تدعو غيره أو أن تحلف بغيره أو أن تستعين بغيره ، هذا ليس من الشرك عندهم .

وبعضهم يتلفظُ بهذا يقول لك ما لم تعتقد التأثير في غير الله تعالى لا تكونُ مشركاً إلا أن تعتقد التأثير أي أن غير الله يخلق ويرزق ويشفع وينفع ويضر ، وهذا فيه تناقض واضح فالذي يدعو غير الله إن لم يكن يعتقد أن هذا الميّت أو أن هذا المقبور أو أن هذا الغائب يسمعه ويسمع دعاءه ويجيبه لما دعاه ، لأن الدعاء :هو طلبُ ما ينفعُ الداعي إما أن يكون لجلب خير أودفع الضر ، فهذا لما يدعو غير الله فإنه ولابد يعتقدُ أن هذا الولي يسمعه ويقضي حاجته ، وإلا فكيف يدعو الإنسان ما لا يجيبه كما قال القائل :

وَدَعْوَةُ الْأَمْوَاتِ تُبْطِلُ الْعَمَلَ ... وَتَسْلَخُ الْإِيمَانَ خَابَ مَنْ فَعَلْ
شَبَّهْتُ مَنْ يَدْعُو دَفِينًا فِي الثَّرَى ... بِطَالِبِ العُرْيَانِ سِتْرًا مِنْ عَرَا
وَصَرْفُ حَقِّ الله لِلْمَخْلُوقِ ... ظُلْمٌ عَظِيمٌ جَاءَ فِي الْمَنْطُوقِ
لَوْ قَدَرَ الْإِلَهُ حَقَّ الْقَدْرِ ... مَا قَالَ يَا مَعْرُوفُ أَوْ يَا لِبَدْرِي

فالذي يدعو غير الله دعاؤهُ هذا متضمن لإقراره بأن من دعاهُ ينفعه ، والذي يدعو الله دعاؤه متضمنٌ أن الله جل وعلا ينفعه ، فلما يُلبّسْ عليك أحد بأنه لن تقع في الشرك ،ولا يُلحقك مسمّى الشرك إلا بأن تعبد غير الله وأنت تعتقدُ أن الذي تعبده يخلق ويرزق ويدبر، من اعتقد هذا فإنه يكون قد أشرك بالله في ألوهيته وفي ربوبيته .

وبعضهم يتحذلق يقول لك : لا تكون مشركاً ولو دعوت غير الله
واستعنت بغير الله واستغثت بغير الله إلا أن تعتقد الألوهية فيمن دعوته
،يعني لو أتيت لحجرٍ وعبدت هذا الحجر فإنك لا تكون مشركاً إلا أن
تعتقد أن هذا الحجر إله ، وهذا جهل فاضح بمعنى الإله فالإله من
قصدبالعبادة فقصدك لغير الله بالعباد ةتأليه ويعني أن من قصدته
يستحق هذا وإلا فإننا لم نر ولم نسمع أن أحداً من هؤلاء يدعو لاعب
كرة أو ممثلًا أو أحد الفنانين ، فتخصيصهم لهؤلاء المعينين بدعائهم
وبحلفهم وباستعانتهم هذا دليلٌ على أنهم يعتقدون أنهم يستحقون هذا ،
فهذه كلها فلسفات وأغاليط كما قال الشيخ : { وأرادوا بها أن يصدّوا
الناس عن توحيد الله } ، والقرآن واضحٌ وبيّنٌ لمن قرأهُ وتأمله في بيان هذا
.

تعريف الشرك بأنواعه

الشركُ أنواعٌ ثلاثة :

الشرك في تعريفه العام :هو جعلُ شريكٍ لله في حقه ، أو جعلُ شريكٍ لله تعالى فيما يستحقه وهذا شامل لأنواع الشرك الثلاثة.

١ـ الشركُ في الربوبية : هو جعلُ شريكٍ لله تعالى في أفعاله .

٢ـ الشرك في الألوهية : هو جعلُ شريكٍ لله في عبادته .

٣ـ الشرك في أسماء الله وصفاته : هو جعلُ شريكٍ لله في أسمائه وصفاته .

قال : { قولُهم : نحنُ لا نشركُ بالله ، بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُ إلا الله وحدَه لا شرِكَ لهُ ، وأن محمداً ﷺ لا يملكُ لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيرِه ، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ الله ، وأطلبُ من الله بهم.}.

قوله : { وأطلبُ من الله بهم.} ، يعني أطلب من الله القربة والشفاعة بإتخاذهم وسائط تُعبد .

والرد على هذا : أن نقول هذا هو دين المشركين ونذكر الأدلة الدالة على أن المشركين كانوا يُقرّون لله جل وعلا بالربوبية بأنه الخالق وحده وأنه الرازق وحده ، وأنه المُحي وحده ، وأنه المميت وأنه الذي يُدبّر الأمر وحده ، وأنه الإله الأكبر الذي يطلبون القربة منه سبحانه وتعالى ، كما في تلبيتهم ، وأنهم توجهوا بالعبادة لغيره يريدون القرب من الله ، فالله هو غايتهم كما

قال تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ الزمر: ٣، فجعلوا بينهم وبين الله وسائط تُعبد ، فالله جل وعلا كفّرهم بهذا قال تعالى بعد أن ذكر حالهم : ﴿...إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ الزمر: ٣، وقال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ يونس: ١٨ ، فسمّى الله جل وعلا عبادتهم لغير الله تعالى وإتخاذهم وسائط تُعبد مع الله عز وجل لأجل الشفاعة شركاً .

الشبهة الثانية

قال الشيخ رحمه الله : { فإن قال : إن هؤلاء الآيات نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ ، كيفَ تجعلونَ الصالحينَ مثلَ الأصنام ؟ أم كيف تجعلونَ الأنبياءَ أصناماً ؟

فجاوبْهُ بما تقدمَ : فإنَهُ إذا أقرَ أن الكفارَ يشهدون بالربوبيةِ كلِّها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدُوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يُفرقَ بين فعلِهم وفعلِه بما ذكر ، فاذكرْ لهُ أن الكفارَ : منهم من يدعو الأصنامَ .}.

الشرح :

قوله : (هؤلاء الآيات) ، يعني بعد أن بيّنا له شبهته وبيّنا له أن عقيدته هذه التي هي اتخاذه وسائط بينه وبين الله يعبدها أن هذا هو الدين الذي كان عليه المشركون وتلونا عليه الآيات ، يقول لك : (هؤلاء الآيات نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ) ، هو لا ينكر أن هذه آيات وأنها من القرآن ولكن يقول لك هذه الآيات نزلت في الأصنام ، أو يقول لك : هذه الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام في زمن النبيِّ ﷺ .

وقوله : {كيفَ تجعلونَ الصالحينَ مثلَ الأصنام ؟ أم كيف تجعلونَ الأنبياءَ أصناماً ؟ } .

وهذا الأخير هو الإرجاف ويُسمّى بلغة العصر بالإرهاب الفكري ، ومراده بهذا أن يقول لمعشر الموحدين، أنتم تنتقصون الأنبياء ، وأنتم تنتقصون الصالحين وتنتقصون الأولياء ، فمن جرّد التوحيد لله ودعا الناس إلى عبادة الله جل وعلا وحده ،ونهاهم عن عبادة غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين قالوا عنه : هذا ينتقص الأنبياء وينتقص الأولياء والصالحين ، وهؤلاء لا يحترمون الأنبياء ولا يحترمون الأولياء ولا يحترمون الصالحين ، وكل ذلك من أجل أن يصدوا الناس عن تجريد التوحيد لله رب العالمين .

قوله : { فإن قال : هؤلاء الآيات }، مراده الآيات التي فيها أن الله حكم بكفر وشرك من جعل بينه وبين الله وسائط تُعبد ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يونس: ١٨، وكقوله تعالى :﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ الفرقان: ٥٥ ، وكقوله تعالى :﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾ الحج: ٧١، وكقوله تعالى :﴿ ...وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا

نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣،

فسماهم كذبة وكفرة ، فإذا قرأت عليه هذه الآيات قال لك : { هؤلاء الآيات نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ } .

إذاً مردُّ ومرجعُ هذه الشبهةإلى حصر الشرك في عبادة الأصنام ، فمن يعتقد هذه العقيدة إن سألتهم وقلت لهم ما الشرك عندكم ؟ قالوا : الشرك عبادة الأصنام ، من المشرك ؟ المشرك من عبد الأصنام ، هذا هو المشرك عندهم ، وأما من توجّه بعبادته لنبيٍ أو لملكٍ أو لوليٍ أو لبقرة أو لكلبٍ أو لحمار فهذا لا يكون مشركاً عندهم ولا يكون قد فعل شركاً ، هذه هي الشبهة وهذا من الجهل بحقيقة الشرك وإلا فعبادةُ الأصنام نوعٌ وفردٌ من أفراد الشرك ، فالشركُ هو جعلُ شريكٍ لله تعالى في حقه ، فمن جعل لله شريكاً في حقه كان مشركاً ، أو هو تسويةُ غير الله بالله في حقه قال تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الشعراء: ٩٧ – ٩٨، هذه هي حقيقة الشرك بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

قال : { **هؤلاء الآيات نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ** } .

الأصنام : جمعُ صنم وهو اسمٌ لكل ما عُبِدَ من دون الله وكان على صورة .

والوثن : كل ما عُبِدَ من دون الله سواءً كان على صورة أو لم يكن على صورة.

فالوثن أعم من الصنم ، فكلُّ وثن صنم ولا عكس ، قال النبيّ ﷺ : «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ، فالقبرُ إذا عُبدَ صار وثناً ، والشجرة إذا عُبدت صارت وثناً ، والحجرُ إذا عُبدَ صار وثناً .

قال الشيخ رحمه الله : { فإن قال : إن هؤلاء الآيات نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ ، كيفَ تجعلونَ الصالحينَ مثلَ الأصنام ؟ أم كيف تجعلونَ الأنبياءَ أصناماً ؟فجاوبْهُ بما تقدمَ : فإنَهُ إذا أقرَ أن الكفارَ يشهدون بالربوبيةِ كلِّها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدُوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يُفرقَ بين فعلِهم وفعلِه بما ذكر ، فاذكرْ لهُ أن الكفارَ : منهم من يدعو الأصنامَ .} .

نرجع معه مرة أخرى نذكره بالشبهة الماضية نتلوا عليه الآيات التي فيها بيان أن المشركين كانوا يقرّون لله بالربوبية ، وأنهم كانوا يعبدون الله بأنواعٍ من العبادات والقربات ، وأن الخلل الذي كان عندهم هو أنهم عبدوا الله وعبدوا معه غيره طلباً للقربة والشفاعة ، ونأتيه بالأدلة التي تدلُّ على هذا .

قال : { **فجاوبْهُ بما تقدمَ : فإنَهُ إذا أقرَ أن الكفارَ يشهدون بالربوبيةِ كلِّها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدُوا إلا الشفاعة، ولكن** } ، يقولُ لك : أنا أدعو الملائكة وادعو الأولياء وأدعو الصالحين ، وأستغيثُ بهم وأذبحُ لهم ، وأؤلئك كانوا يفعلون ذلك للأصنام ، وفرقٌ بين من ذبح لصنمٍ ومن ذبح

لوليٍّ ، وفرقٌ بين من دعا صنماً ومن دعا نبياً أو وليا أو صالحا هذا حاصل ما عندهم .

قال الشيخ : {ولكن إذا أراد أن يُفرقَ بين فعلِهم وفعلِه بما ذكر ، فاذكرْ لهُ أن الكفارَ : منهم من يدعو الأصنامَ .} .

فعل المشركين الأولين عنده أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويجعلونها وسائط بينهم وبين الله ، وأما هو فيجعل الأنبياء أو الأولياء وسائط تعبد بينه وبين الله لما لهم من الجاه والمنزلةِ والمكانة .

قال : { فاذكرْ لهُ أن الكفارَ : منهم من يدعو الأصنامَ ، ومنهم من يدعو الأولياءَ}

الرد عليه من وجهين :

الأول : أننا لا نسلّم له أن جميع المشركين الذين بُعِث فيهم النبيُّ كانوا يعبدون الأصنام وإنما تنوّعت معبوداتهم .

الثاني : أن الأصنام هذه ليست أحجارا مجردة وإنما هي في حقيقتها صور ورموز لأناس صالحين فعبادة الأصنام راجعة إلى عبادة الصالحين .

قوله : { فاذكرْ لهُ أن الكفارَ : منهم من يدعو الأصنامَ ، ومنهم من يدعو الأولياءَ الذين قال الله فيهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ الإسراء: ٥٧ } .

نذكر له أن الكفّار تنوعّت معبوداتهم فمنهم من يدعو الأصنامَ ، ومنهم من يدعو الأولياءَ ، ونذكر له الدليل ، ونبين له أن الأولين وُجد فيهم من يعبد الأصنام ، وأما اعتقاد أن جميع من بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ووجدوا في زمنه كانوا يعبدون الأصنام فهذا باطل وخطأ.

قال : { ومنهم من يدعو الأولياء } :

فالدليل على أن بعض من بُعِث فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون الأولياء قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ الزمر: ٣، فالله جل وعلا كفرهم بهذا ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ ﴾ الأعراف: ١٩٤.

قال : { الذين قال الله فيهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ الإسراء: ٥٧ [الإسراء : ٥٧]} ، فمعنى هذه الآية

أن الله جل وعلا يخبر عن بعض من وُجِدَ في زمن النبيُّ ﷺ ،يقول الله لهم هؤلاء الذين تعبدونهم وتتخذونهم وسائط تُعبد بيني وبينكم هم عبيد من عبيدي ويتنافسون في طاعتي وفي عبادتي ، فهؤلاء يتنافسون في عبادة الله وحده ويرجونه وحده ويخافونه وحده ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ الإسراء: ٥٧ ، ومن كان من هذاحاله فهو من أولياء الله حقاً وصدقاً فالذين يتنافسون في عبادة الله وفي طاعته ويعبدون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده ويرجونه وحده ويخافونه وحده هؤلاء هم أولياؤه حقا ، فالله جل وعلا ذكر هذا عنهم مُثنياً عليهم به ، وهذا دليلٌ على رضاه عنهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، فهؤلاء أولياء الله ، فالآية دلت على أن بعض من بُعِث فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون الأولياء الذين هم عباد الله جل وعلا ويتنافسون في طاعته ، وفي الخوف منه وحده ، وفي رجائه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.وقد كفر الله العابدين لهم فهل هؤلاء الأولياء كانوا أصناما ؟

قال الشيخ : { ويدعون عيسى ابن مريم وأمَّهُ ، وقد قال الله تعالى :﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ المائدة: ٧٥ - ٧٦ }.

كذلك وُجد في زمن النبيِّ ﷺ من يعبد عيسى بن مريم وأمه ، والمسيحُ عليه السلام نبيٌّ وأمه صالحة قال تعالى : ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ المائدة: ٧٥ ، ف (ما) هذه نافية ، و(إلا) أداة إستثناء ، والإستثناء المسبوق بالنفي يُفيد الحصر والقصر ، فأمر عيسى عليه السلام محصورٌ في أنه رسولٌ يُصّدق ويُطاع ويُتبّع ولكنه لا يُعبد ولا يُجعل له من خصائص الألوهية ولا من خصائص الربوبية ولا من أسماء الله ولا من صفاته شيء ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ، هو كغيره من الرسل وهو من البشر ويجري عليه ما يجرى على البشر ، وهو يأكل ويشرب ويتعب وينام ويأتي بلازم ذلك قال ابن القيّم :

وشق الفرج مولوداً صغيراً ضعيفاً فاتحاً للثدى فاه
ويأكلُ ثم يشرب ثم يأتي بلازم ذاك هل هذا إله
تعالى الله عن إفك النصارى سيسأل كلهم عما افتراه

وهذا الذي قاله الله في عيسى قاله في نبيّنا محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤،فشأنُ نبيّنا محمد ﷺ محصورٌ ومقصورٌ في أنه رسولٌ يُصّدق ويُطاع ويُتبّع ولكنه لا يُعبد وليس له من خصائص الألوهية من شيءٍ ، ولا يشارك الله سبحانه وتعالى في شيءٍ من أسمائه الله و صفاته كما هو شأن المسيح ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

والمتأمل في هذه الآيات يجد أن الله عز وجل أبطل فيها عبودية عيسى من وجوه :

الأول : قوله تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، فهو مولود والإله الحق ليس بمولود ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤.

وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شبهٌ تعالى المُسّبحُ

الثاني: قوله: ﴿ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾، فهو ابن وله والدة، والولد لا يستحقُّ أن يعبد. ومريم عليها السلام كذلك لا تستحق أن تعبد لأنها والدة والإله الحق ليس بوالد.

الثالث: قوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾، فإن كانا يأكلان الطعام فمعنى هذا أنهما يجوعان، والجوع حاجة والمحتاج لا يستحِّق أن يُعبد، فعيسى عليه الصلاة والسلام وأمه كانت بهما حاجة إلى الطعام والذي يحتاج لغيره فقير لا يستحق أن يُعبد قال: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾، ومن قواعد التوحيد أن الذي يستحقُّ العبادة هو الذي يُطْعِم ولا يُطْعَم قال تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾ الأنعام: ١٤، وإن كانا يأكلان الطعام فمعناه أنهما يأتيان بلازم ذلك من البول والغائط

يقول ابن القيم رحمه الله:

ويأكلُ ثم يشرب ثم يأتي   بلازم ذاك هل هذا إله

الذي يأكل ويشرب وإذا أكل وشرب ذهب لقضاء حاجته أهذا يستحق أن يُعبد؟ لا، قال تعالى: ﴿...يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾، ثم قال الله:

﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ المائدة: ٧٦، هذه صفة كاشفة ، فكل من عُبدَ من دون الله لا يملكُ لعابده ضرّاً ولا نفعاً ، وتأمل في كلمة (ضرّاً) و كلمة (نفعاً) ، نكرتان في سياق النفي ، قال : ﴿ لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا ﴾، هذا في عموم الضر ،وقوله : ﴿ وَلَا نَفۡعٗاۚ ﴾، هذا في عموم النفع ، ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾، فهو الذي يسمع نداء من ناداه ويعلم حاله وفقره ويعلم ما فيه من كربٍ وشدةٍ ، أتسّوون بين هذا وبين من إذا دعوته ربما كان نائما أو ميّتا أو أنه بينك وبينه مفاوز تنقطع دونها أعناق الإبل تعالى الله عما يشركون قال بعضهم :

إذا عرضت لي في زمانيَ حاجةٌ ... وقد أشكلت فيها عليَّ المقاصدُ

وقفت بباب الله وقفةَ ضارعٍ ... وقلت إلهي إنني لك قاصدُ

ولست تراني واقفًا عند باب مَنْ ... يقول فتاهُ سيدي اليومَ راقدُ

تطرق له الباب يأتيك ابنه يقول لك : والدي نائم ، الشيخ الولي نائم ، أهذا يُدعى ؟ فلو كنت بجواره وتكلمت معه لما سمعك فالذي ينام لا يستحقُّ أن يُعبد ، ولذلك لا بد أن تعرف العقيدة الصحيحة حتى لا تُخدع في دينك.

الشاهد من هذه الآية أن الله جل وعلا أنكر على أُناس كانوا يعبدون عيسى وأمه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإلى زماننا هذا وقد حكم الله بكفر هؤلاء فهل المسيح وأمه أصنام ؟.

قال : { واذكر له قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سبأ: ٤٠ – ٤١ } .

وهذه الآية دليلٌ على أن بعض من بُعِث فيهم النبي كانوا يعبدون الملائكة ، قال : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سبأ: ٤٠ – ٤١ ،يعني نزّهوا الله أن يكونوا شركاء **له** في عبادته ، والملائكة عُبدوا من طائفة من الناس وكلامهم هذا ليس نفيًا لكونهم عُبدوا مع الله وإنما أرادوا أنهم ما أمروا أحداً بعبادتهم ، ولا دعوا أحداً لعبادتهم ، وإنما عَبَدَهم من عبدهم بتسويل الشيطان وتزينه فالشيطان هو الذي أمرهم بهذا فأطاعوه وعبدوهم ، فنزّهوا الله أن يكونوا له شركاء في عبادته ، فهل الملائكة أصنام؟ الجواب : لا .

قال : { وقوله } : هذا منصوب بنية تكرار العامل ، يعني : { وأذكر لهم قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ

إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المائدة: ١١٦.، فالله جل وعلا يسأله لمزيدِ إقامة الحجة على من عبده، ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾، فعيسى عليه السلام قد أُتخذ إلهاً مع الله، وأمه كذلك قد أُتخذت إلهاً مع الله ﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ ﴾، سبحانك أن أكون شريكاً لك في عبادتك، أو أن تكون والدتي شريكة لك في عبادتك قال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ ﴾،العبادة حق الله فأنا ما يكونُ لي، و(ما يكون) هذه تُستعمل في الممنوع شرعاً، أو في الذي يستحيل وقوعه، ﴿ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ ﴾، فليس من حقي أن أُعبد ، وهذا الذي يصرح به الموحدون، فالموحّدون إذا نطقوا وصرّحوا بما صرّح به الأنبياء، يُرمون بتنقص الأنبياء والأولياء والصالحين، قال: ﴿ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ ﴾، وليس من حقي أن أُعبد، من حقي أن أطاع، وأن أُصدُّق و أُتبّع، أما أن أُعبد ؟ فلا ،العبادة حقُّ الله وهذا الذي نقول ونصّرح به وندعو إليه، أن العبادة حقُّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وليس من حقِّ الأنبياء ولا من حق غيرهم أن يُعبدوا ، من حق الأنبياء أن يُصدقوا ويُطاعوا ويُتبَعّوا ،وأن يُتأسى بهم في قالهم وفِعالهم وفي حركاتهم وسكناتهم وأن ينصروا بالمال

والنفس والولد ، ومن حق الأولياء أن تُعرَف لهم مكانتهم ومنزلتهم ، وأن يُحترموا وأن يُتأسى بهم ، وأن يؤخذ عنهم العلم ، هذا من حقوقهم علينا ، وليس من حقهم أن يُعْبَدوا مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، فنحن على طريقة وعقيدة هؤلاء الأنبياء نصرح بما صرحوا به فإن كنا بعقيدتنا هذه وبتصريحنا هذا نتنقص الأنبياء والأولياء ، فسلفنا في هذا التنقّص ، هم أنبياءُ الله عَزَّ وَجَلَّ وهؤلاء سمّوه تنقصاً تقليبا للحقائق وإلا فإنه حفظ للحقوق ووضع لكل حق في موضعه وأما ما يفعله العابدون لغير الله من جعل العبادة لغيره فهذا هضمٌ لحق الله تعالى ووضع له في غير موضعه وهو الظلمُ العظيم بعينه .

لأن الظلم هو وضعُ الشيء في غير موضعه ، فهؤلاء وضعوا العبادة في غير موضعها ، وجعلوها لغير مستحقها ولذلك كانوا ظلمة ، ﴿...مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ ...﴾

يعني : يارب إن كنت قد دعوتهم إلى أن يعبدوني فأنت أعلمُ بهذا ﴿... تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ المائدة: ١١٦، ما أمره الله أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه أو إلى عبادة أمه ، وإنما أمره بتجريد توحيد الله ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ

وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ المائدة: ١١٧، تأمل فهو يضع نفسه في موضعها الذي وضعها ربها فيه ، فهو عبدٌ مربوب ﴿ ...أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ... ﴾ ، بدأ بالإقرار بربوبية الله له قبل الاقرار بربوبية الله لهم وهذا كله ليدفع عنهم الغلو ، فإنه منذ أن وُلِد صدع أول ما صدع بالتوحيد قال الله ﷻ : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ مريم: ٢٧ – ٣١، المعنى : إني عبد الله ورسوله ليس بإله ، ولا بثالثِ ثلاثة ، ولست بابن لله قال تعالى : ﴿ ...إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾، إذاً وُجدَ في زمن النبيِّ ﷺ من كانوا يعبدون عيسى عليه السلام فهل عيسى عليه السلام من الأصنام ؟ لا .

وأنت إذا تتبعت القرآن تجد أن الأدلة كثيرة في الردِّ على هذه الشبهة ، من ذلكم قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ التوبة: ٣١، إذاً وُجد في زمن النبي ﷺ من عبد العلماء ومن عبدالعُبّاد ومن عبد

المسيح ، فهل العلماءوالعباد هؤلاء أصنام ؟ ، وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ٨٠، فحكم الله بكفر من جعل العبادة للملائكة والأنبياء الذين هم أقرب الخلق إلى الله ، ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ، فإذا كان الله قد حكم بكفر من عبد الملائكة و النبيّين فما حكم من عبد الأولياء ؟ هذا كافر من باب أولى ، وكذلكُ من عبد الشجر والحجر والبقر أو عبد النار هذا كافر والأدلة على هذا كثيرة .

فمن الكذب على شريعة الله ﷻ أن يُقال في تعريف الشرك هو عبادة الأصنام ، إن كان النبيُّ ﷺ قال لرجلٍ راجعه في بعض الكلام فقال الرجل : ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ﷺ : « أجعلتني لله ندًّا بل ما شاء الله وحده » ، فهل هذا عطف مشيئة صنم بالواو على مشيئة الله أم عطف مشيئة النبيّ ﷺ ، وفي سنن النسائي أن يهوديًا أتى النبي – ﷺ – فقال: (إنكم تشركون وإنكم تنّددون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة) الحديث ، ووجهُ الشرك الذي ذكروا أن بعض الصحابة يحلفون بالكعبة ويعطفون مشيئة النبي صلى الله عليه وسلم على مشيئة الله بالواو فهؤلاء لم يعبدوا الأصنام ، و النبيُّ ﷺ أقرّاليهودي

على أن هذا من الشرك ، وأمرهم أن يقولوا : (ما شاء الله ثم شئت ، وأن يقولوا : ورب الكعبة) ،هذا وجه الردِّ على هؤلاء .

الوجه الأول : أننا لا نسلّم لكم أن جميع من بُعث فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون الأصنام ، بل تنوعت معبوداتهم ولم يفرق النبي ﷺ بينهم كما أراد أن يفرِّق هذا بين من وُجِدوا في هذه الأزمنة من أهل الشرك وبين السابقين من المشركين ، و النبي ﷺ لم يفرق إنما حكم حكماً واحداً ، حكم عليهم بالكفر وقاتلهم ﷺ ولم يفرق بينهم لأن الله جل وعلا قال : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ الأنفال: ٣٩، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله فالنبيُّ ﷺ حكم عليهم حكماً واحداً لأنهم جميعاً يستوون في أنهم وضعوا العبادة في غير موضعها وجعلوها لغير مستحقها ، هذه هي العلة الجامعة بينهم والتي أوجبت أن يُكَفّروا وأوجبت أن يُقاتَلوا وهي أنهم جعلوا العبادة لغير الله ، فالذي يعبد نبياً والذي يعبد صنماً يستويان في أنهما صرفا العبادة لغير الله ، هذا صرف العبادة لنبيٍّ وهذا صرف العبادة لوليٍّ ، وهذا ليس تسوية بين النبي والصنم كما يلبس هؤلاء وإنما هو تسوية بين فعل هؤلاء مع فعل أؤلئك ، فعلهم واحد ، وهو أنهم يُشركون في أنهم جعلوا العبادة لغير الله ، ووضعوا العبادة في غير موضعها وجعلوها لغير

مستحقها فيستوون في هذا ، فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً ولذلك قاتلهم النبي ﷺ جميعاً ، ما قال لهم أنتم ماذا تعبدون ؟فإن قالوا : نعبد عُزيرا أونعبد عيسى قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فأنتم مسلمون ولستم في عداد المشركين ولستم في عداد الكفار لأنكم لا تعبدون أصناما .

وهذا يقول : أنا أعبد شجراً فيقال له لا أنت لست في عداد الكفار لأنك لاتعبد أصناما ، وهذا يقول : أنا أعبد بقرة ، وذاك يعبد ناراً ، وذاك يعبد كلباً ، هؤلاء كلهم لم يقل لهم أنتم لستم في عداد الكفار وأن الكفار من عبدوا الأصنام فحسب، ولم يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم الكفار الذين عبدوا الأصنام فقط وإنما سوّى بينهم جميعا في الحكم والقتال ولم يفرق بينهم.

الوجه الثاني من وجوه الرد :

قال : { **فإن قال : إن هؤلاء الآيات نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ ، كيفَ تجعلونَ الصالحينَ مثلَ الأصنام ؟ أم كيف تجعلونَ الأنبياءَ أصناماً ؟** } .

أن يُقال : سلّمنا بهذا تنزُّلاً ، سلّمنا أن الآيات نزلت في الأصنام وعابديها فهل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب بمعنى أنه إذا جاءت الآية لسبب خاص من الأسباب وفيها لفظ عام فهل الاعتبار والعمل بعموم اللفظ أم أن الاعتبار والعمل بخصوص السبب ، فهذه الآيات وإن كان سبب نزولها عبادة الأصنام إلا أن فيها ألفاظا عامة ، فهل نأخذ بعمومها

ونحكم بكفر جميع من عبد غير الله ونُبطِل بها عبادة كل معبود سوى الله ﷻ ، أم نقصرها على سبب النزول فنحكم بكفر من عبد الأصنام فقط دون غيرها ونبطل بها عبادة الأصنام فقط؟.

الصحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ولو قلنا إن كل آية نزلت لسبب معيّن وجاء فيها عموم فإنه لا يؤخذ بعمومها وإنما يُقتَصر على سبب نزولها فقط لعطلنا الكثير من أحكام الشريعة ، ولعطلنا العمل بها والدليل على هذا وجود العديد من الآيات التي نزلت في أسباب خاصة وأن العلماء اعتبروا وعملوا وأخذوا بعمومها .

مثالُ ذلك : آية الفدية نزلت في كعب بن عجرة وهي قوله تعالى :

﴿...فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ... ﴿١٩٦﴾ ﴾ البقرة: ١٩٦، فقد جاء في البخاري عن كعب بن عجرة قال : (حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا، قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك، فنزلت هذه الآية في خاصة وهي لكم عامة).

وكان كعب محرماً ، ومن محظورات الإحرام الحلق فلما رآه النبي ﷺ قال له : (أبلغ بك إلى هذا الحد؟) وقال في رواية: (أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ) ثم أمره أن يحلق شعرهُ ويفدي ، ﴿...فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن

رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ ... ﴿١٩٦﴾ ﴾ ،إذاً هذه الآية جاءت في شخصٍ خاص ولسببٍ خاص إلا أن فيها عموم وهو قوله :﴿ فَمَن كَانَ ﴾ ، (من) هذه من ألفاظ العموم

وَلَفظُ (مَنْ) فِي عَاقِلٍ ، وَلَفظُ (مَا) فِي غَيْرِهِ وَلَفظُ (أيٍّ) فِيهِمَا

فالنبيُّ ﷺ قال لكعب بن عُجرة : (أحلق رأسك وصُم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام .) .

فنقول لهؤلاء : من كان حاله كحال كعب بن عُجرة وأتاكم يا معاشر المتصوفة ويا معاشر القبوريّين أتاكم يستفتيكم فبماذا تفتونه؟ فعلى مذهبهم يقولون إذهب وأفعل ما شئت فهذه الآية لا تخصك ، هذه الآية نزلت في كعب بن عُجرة ، فيقول لهم : وبم تفتوني ؟ يقولون على مذهبهم : ما عندنا لك فتوى أما على طريقة الصحابة فيفتون كل أحد كان حاله كحال كعب بما أفتى به النبي ﷺ كعبا وهذا ما أفتى به كعبا غيره فعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَعْقِلٍ قَالَ جَلَسْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ الْفِدْيَةِ فَقَالَ : نَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةً حُمِلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَالْقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي فَقَالَ مَا كُنْتُ أُرَى الْوَجَعَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى أَوْ مَا كُنْتُ أُرَى الْجَهْدَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى تَجِدُ شَاةً فَقُلْتُ لَا فَقَالَ فَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ . والشاهد فيه قول كعب (نزلت في خاصة وهي لكم عامة).

وكذلك آية الملاعنة نزلت في هلال بن أمية وكان قد رمى زوجته بالزنا بشريك بن سحماء قال الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ النور: ٦، ف(الذين) إسم موصول يُفيد العموم ، فهذه الآية نزلت لسبب خاص إلا أنها اشتملت على عموم ، فعلى قول هؤلاء إذا أتيتهم وسألتهم عن رجلٍ رمى زوجته بالزنا ما حكم الله فيهما ؟ فعلى مذهبهم يقولون : هذه الآية نزلت في هلال بن أُميّة ، و هلال بن أُميّة من الثلاثة الذين خُلِّفوا وآخران هما كعب بن مالك ومرارة بن الربيع .

جاء في البخاري من حديث بن عباس : (أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ فَقَالَ هِلَالٌ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنْ الْحَدِّ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ إِنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِينَ })، إئتني بالبيّنة وإلا فإن لم تأتني بالبيّنة فعليك الحدِّ ، وجاء في رواية أنه قال : (يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البيّنة ؟

فجعل النبي ﷺ يقول : " البيّنة وإلا حد في ظهرك " ، فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق.) ، والحديث في الصحيحين .

الشاهد أن الله تعالى قال : { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ } ، هذه الآية فيها عموم وجاءت في سببٍ خاص ، فالعلماء أخذوا واعتبروا بالعموم وجعلواهذا حداً في الملاعنة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ المائدة: ٣٨ ، هذه الآية نزلت في رجلٍ سرق رداء صفوان بن أُمية ، وبعضهم قال : نزلت في المخزومية التي سرقت ، وبعضهم قال نزلت في طُعمة بن أُبيرق ، الشاهد أن هذه الآية لها سبب نزول فقد نزلت في شخصٍ خاص ولكنها جاءت بصيغة العموم ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ ، ووجهُ العموم أن المفرد المعرّف يُفيدُ العموم ، ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ ، ومن ذلك أن صدر سورة المجادِلة نزلت في سبب خاص نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت أخ عبادة بن الصامت ، كما في الحديث الذي رواه أحمد وأبوداود وصححه الألباني قالت : (في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه [وضجر] فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي ...). الحديث ، يعني : أن أول سورة المجادِلة نزلت على

سبب خاص نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت أخ عبادة بن الصامت ، وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبوداود قالت : (في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه [وضجر] فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي ...). الحديث ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡ ﴿٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢،ف (الذين) اسم موصول يفيد العموم إذاً هذه نزلت لسببٍ خاص وجاء فيها هذا العموم فاعتبر العلماء بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجعلوا هذا الحكم عاما في كل مظاهر.

وهكذا يقال فيما نحن فيه فهذه الآيات إن كانت في خصوص من يعبد الأصنام إلا أنها جاءت بألفاظ عامة والعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوصِ السبب ،ومن الآيات التي فيها عموم قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ الكهف: ٣٨، و (أحداً) نكرة في سياق النفي تُفيدُ العموم ، ولو كان الشرك محصوراً في عبادة الأصنام لقال : (ولا أشركُ بربي صنماً) ،ف (أحداً) هذه تعُم يدخل فيها الأنبياء والأولياء وغيرهم ،

ومنها قوله : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠، (أحداً) نكرة في سياق النهي تُفيدُ العموم ، ولو كان الشرك محصوراً في عبادة الأصنام لقال : (ولا يشرك بعبادة ربه صنماً) ،

ومن ذلك قول الجن : ﴿ ...وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ ﴾ الجن: ٢، (أحداً) نكرة منفيّة بـ(لن) تُفيدُ العموم ولو كان الشرك محصوراً في عبادة الأصنام لقال : (ولن نُشرك بربنا صنماً) ، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨، (أحداً) نكرة في سياق النهي يدخلُ فيها كلُّ أحد ولو كان الشرك محصوراً في عبادة الأصنام لقال : (فلا تدعو مع الله صنماً) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ الجن: ٢٠ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ۞قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ غافر: ٦٦ ، العموم هنا : (الذين) اسم موصول ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الأعراف:

١٩٤، ومنه قوله تعالى : ﴿ ...وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾ فاطر: ١٣ ، ف(الذين) اسم موصول يُفيدُ العموم ، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ ﴾ مريم: ٤٨، و(ما) موصولة بمعنى الذي تُفيدُ العموم ، ومنه قوله ﷻ: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ...٣٦ ﴾ النساء: ٣٦، (شيئاً) نكرة في سياق النهي تفيد العموم ، فهذه كلها تدلُّ على أن هؤلاء ليسوا بأصنام ومنه قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ...٤٠ ﴾ فاطر: ٤٠ ، هذا جمعٌ مضاف والجمع المضاف يفيد العموم ، ومنه قوله تعالى﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ...٤ ﴾ الأحقاف: ٤، والأدلة على هذا كثيرة .

ومن وجوه الرد أيضا أن نقول إن هذه الأصنام في أصلها رموز لرجال صالحين قال :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ... ﴾، الله سماهم عبادا .

فالرد على هؤلاء من وجوه :

الأول : أننا لا نُسلِّم أن جميع من بُعِثَ فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون الأصنام .

الثاني : أن الأصنام هذه عبارة عن رموز للصالحين .

الثالث: أننا لو سلّمنا لهم أن هذه الآيات نزلت على أسباب خاصة إلا أن فيها من ألفاظ العموم مافيها،والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وبهذا بطل قولهم أن الشرك هو عبادة الأصنام ، والحق أن الشرك هو جعلُ شريكٍ لله تعالى في حقه ، أو جعلُ ندٍ لله في حقه ، أو جعلُ عِدلٍ في حقه ،أو مساواة غير الله بالله في حقه ،فمن أشرك في أيِّ نوع في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات كان مشركا.

قال : { **فقل له : أعرفتَ أن الله كفَّرَ من قصدَ الأصنام**} .

قصدها أي بالعبادة ، دعاها واستعان بها وأستغاث بها ، وحلف بها ونذر لها وطاف حولها.

قال : {**وكفَّرَ أيضاً من قصد الصالحينَ** } ، كذلك كفر الله جل وعلا من قصد الصالحين بعبادته ، عبد الصالحين دعاهم واستعان بهم وأستغاث بهم ، وحلف بهم ونذر لهم وذبح لهم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ٨٠ ، فالآية دليلٌ على أن من قصد الأنبياء والملائكة بعبادته فأتخذهم (أرباباً) يعني معبودين فقد وقع في الكفر هذا حكم الله عز وجل .

فمن اتخذ مَن هم دون الأنبياء ودون الملائكة أرباباً يعبدهم فهذا أولى وأحرى بالكفر.

قال : { **وقاتَلهم رسولُ الله** ﷺ } ،يعني قاتلهم جميعاً ولم يفرّق بينهم ، حكم عليهم بحكمٍ واحدٍ وهو الكفرُ ، وقاتلهم جميعاً لأن سبيلهم واحد وإن تنّوعت معبوداتهم ، فسبيلهم جميعاً جعل العبادة لغير الله ﷻ ، فمن جعل العبادة لغير الله ﷻ فإننا لا ننظر في معبوده وإنما العبرة عندنا بالعبادة ، فإذا جعلها لله وحده فقد وضعها في موضعها وجعلها للذي يستحقها ، وإن جعلها لغير الله جل وعلا فقد وضعها في غير موضعها وجعلها لغير مستحقها وهذا هو الشرك بعينه قال تعالى :﴿ ...إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣ .

لأن الظلم : هو وضع الشيء في غير موضعه ، فالعبادة حقُّ الله كما في الحديث (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .)، فهذا حقهُ علينا ، والعدل أن نجعل الحقَّ لأهله ، والظلم أن نجعل الحقَّ لغير أهله.

الشبهة الثالثة

قال الشيخ : { فإن قال الكفار يريدونَ منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافعُ الضارُ المدبرُ ، لا أريدُ إلا منه ، والصالحونَ ليسَ لهم من الأمر شيءٌ ولكنْ اقصدُهُمُ أرجو من الله شفاعتَهم .}:

الشرح :

هذه الشبهة تحتاجُ مزيد تأمل ، فإن الكثير من العلماء لما جاءوا عندها جعلوها تشبهُ الشبهة الأولى بل هي نفس الشبهة الأولى إلا أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاغها بألفاظ أخرى ، حتى إن بعضهم قالوا إ ن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد من طالب العلم أن لا يكون حرفياً ، يعني :إن أتتهُ الشبهة بهذه الحروف المذكورة أجاب عنها ، وأما إن غيّرَ صاحب الشبهة في ألفاظه فربما عجز الطالب عن الرد ولكن الذي ينظر إلى هذه الشبهة نظرة تأملٍ يجد أنها تختلف عن الشبهة الأولى .

قال : { فإن قال : الكفارُ يريدونَ منهم } ، الكفار ، يُريدُ بهم الذين بُعِثَ فيهم النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعبدون تلك الآلهة ويريدون من الآلهة أن تقرّبهم إلى الله وأن تشفع لهم عنده ، إذاً هم يطلبون القربة والشفاعة من هذه الآلهة مباشرةً .

قوله : { وأنا } ، وهو الآن يُريد أن يفرِّق بين فعلهم وفعله بوجهٍ آخر ، ففي الشبهة السابقة أراد أن يفرّق بين فعله وفعلهم من جهة من صُرفت

له العبادة ، فقال : أنا جعلتها للصالحين ولكن أؤلئك جعلوها للأصنام ، وهنا أراد بقوله هذا ، أن يقول لك : إن الكفار طلبوا القربة والشفاعة من آلهتهم أما أنا فلا .

قال : { **وأنا أشهد أن الله هو النافعُ الضارُ المدبرُ ، لا أريدُ إلا منه** } .

يعني أنا لا أطلب القربة والشفاعة إلا من الله ما أطلبها من هذه الوسائط.

قال : { **والصالحونَ ليسَ لهم من الأمر شيءٌ ولكنْ اقصدُهُمُ** } ، يقصدهم بالعبادة ، يقول أنا أحلفُ بالصالحين وأتوكلُ عليهم وأدعوهم وأستعين بهم وأستغيثُ بهم ، قال : { أرجو من الله شفاعتَهم .} ، فهو الآن أراد أن يفرق بين فعله وفعل المشركين الأولين .

قال : { **أرجو من الله شفاعتَهم .** } ، يعني أطلبُ من الله أن يُشفِّعهم فيَّ ، وأطلبُ من الله أن يقربّني منه بسبب قصدي لأوليائه بالعبادة ، فهو الآن أراد أن يفرق بين فعله الذي هو صرف العبادة لغير الله ، و فعلهم الذي هو صرف العبادة لغير الله بأن الأولين طلبوا القرب والشفاعة من الآلهة أما هو فقد طلب القرب والشفاعة من الله .

الردُّ عليه :

أن نقول له : أنت صرفت العبادة لمن ؟ يقول : للأولياء والصالحين ، ولكن أنا أطلب القرب والشفاعة من الله .

وأولئك صرفوا العبادة لمن ؟ يقول : صرفوا العبادة لآلهتهم المتنوعة وطلبوا القربة والشفاعة من آلهتهم .

نقول له : أنت وهم سواء في أن جميعكم صرف العبادة لغير الله وهذا كفرٌ ، جعلُ العبادة لغير الله هذا كفرٌ وشركٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، والدليل قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧، (يدعُ) هنا بمعنى يعبد مع الله معبوداً آخر ،(لا برهان له به) صفة كاشفة ، لأن كل من عبد غير الله جل وعلا فإنما عبده بغير بيّنة وبدون برهان ، ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ ، فهذا دليلٌ من جملة الأدلة التي تدلُّ على أن من صرف العبادة أو شيئاً منها لغير الله فهو مشرك .

الجواب على هذه الشبهة :

قال : { **فالجوابُ : أن هذا قولُ الكفارِ سواءً بسواءٍ ؛ فاقرأ عليهِ قولَه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ... كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر : ٣] وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [يونس : ١٨]** } .

تأمل قالوا : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣، إذاً هم عبدوا غير الله جعلوا العبادة لغير الله ﷻ، وفي الآية الأخرى قال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يونس: ١٨ ، ليس هناك إشكال في أن هؤلاء عبدوا غير الله ، وطلبوا منهم القربة والشفاعة ، فالعبرة بصرف العبادة ، هؤلاء صرفوا العبادة لغير الله ﷻ، وهذا كفرٌ مستقل ، فإن زدت على هذا بأن طلبت الشفاعة من غير الله ﷻ، وطلبت القربة من غيره فهذه زيادةٌ في الكفر .

قال : { واعلمْ أن هذهِ الشبهَ الثلاثَ هي أكبرُ ما عندَهُمْ ، فإذا عرفتَ أن الله وضحَها لنا في كتابِهِ ، وفهِمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسرُ منها . } .

قوله : (واعلم أن هذهِ الشبهَ الثلاث) : وهذه الشبه هي :

الأولى : أن الأولياء والصالحين لهم جاه عند الله ، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

الثانية : أن الكفار كانوا يدعون الأصنام ، ونحن ندعو الصالحين وفرق بينهما .

الثالثة : أن الكفار يطلبون القرب والشفاعة من الآلهة ، ونحن نطلب القرب والشفاعة من الله بعبادة غيره .

قوله : (ما عندهم) ما ، هنا بمعنى الذي ، هي أكبر الذي عندهم من الشبهات .

قال الشيخ : { **فإذا عرفتَ أن الله وضحَها لنا في كتابِهِ ، وفهِمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسرُ منها .**} .

بين ـ رحمه الله ـ أن هذه الشبهات الثلاث أكبر وأعلى ما عندهم ، وما سيأتي من الشبهات هي دون هذه الشبهات وأيسر وأسهل في الرد .

الشبهة الرابعة

زعمهم أن الإلتجاء إلي غير الله ليس بعبادة

قال : { فإن قال : أنا لا أعبدُ إلا الله ، وهذا الالتجاءُ إليهِمْ ، ودعاؤُهم ليس بعبادة } .

الشرح :

مردُّ ومرجعُ هذه الشبهة إلى الجهل بتعريف العبادة ، أو الجهل بحقيقة العبادة .

وملخّص هذه الشبهة : أن دعاء الصالحين والإلتجاء إليهم ليس بعبادة لهم وليس بشركٍ .

قال : { فإن قال : أنا لا أعبدُ إلا الله } ،وهذه الجملة فيها حصرٌ وقصرٌ ، فهو الآن حصر وقصر عبادته على الله ، قال : (أنا لا أعبدُ إلا الله) .

ووجه الحصر : أن هذا إستثناء مسبوق بالنفي ، ثم قال : (وهذا الالتجاءُ إليهِمْ) ،يعني : الصالحين ، (ودعاؤُهم ليس بعبادة) فهنا أخرج الدعاء وحكم بأنه ليس بعبادة ، إذاً هو يقول : كوني ألجأُ لغير الله وادعوا غير الله فهذا لا يجعلني مشركاً ، لأن الدعاء والإلتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة أصلاً .

قال رحمه الله: { فقل له: أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك ؟ } :

فالشيخ أراد بهذا أن يتدرّج معه في ردِّ هذه الشبهة ، فهو الآن يسوقه بالمتفق عليه ، فيذكر أموراً يتفق هو وصاحب الشبهة عليها فيردَّ المختلف فيه إلى المتفق عليه .

قال رحمه الله: { فقل له: أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله؟ } :

سله هذا السؤال ، هل فرض الله عليك أن تُخلِص العبادة له ؟

فله جوابان :

الأول : أن يقول : نعم وهذا هو المطلوب .

الجواب الثاني : أن يقول : لا ، فإن قال : لا ، قلنا له بل قد فرض الله تبارك وتعالى عليك أن تُخلِص العبادة له ، ونورد له الأدلة التي أوجب الله وأفترض فيها على العباد أن يخلصوا العبادة له ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ الزمر: ٢، قوله :﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ ﴾ ، هذا فعل أمرٍ ، والأمر يُفيد الوجوب ، إذاً هذه الآية وحدها تكفي في أن الله جل وعلا فرض على رسولنا ﷺ وفرض علينا أن نُخلص العبادة له سبحانه وتعالى ، وكقوله تعالى :﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ الزمر: ١١ ، وهذا دليلٌ على وجوب إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى ، وقال تعالى :﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ

مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ ﴾ الأعراف: ٢٩

،والشاهد في الآية قوله : ﴿ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾ ، والدين هنا يُرادُ به العبادة ، ﴿ وَٱدۡعُوهُ ﴾ ، هذا فعل أمرٍ ، والأمر يُفيد الوجوب ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ ﴾ غافر: ١٤، وهذا أيضاً أمر ، والأمر يُفيد الوجوب ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ غافر: ٦٥، قال : ﴿ فَٱدۡعُوهُ ﴾ هذا أمر، والأمر يُفيد الوجوب ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ البينة: ٥، وهنا حصر وقصر الأوامر في الأمر بإخلاص العبادة لله جل وعلا وحده لا شريك له ، يعني كأن الله يقول : ما أمرتُكم بشيءٍ إلا بأن تُخلصوا لي العبادة ، فهذه الآيات لا سبيل لصاحب الشبهة إذا سمعها إلا أن يُقرّ أن الله جل وعلا افترض عليه إخلاص العبادة له .

قال ابن القيم : (فالشرك والكفر هو شركٌ وكفرٌ لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه ؛ فمن سجد لمخلوق وقال : ليس هذا بسجود له هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة ، أو هذا إكرام ؛ لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجوداً لغير الله ، وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به

وتقرب إليه بما يحب فقد عبده وإن لم يسم عبادة) ، (بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٥)

قال : { وهو حقه عليك }:

الضمير هنا يرجع إلى إخلاص العبادة ، والدليل على هذا أن النبي ﷺ قال لمعاذ : (أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن لا يعذبهم)، وهذا هو الإخلاص أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً هذه هي العبادة التي أرادها الله جل وعلا من العباد ، وهي العبادة المقرونة بنفي الشرك ، أو هي العبادة المقارنة والمصاحبة للإخلاص لله تعالى ، وأن الإنسان لا بد أن يُقِر أن الله افترض عليه إخلاص العبادة لله ، وأن إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى هو حقُّ الله على العباد ، إذا أقرَّ بهذا نسأله نقول له : بيّن لنا العبادة التي فرض الله عليك إخلاصها له ، بيّن لنا العبادة عرّف لنا العبادة ، فإن الكثير من هذه الشبهات العمدة في ردها ما قدمه الشيخ رحمه الله من تلك المقدمة النافعة ، نقول له : عرّف العبادة ، عرّف ما افترض الله عليك .

العبادة شرعاً تعرّف بإعتبارين :

١ ـ باعتبار المتعبّد به : (أنواعها وأفرادها) : على هذا تعرّف بتعريف شيخ الإسلام بن تيمية قال : العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ويُقال : هي ما أُمِرَ به شرعاً من غير اضطرادٍ عُرفي ولا اقتضاءٍ عقلي .

وهذا التعريف هو الذي اتكأ عليه الشيخ في محاجة صاحب هذه الشبهة كما سيأتينا ،إذاً كل ما أمر الله به أمر إيجاب أو أمر استحباب فهذا عبادة.

قال : { فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبيّنها له بقولك : قال الله تعالى : }

وهذا تعريفٌ لها بالمثال ، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستحضر تعريف العبادة وأنها : ما أُمِرَ به شرعاً من غير اضطرادٍ عُرفي ولا اقتضاءٍ عقلي ، فإذا ذكرت هذا التعريف لصاحب الشبهة فاذكر له هذه الآية ، قال : قال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ الأعراف: ٥٥، هذه الآية فيها أن الله جل وعلا أمر المؤمنين بدعائه ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ ، وفيها من قواعد التوحيد : أن الرب هو الذي يستحق أن يُدعى .

قوله :﴿ تَضَرُّعٗا ﴾ ،يعني : تذللاً ، ﴿ وَخُفۡيَةًۚ ﴾ ،يعني سراً ، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾، فالإلتجاء للصالحين ، يدخل فيه الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة .... إلخ .، نقول له إن إخراجك للدعاء

والإلتجاء عن العبادة هذا ليس بصحيح لأن الله جل وعلا أمرنا بدعائه فهذا دليلٌ على أن الدعاء داخلٌ في العبادة لأنه من جملة ما أمر الله به .

قال : { **فقل له: أنت تُقِرُّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك ، فإذا قال: نعم، فقل له: بين لي هذا الذي فرضه الله عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك لأنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ [الأعراف:٥٥]** } .

أي تسأله عن معنى العبادة وما الفرق بينهما وبين الالتجاء، فإن بيّن العبادة بياناً صحيحاً أخذنا هذا البيان وتسلسلنا معه وإن لم يعرف ، وهذا هو الغالب لأنه ما قال ما قال إلا عن جهلٍ بتعريف العبادة ، فنعرّف له العبادة ثم نبين له أن كل ما أمر الله به داخلٌ في حدِّ العبادة ، بعد ذلك نأتيه بالدليل الذي أمر الله جل وعلا فيه العباد بدعائه قال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ [الأعراف:٥٥] ، إذاً هذا دليلٌ بيّنٌ وظاهرٌ في أن الله جل وعلا أمر الناس بدعائه ، فإذا كان الدعاء مما أمر الله به هو داخلٌ في حد العبادة ، إذا قيل لك الدعاء عبادة ؟ نقول له نعم ، لم ؟ لأن الله أمر به ، إذاً هو يحبه لأنه لا يأمر في شرعه إلا بما يحب من العباد أن يتقربوا به إليه .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : { **فإذا أعلمته بهذا قل له: هل علمت أن هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول نعم (فالدعاء مخ العبادة) }** .

قوله : (اعلمته) ، الإشارة هنا إلى الالتجاء والدعاء من العبادة.

وقوله : (مخ العبادة)، إشارة إلى الحديث الضعيف الذي في سنده ابن لهيعة ، والصحيح حديث النعمان بن بشير في الترمذي: (الدعاءُ هو العبادة) ،وهذا دليل على أن الدعاء عبادة عظيمة من أجلِّ العبادات ، وهذا الحديث فيه حصرٌ وقصرٌ كأن النبي ﷺ قال: (لاعبادة إلا الدعاء). الآن تسلسلنا معه إلى أنْ أقرّ أن العبادة ما أمر الله فكل ما أمر الله به فهو عبادة ، ويمكن أن تورد له العديد من الأدلة قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ البقرة: ٤٣ ، هل إقامة الصلاة عبادة ؟ نعم ، لم ؟ لأن الله جل وعلا أمر بها ، ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ، هل الزكاة عبادة ؟ نعم عبادة ، لم ؟ لأن الله جل وعلا أمر بها ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ...فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ...﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥، مضارع مقرون بلام الأمر يفيد الوجوب ، إذاً الصيام عبادة لأن الله جل وعلا أمر به .

قال الشيخ : { فقل له : إذا أقررت أنه عبادةٌ لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟، فلا بد أن يقول: نعم.} .

إذا كانت لك حاجة معينةكأن تكون عقيماً فتسأل الله ، تقول : (اللهم أصلحني أو أصلح لي زوجي وأرزقني ولداً)، أنت الآن دعوت الله بهذا الدعاء ، هل تكون قد عبدت الله ؟ ، الجواب : نعم ، لأننا تقربنا إليه بشيءٍ من عبادته وهو الدعاء ، إذاً من سأل الله جل وعلا أن يُصلح أمره بأن يُزيل عنه العُقم ، أو أن يُزيل عن زوجته العُقم ، وأن يهبه الله الذرية الصالحة هذا يكون قد دعا الله ويكون قد امتثل أمر الله الذي يقول : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ... ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف:٥٥] ، إذاً عبد الله ، فإذا قال لوليٍّ ، يا وليَّ الله فلان أصلحني أزِلْ عني هذا العُقم أو أصلح لي زوجتي ، أزِلْ عنها هذا العُقم ، أسألك يا وليّ الله أن ترزقني ولداً ، هذا يكون دعا غير الله ، جعل عبادةً من العبادات لغير الله ، إذاً يكون قد أشرك غير الله بالله في عبادته .

قوله : {في تلك الحاجة }، يعني : الحاجة المعينة .

قوله : { نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم } ، الآن نحن رددناهُ عن خطئه الذي هو إخراج الدعاء والالتجاء لغير الله ﷻ عن كونها من العبادة أو من أنواعها أو من أفرادها ، إذاً الآن أقرَّ

بأن من أنواع العبادة ومن أفرادها التي يجبُ أن تُخلص لله ﷻ أن يدعو الله أن يُلتجئ إليه مستعيناً ومستغيثاً ومستعيذاً، قال: {فقل له}، وتوارد الأدلة وإكثار الأدلة مما يُفيدُ ويحصل به اليقين.

ردّ الشيخ على صاحب الشبهة من وجوه:

قال: {فقل له: إذا علمت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر:٢]، وأطعتَ الله ونحرت له فهل هذا عبادة؟، فلابد أن يقول: نعم.}.

تأتيه بهذه الآية: ﴿فَصَلِّ﴾، هذا فعل أمر والأمر للوجوب، هذا يفيدُ وجوب الصلاة، أن تصلي لله، ويُفيد أن الصلاة عبادة لأن الله جل وعلا أمر بها، إذا صليت لله فإنك تكون قد عبدت الله، فالصلاة نوعٌ من أنواع العبادة، فالله جل وعلا كما أمر أن يُصلى له وأمر بأن يُدعى، فأنت إذا صليت لله تكون قد عبدت الله، وإذا دعوت الله تكون قد عبدت الله ،فإذا صليت لله فإنك تكون قد تقربت إلى الله بنوعٍ من أنواع العبادة الذي هو الصلاة، وإذا دعوت الله تكون قد تقربت إلى الله بنوعٍ من أنواع العبادة الذي هو الدعاء، قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، وهذا فيه أن الصلاة وأن العبادة تكون للرب ﷻ، قال: ﴿وَٱنْحَرْ﴾، فأمر الله جل وعلا

بالنحر له ، إذا النحر عبادة لأن الله أمر به ، فأمرهُ دليلٌ على أنه داخلٌ في حدِّ العبادة .

قال الشيخُ : { فقل له: إذا علمت بقول الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢]، وأطعتَ الله ونحرت له } .

هل هذا عبادة ؟ الله قال : ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ ، يعني : وأنحر لربك ، فإن أنت امتثلت أمر واطعت الله ونحرت له تكون قد عبدته بنوعٍ من أنواع العبادة التي هي النحر .

والعبادة باعتبار التعبد : هي التذلل والخضوع لله تعالى وحده بفعل أوامره وترك نواهيه محبةً وتعظيماً على وِفق الشرع .

إذاً قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ ، أمرك الله بالنحر له ، فإن اطعته ونحرت له وحده تكون قد عبدته ، وإن نحرت لغيره تكون قد أشركت مع الله وعبدت غير الله .

قال الشيخُ : { فقل له: إذا علمت بقول الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢]، وأطعتَ الله ونحرت له هل هذه عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم ، فقل له : إذا نحرت لمخلوقٍ نبيٍ أو جني أو غيرِهما ، هل أشركتَ في هذهِ العبادةِ غيرَ الله ؟ فلا بد أن يقر ، ويقولَ : نعم } .

هو الآن بسبب جهله بحقيقة العبادة قال ما قال ، فنحن نسوقه سوقاً بتعريف العبادة ومن ثَمّ إن إقر أن كل ما أمر الله به فهو داخلٌ في حدِّ العبادة ، ثم نورد له الأدلة التي دلت على أن الله جل وعلا أمر بدعائه سبحانه وتعالى .

الوجه الثالث من وجوه الرد ، فوجوه الرد ثلاثة :

الوجه الأول : الإلزام بتعريف العبادة .

الوجه الثاني : المثال الذي أتى به الشيخ في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾.

الوجه الثالث : إقراره بأن المشركين الأولين كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات .

الوجه الثاني من وجوه الرد :

قال : **{ وقلْ لهُ أيضاً : المشركونَ الذين نزلَ فيهمُ القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكةَ والصالحين واللاتَ وغيرَ ذلكَ ؟.}** .

هذا سؤال فله جوابان :

الجواب الأول : إما أن يقول لا ما كانوا يعبدون غير الله فنورد له الأدلة التي تدل على أنهم كانوا يعبدون غير الله ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ

﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣ ، وكقوله :﴿ ... وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ...﴿١٨﴾ ﴾ يونس: ١٨، ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ ﴾ الحج: ٧١، فلما نورد له هذه الأدلة يُقر بأن من بُعِث فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون غير الله ، يعبدون الملائكة والصالحين واللاتَ وغيرَ ذلكَ .

الجواب الثاني :

قال : { فلا بد أن يقول : نعم . فقلْ لهُ :} ،إذا قال نعم .

قال : { فقلْ لهُ : وهل كانتْ عبادتُهم إياهُم إلا في الدعاء والذبحِ والالتجاءِ ونحو ذلك ؟ }.

إذا قال نعم كانوا يعبدون غير الله ، نقول له : ماهي أنواع العبادة التي كانوا يعبدون الأنبياء والأولياء و الملائكةَ والصالحين والأصنام والأشجار والأحجار.

قال :{ وهل كانتْ عبادتُهم إياهُم إلا في الدعاء والذبحِ والالتجاءِ ونحو ذلك ؟ }.

كانوا يعبدون غير الله كانوا يدعون غيره ويستعينون بغيره ويحلفون بغيره وهكذا كما قال الله : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ

ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٥،

يُشركون غير الله في دعائهم في حال الرخاء .

قال : { وإلا فهُمْ مُقِرُّون أنهم عبيدهُ وتحتَ قهرِ الله ، وأن الله هو الذي يُدبرُ الأمرَ ، ولكنْ دعوهُم ، والتجأوا إليهم للجاهِ والشفاعةِ ، وهذا ظاهر جداً . }.

إذاً بهذا تكون قد انكشفت شبهته هذه وظهر زيف كلامه بقوله : (أنا لا أعبد إلا الله) ، بل أنت تعبد غير الله جل وعلا بدعائك وبإلتجائك لغيره .

وقوله : { وهذا الإلتجاء إليهم } ، يعني إلى الصالحين ، قوله :{ودعاؤهم هذا ليس بعبادة } ، هذا باطل ، بل هذا من اعظم أنواع العبادات لقوله ﷺ : (الدعاءُ هو العبادة) ، وبيّن الله جل وعلا أنه لا أحد أضل ممن يدعو غير الله قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأحقاف: ٥ - ٦ ، والله جل وعلا قال : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨ ، يعني الله جل وعلا يحضنا على دعائه وحده وينهانا عن دعاء غيره ، فالدعاءُ عبادة من أجلِّ العبادات ، وكل ما أمر الله جل وعلا به فهو

داخلٌ في حدِّ العبادة ، فمن تقرّب لغير الله جل وعلا بشيءٍ مما أمر به الله جل وعلا وأمر أن يُفرد به فهذا يكون قد أشرك غير الله جل وعلا بالله في عبادته .

وبهذا تكون هذه الشبهة قد انكشفت ، فالذي يحق له أن يقول أنا لا أعبد إلا الله هو الذي حصر وقصر جميع عباداته على الله سبحانه وتعالى الذي عبد الله جل وعلا وحده الذي لم يعبد غير الله جل وعلا البتة قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣ ، من كان على هذا فهو الذي يحق له أن يقول أنا لا أعبد إلا الله ، أما الذي يدعو الله ويدعو غيره هذا يقول أنا لا أعبد إلا الله؟ بل أنت تعبد الله وتعبد غيره وهذا هو الشرك الذي حرمه الله جل وعلا في سائر الشرائع وأوجب الخلود في النار أبد الآباد وأحبط أعمال من ماتوا على هذا الشرك ، فإن أعمالهم ولا قبول لأعمالهم عند الله سبحانه وتعالى ويُحرمون من الشفاعة كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا) ، أما من مات وهو يُشرك بالله كما قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (المدثر : ٤٨) .

الشبهة الخامسة

قال الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ : { فإن قال : أتنكر شفاعة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتتبرأ منها ؟ فقل : لا أنكرها ، ولا أتبرأ منها ، بل هو - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الشافع المشفع وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] ، ولا تكون إلا من بعد إذن الله ، كما قال - عز وجل - : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] } .

الشرح :

ملخص هذه الشبهة : إثبات الشفاعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره ، يعني : سؤالهم والإلتجاء إليهم ، هذا عندهم يعني إذا أثبت الشفاعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعند أصحاب الشبهة هؤلاء أنك تلجأُ إليه وإلى غيره ممن ثبتت له الشفاعة .

ومرجعُ هذه الشبهة : إلى الجهل بحقيقة الشفاعة وشروطها .

قال الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ : { فإن قال : أتنكر شفاعة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتتبرأ منها ؟ فقل : لا أنكرها ، ولا أتبرأ منها } .

مما أُلصِق بالشيخ محمد بن عبدالوهاب وبدعوته ، ومما أُشيعَ وأُذيعَ أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يُنكرُ الشفاعة وما أكثر ما أُلصِق به رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى من الشبهات ومن الشائعات ليصدوا بهاالناس عن توحيد الله فمن ذلك أنهم يقولون :

١ ـ يُنكر شفاعة الرسول ﷺ .

٢ـ كان يُنكرُ الصلاة على النبي ﷺ .

٣ ـ كان ينكر زيارة قبر النبي ﷺ .

٤ ـ أن أحد أتباعه قال: إن إمامه قال :عصاي هذه خير من الرسول ﷺ ،إلى غير ذلك من الأكاذيب التي ردها هو عليه تجدون ذلك في (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) .

وكذلك رد هذه الأراجيف وهذه الشائعات وهذه التهم كثير من تلامذته ومن طلابه في ردورهم على القبوريين فهذا كلام واضح ، هنا نصٌ واضحٌ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رد هذه الفِرية .

قال :{ **فإن قال : أتنكر شفاعة النبي – ﷺ – وتتبرأ منها ؟ فقل : لا أنكرها ، ولا أتبرأ منها ، بل هو – ﷺ – الشافع المشفع** }.

الشافع : هو الذي يُؤذن له بالشفاعة .

المشفع : الذي تُقبل شفاعته

قوله :{ **وأرجو شفاعته**} : يرجو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يشفع فيه الرسول ﷺ .

قوله :{ **ولكن الشفاعة** } ، وهذا الذي يجبُ أن يُعلم .

قوله :{ **كلها لله كما قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ... ﴾ [الزمر : ٤٤]** }.

فالله جل وعلا قال قبل هذه الآية :﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الزمر: ٤٣، و (أم) هنا بمعنى : (بل) ، وهذه حكاية عن المشركين أنهم اتخذوا من دون الله شفعاء يسألونهم الشفاعة ويطلبون منهم الشفاعة ، قال : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ ﴾، (أم) هنا بمعنى : (بل) ، والمعنى: { بل اتخذوا من دون الله شفعاء } ،فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ ، و (شَيۡـٔٗا) ،نكرة في سياق النفي تفيد العموم ، ويدخل في ذلك أنهم لا يملكون الشفاعة ،﴿ ...أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾، ثم قال الله : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ... ﴾ الزمر: ٤٤، اللام في قوله :﴿ لِّلَّهِ ﴾ هذه لام الملك ، فالشفاعة لله جل وعلا ملكاً واستحقاقاً ،﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ... ﴾ الزمر: ٤٤، وهذه الآية فيها قصرُ ملك الشفاعة على الله تعالى فلا يملك أحد الشفاعة سواه سبحانه وتعالى ، كذلك قوله :﴿ قُل لِّلَّهِ ... ﴾ هنا قدم الجار والمجرور ، والجار والمجرور خبر مقدم ، والشفاعة : مبتدأ مؤخر ، وتقديم ما حقه التأخير يفيدُ الحصر والقصر . والشفاعة : مفرد معرّف يفيد العموم ، فالشفاعة بجميع أنواعها ملكٌ لله جل وعلا ، وقال الله جل وعلا :﴿ جَمِيعٗاۖ ﴾، ثم قال بعدها :﴿ ... لَّهُۥ

﴿مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ...﴾ ، كذلك هنا حصر وقصر ، قدم الجار والمجرور (له) على المبتدأ (ملك) ، جار ومجرور خبر مقدم ﴿...مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ...﴾، هذا مبتدأ مؤخر وتقديم ما حقه التأخير يفيدُ الحصر والقصر فملك السموات والأرض لله وحده .

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ...﴾ ، ومعناه أن الله هو المالك للشفاعة ، وأن الله جل وعلا مالك إجابة شفاعة الشفعاء .

إذاً هذه الآية أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنعلم أن الشفاعة ملكٌ لله جل وعلا وحده لا يشاركه في ملكها نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرّب ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ الزمر: ٤٤ .

ثم قال : { ولا تكون إلا من بعد إذن الله ، كما قال – عَزَّوَجَلَّ – : ﴿...مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ...﴾ [البقرة : ٢٥٥] . } .

ولا تكون الشفاعة إلا بعد إذن الله تعالى كما قال تعالى : ﴿...مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ...﴾ ،(من) هذه من صيغ العموم .

قوله : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ﴾، هذا استفهامٌ إنكاري متضمنٌ للنفي والتحدي ، بمعنى : لا أحد يشفع دون إذن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ، وأتحدى أن يوجد أحد يشفع دون إذن الله تعالى .

فقوله : ﴿مَن ذَا﴾ هذا عموم يدخل فيه حتى النبيُّ ﷺ فلا يشفع النبيُّ ﷺ دون أن يأذن الله جل وعلا ، ولذلك جاء في حديث الشفاعة أن النبيُّ ﷺ قال : (فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال : يا محمد أرفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه.)، وهذا هو الإذن إذن قوله :﴿...مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ...﴾، هذا استفهامٌ إنكاري متضمنٌ للنفي والتحدي ، إذاً ليس هناك من يشفع دون إذن الله جل وعلا ، ولا النبي ﷺ ، والله جل وعلا قد أبان هذا في العديد من الآيات حتى تستقر هذه الحقيقة في القلوب قال : ﴿...مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ...﴾ ، وقال في أخرى :﴿...مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ...﴿٣﴾﴾ يونس: ٣، ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ النجم: ٢٦،وقال تعالى : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ...﴿٢٣﴾﴾ سبأ: ٢٣، وقال الله ﷻ عن يوم القيامة :﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ...﴿١٠٥﴾﴾ هود: ١٠٥، مجرد الكلام لا يكون إلا بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، قال تعالى : ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾﴾ النبأ: ٣٨.

قوله : { ولا تكون }، هذه الشفاعة ما تكون إلا بإذن الله ، ومن زعم أن الشفاعة تكون بدون إذن الله فهذا كافر لأنه مكذبٌ لله في خبره ، فالله جل وعلا أخبر في العديد من الآيات أنه لا أحد يشفع إلا من بعد إذن الله عز وجل ، فالذي يأتي ويزعم أن أحداً من الناس يشفع دون إذن الله عز وجل هذا كافر لأجل أنه كذب الله سبحانه وتعالى في خبره :﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ طه: ١٠٩.

بيان الطريقة الشرعية لطلب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم

قوله : { ولا يشفعُ النبيُّ في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال عز وجل:

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (الأنبياء : ٢٨) ،وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران : ٨٥)} .

ولا يشفعُ النبيُّ في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه وغيرالنبي صلى الله عليه وسلم من باب أولى كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ ، فهذا شرطٌ من شروط الشفاعة أن يرضى الله جل وعلا عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد ، فلا بد أن يكون الشافع ممن رضي الله قوله وعمله ، وكذلك المشفوع فيه لا بد أن يكون ممن رضي الله قوله وعمله كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ .

قوله : { وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ } .

الله عَزَّ وَجَلَّ قال : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ... ﴿٢٣﴾ ﴾ سبأ: ٢٣، هذا في الشافع ، والمشفوع فيه لا بد أن يكون من أهل التوحيد قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ ، كذلك ما جاء في حديث أبي هريرة في البخاري : (من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) ، وثبت كذلك في الصحيح من حديث أبي هريرة : (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا) ، فهذا الذي تناله الشفاعة ، أما من كان من أصحاب العقائد الفاسدة هذا لا يأذن الله بالشفاعة فيه كما قال تعالى : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ غافر: ١٨٠، (ما) هنا نافية ، والمراد بـ (الظالمين) هنا المشركون وهذا جمعٌ معرّف ، والجمعُ المعرّف يفيد العموم فهذه الآية في كل مشرك ، فكل من أشرك بالله الشرك الأكبر ومات على ذلك ولقي الله جل وعلا بذلك .

و(شفيع) نكرة مسبوقة بالنفي وتقدمت عليها (من) الدالة على أن هذا عمومٌ نصّي .

فالعموم النصّي : هو الذي لا يُستثنى منه شيءٌ ، فليس للمشرك من شفيع كما قال الله تعالى ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٠ – ١٠١، فمن لقي الله جل وعلا على الشرك الأكبرفلا شفاعة فيه كما قال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ المدثر: ٤٨، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأنعام: ٩٤، ، فهؤلاء الذين عينوهم شفعاء في الدنيا بزعمهم لا يجدونهم يوم القيامة .

شروط الشفاعة :

الأول : الإذن للشافع والرضا عنه .

الثاني : الرضا عن المشفوع فيه .

الثالث : أن يكون الشافع موّحداً .

الرابع : أن يكون المشفوع فيه موّحداً .

فمن شروط الشفاعة أن يكون المشفوع فيه موّحداً فإن كان مشركاً فلا تنفعه شفاعة الشافعين وليس هناك من يشفع فيه .

قوله : { وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ } .

ولا شك في كفر من لم يدخل في الإسلام ، فكل من لم يدخل في الإسلام فهو في عداد الكفار الذين ولا تنفعه الشفاعة .

قال : { **فإذا كانت الشفاعةُ كلُها لله .** }

والدليل على أن الشفاعة كلها لله قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الزمر: ٤٤.

قال : { **ولا تكونُ إلا من بعد إذنه .** } ، لا تكونُ الشفاعة إلا من بعد إذن الله وهذا معناه أن الشفاعة بدون إذنه لا تكون أبداً ولا تحصلُ شفاعة دون إذن الله أبداً هذه الشفاعة المنفية التي كان يعتقدها الكفار فيعتقدون أنها تحصل دون إذن الله سبحانه وتعالى فهذه لا تكون أبداً.

قال : { **ولا يشفعُ النبيُ ﷺ ولا غيرُهُ في أحدٍ حتى يأذن الله فيه .** }

والدليل قوله تعالى : ﴿ ...مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ... ﴾ ، (من) هذه من صيغ العموم يدخل فيه النبي ﷺ وسائر الأنبياء .

قال : { **ولا يأذن إلا لأهل التوحيد .** } ، فالله جل وعلا لا يأذن إلا لأهل التوحيد، فإذا عرفنا أن الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا من بعد إذنه و لا يأذن إلا لأهل التوحيد ، علمنا من هذا أن أعظم سبب تحصل وتنال به

الشفاعة هو تجريدُ التوحيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ولكن أهل الشرك عكسوا فطلبوا الشفاعة بالشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فاتخذوا أعظم الأسباب التي تحول بينهم وبين الشفاعة .

قال : { **فإذا كانت الشفاعةُ كلُها لله ولا تكونُ إلا من بعد إذنه ولا يشفعُ النبيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غيرُهُ في أحدٍ حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد ، تبين لك : أن الشفاعةَ كلَها لله ، وأطلبُها منه .** }

فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه ، فالواجب أن تُطلب من مالكها ولا تُطلب من غيره لأن غير الله لا يملكها .

ومراد الشيخ أن يقول لك إن طلب الشفاعة عبادة من العبادات فهو سؤال ودعاء كغيره من أنواع الدعاء ، ولا يجوز لأحد أن يطلب من أحدٍ أن يهبه ولداً لأن غير الله لا يملك وكذلك الشفاعة ، فالشفاعة لا يملكها أحد سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إذاً طلب الشفاعة من الله هذا نوعُ دعاء وهو عبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ،و طلب الشفاعة من غير الله جل وعلا نوعُ دعاءُ لغير الله وهو عبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إذاً طلب الشفاعة من غير الله شركٌ وهذا الذي كان عليه المشركون كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ الزمر: ٣،

وقال تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ

﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ يونس: ١٨ ، فهم يطلبون الشفاعة من غير الله .

قال الشيخ : { **وأطلبُها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعتَه ، اللهم شفّعه فيّ ،.** }.

يُريدُ الشيخُ أن يُبيّنُ لك الطريقة الشرعية لطلب الشفاعة ، إذا أردت الشفاعة أن تقول : (اللهم لا تحرمني شفاعته) والضمير هنا راجعٌ للنبي ﷺ (اللهم شفَّعهُ فيَّ) ، أنت تسأل الله ولا تسأل الرسول ﷺ ، لو أن شخصاً قال : يا رسول الله أسألك الشفاعة يارسول الله اشفع لي ، هذا شركٌ لأنه دعا غير الله جل وعلا وسأل غيره أمرا لا يملكه إلا الله .

قال الشيخ : { **وأمثال هذا .** } ، يعني من الألفاظ التي نسأل الله جل وعلا بها أن يشفِّعْ فينا الرسول ﷺ ، هنا قال : (اللهم لا تحرمني شفاعته) ، ويمكن أن نقول : اللهم أجعلني ممن يُشفّعْ فيهم النبيُّ ﷺ ، اللهم شفِّع رسولك فيَّ .

إذاً الشيخُ رحمه الله كشف لك شبهة هذا ، وهيالتعلق بالشفاعة ليفرق بين الدعاء ودعاء الرسول ﷺ ، وليس مقصودهم سؤال الرسول فحسب وإنما دائماً يتذرعون بالرسول ﷺ ، ومن ثم يسحبون هذا ، فيجيزون لك أن تطلب الشفاعة من أوليائهم المزعومين هؤلاء ، فالشيخُ يُبيّنُ لك أن الشفاعة لا يملكها إلا الله ، وسؤال غير الله في أمرٍ لا يملكه إلا الله

شركٌ وعبادةٌ لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إذاً مهما لفَّ ودار فهو يدور حول تسويغ وتبرير أن يُعبد غير الله وأن يُلجأ لغير الله ويأتيك في كل مرة من طريق .

الشبهة السادسة

قال الشيخ : { فإن قالَ : النبيُ ﷺ أُعطي الشفاعةَ وأنا أطلُبُهُ مما أعطاه الله

فالجوابُ : أن الله أعطاهُ الشفاعةَ ونهاكَ عن هذا فقال : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن : ١٨] ، فإذا كنت تدعو الله أن يُشّفعَ نبيهُ فيكَ فأطعْهُ في قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾.} .

الشرح :

كأنه يقول : صحيح أن من طلب من غير الله أمراً لا يقدرُ عليه إلا الله فهذا يكون قد دعا غير الله وقد أشرك غير الله بالله لكن أنا أقول إن النبيَّ ﷺ يملكُ الشفاعة، قالَ : (النبيُ ﷺ أُعطي الشفاعةَ) ، وهذا كما في حديث جابر في الصحيحين قال ، النبيُ ﷺ : (وأعطيت الشفاعة فأخذتها لأمتي وهي إن شاء الله نائلة لمن لم يشرك بالله عز وجل) وفي رواية(وأعطيت الشّفاعة وليس من نبيّ إلاّ وقد سأل شفاعةً وإنّي أخبأت شفاعتي ثمّ جعلتها لمن مات من أمّتي لم يشرك بالله شيئًا)، ومعناه ليس أنه صار مالكاً لها مطلقاً ،و (ال) في الشفاعة للعهد الذهني ، والمراد هنا الشفاعة العظمى .

المراد بإعطائه الشفاعة أنه يؤذن له بأن يشفع وإلا فإن النبيُ ﷺ كما جاء أنه قال : (فأنطِلقُ ، فآتي تحتَ العرش فأقعُ ساجِداً لربي عزَّ وجل، ثمَّ

يَفتح اللهُ عليَّ من مَحامِدِه وحُسنِ الثناءِ عليهِ شيئاً لم يَفتحْهُ على أحدٍ قبلي ، ثم يُقال : يا محمد ، ارفَعْ رأسك ، سَل تُعطَهْ ، واشفعْ تُشَفع) .هذا هو الإذن ، وتلك المحامد كما ذكر ابن القيم ذكر الله ودعاؤه بأسماء وصفات لم يعرفها لأحد من خلقه .

(وأعطيتُ الشفاعة) يعني : أنه يؤذن لي فيها ، أما أنه يملكها أحدٌ سوى الله عَزَّوَجَلَّ .

قال الشيخ : { فإن قالَ : النبيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعطي الشفاعةَ وأنا أطلُبُهُ مما أعطاه الله }

نقول له الحديث صحيح أن النبيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعطي الشفاعةَ ولكن ماذا تريد أنت وما المعنى وما المراد من قوله : (أُعطيتُ الشفاعة) ؟، يعني أنه يؤذن له فيها وليس معنى ذلك أنه يملكها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالله جل وعلا قال : ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾ الزخرف: ٨٦ ، الله قال : ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ﴾، وهذا نفيٌ مستمر ، قال : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ، وهذا إستثناء كما يقول شيخ الإسلام : إستثناء منقطع ، فقوله : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ ،هنا تقدير ، ومعناه : (فإن كانوا لا يملكون هل يشفعون ؟) قال الله عَزَّوَجَلَّ (نعم) ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾، هؤلاء يشفعون ويُشّفع فيهم ،

وكذلك قوله : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ مريم: ٨٧ ، فإنهم يؤذن لهم ، ليس المراد بالملك أنهم يملكونها ملكاً مطلقاً وإنما يؤذن لهم .

قال الشيخ : { فإن قالَ : النبيُّ ﷺ أُعطي الشفاعةَ وأنا أطلُبُهُ مما أعطاه الله فالجوابُ : أن الله أعطاهُ الشفاعةَ ونهاكَ عن هذا .}.

(أعطاه الشفاعة) يعني أذن له في أن يُشّفع فهو الشافع الذي يؤذن له بالشفاعة ، المشّفع الذي تُقبل شفاعته ﷺ فالله الذي أعطاه نهاكَ عن هذا ، نهاك عن سؤال ﷺ الشفاعة كما سبق لأن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ نوعُ دعاءٍ ولا يجوز أن يُدعى غير الله عَزَّ وَجَلَّ .

قال الشيخ : { فقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن : ١٨] }، هذا هو الدليل على أنه نهانا أن نطلب الشفاعة النبي ﷺ ، ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ ﴾ لم يذكر المتعلّق لإفادةِ العموم ، لا تدعوه في أيِّ شيءٍ ، و﴿ أَحَدًا ﴾ نكرة في سياق النفي تُفيدث العموم ، و النبي ﷺ داخلٌ في قوله :﴿ أَحَدًا ﴾ ، كذلك طلب الشفاعة داخلٌ في قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ ﴾ ،إذاً هذا منهيٌّ عنه ، فالله أذن للنبيِّ ﷺ بالشفاعة ونهاك أن تسأله الشفاعة .

شبهة أخرى

فإن قال : فإن الناس سألوه يوم القيامة الشفاعة ؟

الجواب نقول : هناك فرقٌ بين الأمرين :

الجواب الأول :أنت تسأل يوم القيامة حياً قادراً حاضراً ، والناس في يوم القيامة يأتون النبي ﷺ يقولون : (يارسول الله سل لنا الله عز وجل أن يريحنا من هذا الموقف) ، كما أنك تأتيه تقول مثلاً يارسول الله سل لنا الله عز وجل المطر ، سل الله لي الشفاء .

الجواب الثاني : أنت هنا تسأل ميتاً غائباً ، وهنا الفرق .

الجواب على رد الشبهة السادسة :

قال الشيخ : { فإذا كنت تدعو الله أن يُشّفعَ نبيهُ فيك فأطعْهُ في قوله : ﴿ فَلَا تَدۡعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن : ١٨] }.

الشيخ يقول : إنت كنت صادقاً في أنك تريد شفاعته فالشفاعة إنما تُنالُ بتجريدِ التوحيد ،{فأطعْهُ: ﴿ فَلَا تَدۡعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ ، فإنك إذا دعوت مع الله أحداً فإنك ستحُرمُ من الشفاعة .

الجواب الأول : أن الله أعطاه الشفاعة و نهاك أن تطلبها منه وأن تسأله الشفاعة .

قال الشيخ : { وأيضاً : فإن الشفاعة أعطيَها غيرُ النبي ﷺ فصحَ أن الملائكةَ يشفعونَ والأفراطَ يشفعون ، والأولياءَ يشفعونَ أتقولُ : إن الله

أعطاهمُ الشفاعةَ فأطلبُها منهم ؟! ، فإن قلتَ هذا ، رجعتَ إلى عبادةِ الصالحينَ التي ذكرها الله في كتابِه ، وإن قلتَ : لا ، بطل قولُك : أعطاهُ الله الشفاعةَ وأنا أطلبُهُ مما أعطاه الله .}.

قوله : { وأيضاً} : هذا هو الجواب الثاني لهذه الشبهة ، فإن الشفاعة أعطيَها غيرُ النبي ﷺ ، وهذا يُبيّن لك معنى قوله : (أُعطيه) ، ومعناه أن الله جل وعلا يأذن فيها لغير النبي ﷺ كما في الحديث : (شفعت الملائكة وشفع النبيّون والمؤمنين) .

قال : { **فصحَ أن الملائكةَ يشفعونَ** } ، وهذا كقوله : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ النجم: ٢٦، كذلك جاء عن أبي سعيد في الصحيحين : (شفعت الملائكة وشفع النبيّون والمؤمنون) ، هذا دليلٌ على أن الملائكة يشفعون وأن الأنبياء غيرُ النبي ﷺ يشفعون وأن المؤمنون يشفعون .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { **والأفراطَ يشفعون**} .

الأفراط : من ماتوا صغاراً ، هؤلاء يشفعون كما ثبت عند النسائي من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ : (**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله اللهَّ الجَنَّة بفضل رحمته إياهم**)، يعني يوم القيامة يؤتى بمن ماتوا صغاراً ، فالله جل وعلا يقول لهم: (ادخلوا الجنة ،

فيقولون : حتى يدخل آباءنا ، قال : فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم) ، وهذه شفاعة من الأفراط في آبائهم .

وكذلك الشهداء يشفعون كما ثبت في المسند من حديث المقدام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (للشّهيد عند الله ستّ خصال: يغفر له في أوّل دفعة، ويرى مقعده من الجنّة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدّنيا وما فيها، ويزوّج اثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين، ويشفّع في سبعين من أقاربه)، الشاهد قوله : (ويشفّع في سبعين من أقاربه)،(ويشفّع) يعني : تُقبل شفاعته في سبعين من أقاربه .

هؤلاء يؤذن لهم في الشفاعة ولا يجوز أن نطلبها منهم لأنهم لا يملكونها فالمالك هو الله عز وجل .

قال الشيخ : { أتقولُ : إن الله أعطاهمُ الشفاعةَ فأطلبُها منهم ؟! } .

وهل كل من أُعطي شيئاً يجوز أن يُطلب منه شيئاً ؟ الجواب : لا ، لأن السؤال محرم كما في الحديث : (ياقبيصة ، إنَّ المسألةَ لا تحلّ إلا لأحد ثلاثة) ، لا تسأل الناس شيئاً فذكر: (رجلٌ تحمّل حمالة ، فَحلَّتْ له المسألة حتى يُصيبَها ، ثم يُمْسِكُ ، ورجُل أصابتهُ جائحة اجتاحت ، فحلّتْ له المسألة حتى يُصيب قِوَاماً مِنْ عَيْش – أو قال : سِدادا مِنْ عَيْش – ورجل أصابته فاقة ، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه : لقد

أصابت فلاناً فاقة ، فحلّت له المسألة ، حتى يصيبَ قَوَاما من عَيْش – أو قال : سِدَاداً من عيش – فما سِوَاهنَّ من المسألة ياقبيصة سُحْت ، يأكلها صاحبها سُحْتاً .) أخرجه مسلم، فما كل من أُعطي شيئاً يجوز له أن يتصرف فيه كما يشاء .

قال الشيخ : { **وأيضاً : فإن الشفاعة أعطيَها غيرُ النبي ﷺ فصح أن الملائكةَ يشفعونَ والأفراطَ يشفعون ، والأولياءَ يشفعونَ أتقولُ : إن الله أعطاهمُ الشفاعةَ فأطلبُها منهم ؟! ، فإن قلتَ هذا ، رجعتَ إلى عبادةِ الصالحينَ التي ذكرها الله في كتابِه** } .

إن قلت يجوزأن أسأل هؤلاء الشفاعة فقد رجعت إلى ما كان عليه المشركون ، قال الله ﷻ : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾ يونس: ١٨ .

قال الشيخ : { **وإن قلتَ : لا ، بطل قولُك : أعطاهُ الله الشفاعةَ وأنا أطلبُهُ مما أعطاه الله .** } ، بطل قولك هذا لأن قولك هذا شركٌ بالله .

الشبهة السابعة

قال الشيخ رحمه الله : { **فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك . }** .

مرجع هذه الشبهة : إلى الجهل بحقيقة الشرك .

قوله : (**أنا لا أشرك بالله شيئاً**) ، هنا نفى الشرك عن نفسه .

قوله : (**حاشا وكلا**) ،يُريدُ بذلك المبالغة في النفي .

قوله : (**ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك**) ، الإلتجاء إلى الصالحين يدخل فيه دعاؤهم والاستعانة بهم والاستغاثة بهم وهوقد نفى هذا كله أن يكون من الشرك .

فمرجع هذه الشبهة : إلى الجهل بحقيقة الشرك ، فإن صاحب هذه الشبهة لو كان يعرف حقيقة الشرك لما قال ما قال ، ولكن لما جَهِلَ حقيقة الشرك نفى عن نفسه الشرك وزعم أن عبادة الصالحين بالدعاء وبالاستعانة وبالاستغاثة هذا كله ليس من الشرك .

قال الشيخ رحمه الله : { **فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا .}** ، نسأله أولاً : هل حرم الله جل وعلا الشرك؟

فله جوابان :

الأول : أن يقول : نعم أن الله جل وعلا قد حرم الشرك وبهذا يكون قداختصر علينا الطريق .

الثاني : أن يقول : لا ، فنقول له إن الله قد حرّم الشرك ولنا على ذلك أدلة قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١، فهذه الآية دليلٌ على أن الله قدحرّم الشرك ،وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣ ، وهذه الآية دليلٌ على أن الله جل وعلا قد حرّم الشرك ،و من الأدلة على تحريم الشرك كل آية فيها النهيُ عن الشرك لأن النهي للتحريم هذا هو الأصل كقوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ... ﴾ النساء: ٣٦، و (لا) هذه ناهية بدليل أن المضارع بعدها جاء مجزوماً ، فالله جل وعلا نهى عن الشرك والنهي للتحريم ، وجاء في حديثِ وصيةِنوح لابنه قال : (وَأَنْهَاكَ عَنْ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ)رواه البخاري في الأدب المفرد : ، والنهي للتحريم ، فإذا أوردنا له هذه الأدلة

لا يبقى أمامهُ إلا أن يُقر أن الله جل وعلا حرّم الشرك، بعد ذلك ننتقل معهُ إلى سؤال آخر وهو أن نقول له : بعدأن أقررت أن الله حرّم الشرك فنحن نقول إن تحريم الشرك أعظم من تحريم الزنا أتُقّر بذلك ؟

فإن قال نعم فقد أراح واستراح ، وإن قال : لا ، أتيناه بالأدلة التي تدل على أن الله جل وعلا قد حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا ،والأدلة على ذلك كثيرة من ذلك ماجاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال: (أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك) ، فالشرك أعظم الذنوب على الإطلاق ، فالنبيُّ ﷺ أبان أن هذا أعظم ذنبٍ عُصيَ الله به على الإطلاق ، قال : (قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزني بحليلة جارك) الحديث، إذاً هذا نصٌ واضحٌ في أن الله جل وعلا حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، ففي هذا الحديث حجة ظاهرة.

كذلك مما يدلُّ أن الله جل وعلا حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا قول النبيُّ ﷺ : (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ، قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِّ ، قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللهِّ) الحديث ، متفق عليه من حديث أبي بكرة نُفيع بن الحارث ، وقال النبيُّ ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات. قيل: يا رسول الله ! وما هن ؟ قال: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات

الغافلات المؤمنات)، فذكرّ الشرك أولاً ، وقال الله جل وعلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ... ﴾ الفرقان: ٦٨ ، فنهى عن الشرك قبل النهي عن الزنا ، وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢، فجعل البيعة على ترك الشرك قبل البيعة على ترك الزنا ، فهذه الأدلة كلها تدلُّ على أن الله جل وعلا حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا .

كذلك يُقال : أن الشرك يُوجب الخلود في النار والزنا لا يوجب الخلود في النار إلا إذا استحله ، والشرك مخرجٌ من الملة والزنا لا يُخرج من الملة ، والشرك يحرم صاحبه من الجنة والزنا لا يحرم صاحبه من الجنة ، والشرك يُحبط العمل والزنا لا يُحبطُ العمل فهذه كلها دلالات على أن الله جل وعلا حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا .

ومن عظيمِ فقه الشيخ رحمه الله أنه أراد أن يُبيّن أن الشرك هذا أقبح من الزنا فقام ببيان تحريم الشرك وبيان تحريم الزنا ، لأن الزنا مستنكر ومستقبح عند جميع الناس ، فكأن الشيخ رحمه الله يقول هذا الزنا الذي تستنكرونه

وتستقبحونه ولا ترضونه لأنفسكم ولا لبناتكم ولا لنسائكم ولا لأهليكم وتفرّون منه وتنفرون منه أعظم النفور ، فالشرك أعظم تحريما من الزنا .

فالواجب على الناس أن يستقبحوا الشرك ويسعوا في إبعاد أنفسهم وإبعاد أهليهم عنه أعظم من السعي في إبعاد أنفسهم إبعادهم عن الزنا .

إذن الآن هو أقرّ معنا أن الله حرّم الشرك وأن تحريم الشرك أعظم من تحريم الزنا .

قال الشيخ رحمه الله : **{ وتقر أن الله لا يغفره . }** ، تقر أن الله لا يغفر الشرك لعبد لقيه به ولم يتب منه ؟

فإن قال : نعم ، فقد أراح واستراح ، وإن قال : لا ، أتيناه بالدليل على أن الله جل وعلا لا يغفر الشرك قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨، أي : ويغفر ما دون الشرك الأكبر ، فمن لقي الله جل وعلا على الشرك الأكبر فإن الله جل وعلا لا يغفره ويكون ذلك سبباً في حرمانه في دخول الجنة وسبباً في دخوله وخلوده في النار .

قال : **{ وتقر أن الله لا يغفره . }** ، أقرّ أن الله حرم الشرك ، وأقرّ أن الشرك أعظم من الزنا وأقرّ أن الشرك هو الذنب الذي لا يغفره لعبدٍ لقيه عليه فإن تاب قبل موته فإن الله يغفر له والدليل قوله تعالى : ﴿ قُل

لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنفال: ٣٨ ،وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الفرقان: ٦٨ – ٧٠، وقال الله تعالى : ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣، والدليل على أن الشرك داخلٌ هنا أن الذنوب جمع معرّف والجمع المعرّف يفيد العموم والله جل وعلا أكد على هذا بقوله : ﴿ جَمِيعًاۚ ﴾ ، وهذه الآية في حقِّ التائبين فمن تاب من أي ذنبٍ مهما عظُم فإن الله جل وعلا يغفر له ذلك الذنب قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء: ١١٠ ، قوله : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾ ، نكرة في سياق الشرط تفيد العموم يدخل فيها الشرك ،قال : ﴿ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ،أما إذا مات على الشرك الأكبر من غير توبة فالله جل وعلا لا يغفر له ، وكذلك قال الله جل وعلا في الحديث القدسي : (يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ

السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)

فهذا دليلٌ على أن الله يغفرُ ما دون الشرك ، إن لقي العبد الله جل وعلا سالماً من الشرك الأكبر

قال الشيخ: { **فما الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟** } ، إن كنت تُقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقرُّ أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي لا يغفره الله ؟ ، (الألف واللام) في قوله : (الأمر)هنا للعهد الذهني ، يعني ما هذا الشرك ؟

نسأله عن تعريف الشرك ، أنت لا يمكن أن تحكم على شيءٍ وأنت لا تعرفه ، قال الشيخ : { **فما الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟** } ، لأن صاحب الشبهة قال : { أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك . } ، إذاً لا بد أن يكون على معرفة بالشرك ، فكل من حكم بغير علم فحكمه مردود ، والله جل وعلا حرم علينا أن نتكلم بلا علم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦ ، وكذلك قال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ

بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣ ، فنقول له عرّف الشرك ؟ .

فإما أن يكون على علمٍ بالتعريف الصحيح للشرك ، وهذا بعيد لأنه لو كان يعرف الشرك ويعرف حقيقة الشرك لما نفى عن نفسه حقيقة الشرك وهو مستمرٌ في الشرك بالله ولما أخرج الإلتجاء إلى الصالحين عن أن يكون من الشرك ، ولذلك جزم الشيخ قال : { **فإن كان لا يدري** } ، رجّح أنه جاهل بالشرك.

قال الشيخ: { **فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟** } .

كيف تنفي الشرك وأنت ملطّخٌ بالأعمال الشركية ؟ كيف تقول الإلتجاء إلى الصالحين ليس بداخلٍ في الشرك ؟ ، وهذا من العجائب .

فالواجب على كل مكلفٍ أن يعرف ما أوجب الله عليه حتى يفعله ، وأن يعرف ما نهى الله عنه حتى يتركه ، وربما أنك تجد الإنسان يهتم إهتماماً عظيماً بأمر دنياه ، أما في الدين فكأن الأمر لا يعنيه أبداً ، ربما أنه يأخذ أمر دينه من كل أحدٍ لا يهتم بدينه ، ولا يسأل ولا يتعلّم ولا يعرف ما أوجب الله عليه ولا ما نهى الله عنه وهذه مصيبة .

ولذلك يقول الشيخ : { فقل له : كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفُه ! أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ }.

إذا حرّم الله أمراً فلا بد أن يبيّن هذا الأمر الذي حرمه لأن هذه الكلمةأعني كلمة شرك وما تصرّف منها (أشرك يُشرِكُ يُشركون تشركون أشركتمون شركاء)، هذه الألفاظ وهذه المفردات قد جاءت في القرآن ، والله جل وعلا قال للنبيِّ ﷺ : ﴿...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤، و(ما) موصولة بمعنى الذي تفيد العموم ، ويدخل في ذلك أن النبي ﷺ قد بين الشرك بالله ، ولذلك لما قصّ النبيُّ ﷺ وصية نوح لابنه ،أن نوحاً عليه السلام قال لابنه: (وأنهاك عن الشرك والكبر فقلت أو قيل يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه) الحديث ، وقد إذا دخل دخلت على الفعل الماضي تفيد التحقيق ، قالوا : أما الشرك فقد تحققت معرفتنا له ، فالنبيُّ عرّفهم بالشرك أكبره وأصغره ، وعرّفهم بأنواعه وأفراده ، وعرفهم بوسائله وذرائعه التي تُوصِل وتفضي إليه ، عرفهم بجميع ذلك وضرب الأمثلة في بيان هذا الشرك ، فالنبي ﷺ يقول : (فإن من أشرك بالله فمثله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله من ذهب أو ورق فقال هذه داري وهذا عملي فاعمل واد إلي فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأيكم

يرضى أن يكون عبده كذلك) الحديث ، هذا المثل لو ضربته لعجوز شمطاء أمية لا تعرف القرآءة ولا الكتابة لفِهِمتْ منه ما المراد بالشرك ، قال : (إن مثل من أشرك بالله كمثل رجل) ، الأمثلة تُضرب لتقريب المعاني المعقولة أي التي تُدرك بالعقل بأمورٍ محسوسة ، يأتيك بأمرٍ محسوس حتى تفهم به أمراً معنوياً معقولاً ، (إن مثل من أشرك بالله) هذا أمرٌ معنوي ، قال : (وإن من أشرك بالله فمثله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله من ذهب أو ورق) ، الورق : يعني الفضة فمثلاً لديك أرض زراعية ثم ذهبت واستأجرت أجيراً ليعمل في الأرض وأخذت هذا الأجير وذهبت به إلى ذلك الأرض ثم جعلت له في تلك الأرض مسكناووفرت له أكله وشرابه وجميع ما يحتاج إليه من أجل عمله ، الصورة الثانية أن الله خلق العباد جميعاً وتكفّل بأرزاقهم من السكن والأكل قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ النحل: ٨١ ، وقبلها قال :﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ... ﴾ النحل: ٨٠ - ، ثم أطعمكم وسقاكم وكساكم وسخر لك ما حولك من الموجودات وكلفلك بعمل .

وهنا صاحب المزرعة وفر لهذا الأجير جميع ما يحتاج إليه وأراد منه العمل وهو أن يقوم بالزراعة ثم بعد ذلك يؤدي لصاحب المزرعة مقابل أجرٍ يتعاطاهُ ،، قال : (وإن من أشرك بالله) ذلك رجل بعد أن خلقه الله ، وهيئهُ إعدادا وإمداداً وكلفه بعبادته ، وقال له أريد منك عملا وهو أن تعبدني فأخذ هذا الرجل يعبد غير الله .

وهذا الأجير أخذ يأخذ هذا الحصاد وما أنتجته الأرض فيذهب به إلى غير سيّده ، إلى غير من استأجره إلى غير مالك هذه الأرض ، قال النبيُّ ﷺ : (فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك يؤدي عمله إلى غير سيده ؟) ، وهذا أعظم الظلم قال تعالى :﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ... ﴾ النحل: ٦٢،هذا غاية الظلم أن يجعل الإنسان لربه ما يكرهه لنفسه فالشاهد أن النبيُّ ﷺ بين للناس الشرك أيما بيان .

حصر الشرك في عبادة الأصنام

قال : { **فإن قالَ : الشركُ عبادةُ الأصنامِ ، ونحنُ لا نعبدُ الأصنامَ .** }

بعد أن ضاقت عليه المضايق قال : (الشركُ عبادةُ الأصنامِ) ، نقول له كلامك هذا باطل ، فإن قال لم ؟ ، نقول له : أنت حصرت الشرك ببعض أفراده .

والدليل أنه أتانا بجملة معرفة الطرفين ، فقوله : (الشركُ) هذا مبتدأ ، ثم قال : (عبادة) نكرة اكتسبت التعريف بالإضافة ، إذاً قوله: (الشركُ عبادةُ الأصنامِ) هذه جملة معرفة الطرفين ، (الشركُ) معرّف بالألف واللام ،و(عبادة) معرّفة بالإضافة ، فنقول له أنت حصرت وقصرت الشرك في بعض أفراده ، والدليل على أنك حصرت الشرك في بعض أفراده أنك أخرجت الإلتجاء إلى الصالحين من أن يكون من الشرك .

قال : { **ونحنُ لا نبعدُ الأصنامَ .** }، لم لم تقل نحن لا نعبد الصالحين ؟.

قال : { **فقلْ لهُ : ما معنى عبادة الأصنامِ ؟ ، أتظنُّ أنهم يعتقدونَ أن تلكَ الأحجارَ والأخشابَ تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ من دعاها ؟ فهذا يُكذبُهُ القرآنُ ، وإن قالَ : هو من قصدَ خشبةً أو حجراً أو بُنْيَةً على قبرٍ أو غيرِه يدعونَ ذلك ويذبحونَ له ويقولونَ : إنهُ يُقربُنا إلى الله زلفى ، ويدفعُ الله عنا ببركتِهِ ، أو يعطينا بركتِه .** }

قوله : { ما معنى عبادة الأصنام ؟} ، مرادالشيخ أنك تسأل من يقول الشرك عبادة الأصنام فتقول له : الذي يعبد الأصنام ماذا يفعل لها حتى يكون عابداً لها ؟ سيقول لك : الذي يعبد الأصنام يدعوها ويحلف بها ويستعين بها يستغيثُ بها يتوكل عليها يخاف منها يطلب منها جلب المنافع ودفع المضار ، نقول له : إذا فعل ذلك مع الأصنام أضرته وصار ذلك شركاً ، وإذا فعل هذه الأمور مع الشمس أو مع القمر ألا يكون مشركا ؟ نعم هو مشرك بهذا الفعل ، وإذا فعل هذه الأمور مع نبيٍّ أو وليٍّ أو صالحٍ كان مشركا ، والجامع بين هؤلاء كلهم أنهم صرفوا العبادة لغير الله ، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد أن يقرره بهذا الأسلوب .

الجواب الأول

قال : **{ فقلْ لهُ : ما معنى عبادة الأصنامِ ؟ ، أتظنُّ أنهم يعتقدونَ أن تلكَ الأحجارَ والأخشابَ تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ من دعاها ؟ }** .

إذا قلت له ما هي عبادةُ الأصنام ، فقال لك إن الأصنام تخلق و ترزق و تُحيي وتُميت ، نقول له هذا خلاف ما أخبر الله به عن المشركين قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣ ﴾ الزمر: ٣، قوله : ﴿ أَوۡلِيَآءَ ﴾: يعني

معبودين ، ما قالوا عبدناهم لاعتقادنا أنهم يخلقون وأنهم يرزقون وأنهم يحيون أو يميتون أو يدبرون الأمر .

قال الشيخُ : { أتظنُّ أنهم يعتقدونَ أن تلكَ الأحجارَ والأخشابَ تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ من دعاها ؟ فهذا يُكذبُهُ القرآنُ } ، لأنه جاء في المقدمة التي قدم بها الشيخ أنهم يقرون أن هذا كله لله ولا يجعلون لله شريكاً في شيءٍ من هذا .

قال الشيخُ : { وإن قالَ : هو من قصدَ خشبةً أو حجراً أو بُنْيَةً على قبرٍ أو غيرِه يدعونَ ذلك ويذبحونَ له ويقولونَ : إنهُ يُقربُنا إلى الله زلفى ، ويدفعُ الله عنا ببركتِهِ ، أو يعطينا ببركتِه. } ، إن قال إن : عبادة الأصنام هي أن تقصد خشبة أو حجراً أو بنيةً على قبرٍ أو غيرها تدعوه وتذبح له وتستعين به وتستغيث به من أجل أن يقربك إلى الله أو أن يشفع لك عنده ، لو قال هذا ، فهذا هو الحق وهوالشرك بعينه.

قال الشيخُ : { فقلْ : صدقتَ ، وهذا هو فعلُكم عند الأحجارِ والبِنَا التي على القبورِ وغيرِها ، فهذا أقرَ أن فعلَهم هذا هو عبادةُ الأصنامِ ، وهو المطلوبُ . } .

كذلك يُقال له من فعل هذا لخشبة كمن فعله لنبيٍّ ، ومن فعل هذا لبشرٍ كمن فعله مع بقرة أو شجرة ، ومن فعل هذا لحجر كمن فعله لنبيٍّ .

فإن أقرّ أن هذا هو الشرك بطلت حجته وظهر فساد قوله : (أنا لا أشرك بالله شيئاً والإلتجاء إلي الصالحين ليس بشرك) ، لأنه أقرّ وعرف الشرك وعرف أنه متورط في الشرك ، وعرف أن اللجأ للصالحين ودعاءهم هو الشرك .

الجواب الثاني

قال : { **ويُقالُ لهُ أيضاً** } ، ما زال الشيخُ يتسلسل مع صاحب هذه الشبهة في ردها ، وهنا يُبيّن لنا وجهاً آخر من وجوه ردِّ ودحض هذه الشبهة .

قال : { **ويُقالُ له أيضاً : قولُكَ الشركُ عبادةُ الأصنامِ ، هلْ مُرادُكَ أن الشركَ مخصوصٌ بهذا ؟** } ، لأن صاحب الشبهة حصر وقصر الشرك في عبادة الأصنام كما سبق ، فمن حصر وقصر الشرك في عبادة الأصنام ، نسأله عن مراده بهذا .

فنقول له : هلْ مُرادُكَ أن الشركَ مخصوصٌ بهذا ؟ ، يعني هل تريد بقولك هذا أن الشرك محصورٌ في هذا ؟ ، الشرك هو عبادة الأصنام وإن عبد شيئاسوى الأصنام ألا يعتبر ذلك شركا ؟ .

قال : { **وأن الاعتمادَ على الصالحين ودعاءَهُم لا يدخلُ في ذلك** } ، الاعتماد على الصالحين في جلب المنافع ودفع المضار ، ودعاءُ الصالحين والاستعانة بهم والاستغاثة بهم والنذر لهم والذبح لهم والحلف بهم وأن

نطلب منهم ما لا يُطلب إلا من الله هذا كله لا يدخل ، قال : { في ذلك } ، والإشارة هنا إلى الشرك ، يعني لا يدخل في الشرك ؟ ، فهو لا شك ولا ريب سيقول نعم ، الشرك مخصوص والشرك مقصور ومحصور في عبادة الأصنام .

قال : { وأن الاعتمادَ على الصالحين ودعاءَهُم لا يدخلُ في ذلك ؟ } ، أي : وأن الاعتمادَ على الصالحين ودعاءَهُم لا يدخلُ في الشرك ؟ هذا قولهم

بيان أن الاعتمادَ على الصالحين ودعاءَهُم يدخلُ في الشرك

قال الشيخ : { فهذا يردُّه ما ذكرَ الله في كتابهِ من كفرِ من تعلقَ على الملائكةِ أو عيسى أو الصالحينَ } .

هذا القول مردود يعني يُبطله ويُبيّن بطلانه ما ذكره الله جل وعلا في كتابه ، فالله جل وعلا ما حكم بكفر من عبد الأصنام فقط وإنما حكم بالشرك والكفر على كل من عبد شيئاً دون الله هذا الذي نجده في القرآن فمن قال إن الله حكم بالشرك على من عبد الأصنام فقط ، فقوله هذا يكذبه القرآن ونورد له الأدلة التي بينها الله جل وعلا في كتابه في تنوّع معبودات المشركين .

قال الشيخ : { فهذا يردُّه ما ذكرَ الله في كتابهِ من كفرِ من تعلقَ على الملائكةِ أو عيسى أو الصالحينَ } .

تعلق بهم فأخذ يدعوهم ويحلف بهم ويستعين بهم ويستغيث بهم والأدلة كثيرة الله جل وعلا قال : ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢ ﴾ الكهف: ١٠٢ ، فكفرهم الله جل وعلا في بداية هذه الآية وفي ختامها قال : ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢ ﴾ الكهف: ١٠٢ ، و (عباد) هذا جمعٌ مضاف ، والجمع المضاف يُفيدُ العموم ،المفرد المضاف يفيدُ العموم والجمع المضاف يُفيدُ العموم ، الله جل وعلا قال : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ النساء: ١١ ، هذا جمعٌ مضاف يُفيدُ العموم ، والوصية هذه لعموم الأولاد من الذكور والإناث ومن الصغار والكبار ، هنا قال : ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي ﴾ ، فهذه عامة ، ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢ ﴾ ، الله جل وعلا كفّر في هذه الآية من اتخذ عباده أولياء ، و(أولياء) هنا يعني معبودين والآيات في هذا كثيرة الله عز وجل قال :﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠ ﴾ آل عمران: ٨٠ ، (أرباباً) يعني معبودين ، قال : ﴿ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ ﴾ ، فسمى الله جل وعلا عبادة الملائكة وعبادة الأنبياء سماه كفراً ، ﴿

﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ، ما ذكر الأصنام هنا إنما حكم بكفر من عبد الملائكة النبيّين ، والله جل وعلا قال : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾ آل عمران: ٦٤ ، (أرباباً) يعني معبودين ، ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾ ، هل هؤلاء أصنام ؟ لا ، فالنبيُّ ﷺ دعا ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ، يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، هل هؤلاء كانوا أصناماً أم كانوا أناساً من بني آدم ؟

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ آل عمران: ٦٤ ، فالمسلم هو من عبد الله جل وعلا وحده لا شريك له ، أما من تولى عن هذا فعبد الله جل وعلا وعبد غيره واتخذ من عباد الله عَزَّوَجَلَّ معبودين فهذا ليس بمسلم هذا مشرك بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ، والآيات في هذا كثيرة قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ البقرة:

٢١ – ٢٢ ، ما قال أصناماً ، وقال الله جل وعلا : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ، (أرباباً) يعني معبودين ، هل الأحبار الذين هم العلماء والرهبان الذين هم العباد هل هؤلاء أصنام؟ لا ، قال : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ ﴾،وختمها بقوله : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ التوبة: ٣١ ، فسمى الله جل وعلا ما فعلوه شركاً ، أعني اتخاذ الأحبار والرهبان معبودين مع الله جل وعلا سماه شركاً .

قال الشيخ : **{ فهذا يردُّه ما ذكرَ الله في كتابهِ من كفرِ من تعلقَ على الملائكةِ أو عيسى أو الصالحينَ فلا بدَ أن يُقرَّ لكَ أن من أشركَ في عبادةِ الله أحداً من الصالحين فهو الشركُ المذكورُ في القرآنِ ، وهذا هو المطلوبُ }** بعد أن نقرأ عليه هذه الآيات فإنه لا مفرّ له إلا أن يُقِر ، لا طريق له ولا خلاص له إلا أن يُقِر ببطلان مذهبه من حصره الشرك في عبادة الأصنام .

ملخص جواب رد هذه الشبهة

قال الشيخ : { وسرُّ المسألةِ : أنه إذا قالَ : أنا لا أشركُ باللهِ } ، سر المسألة ، يعني حقيقة المسألة وهذا تلخيص من الشيخ للأجوبة السابقة التي ذكرها في الجواب عن رد هذه الشبهة .

قال الشيخ : { وسرُّ المسألةِ : أنه إذا قالَ : أنا لا أشركُ باللهِ ، فقلْ لهُ : وما الشركُ باللهِ ؟} ، نسأله عن تعريف الشرك أنت الآن قلت : (أنا لا أشركُ باللهِ) ، فعرّف لنا الشرك .

قال الشيخ : { فسَرْهُ لي : فإن قال : هو عبادةُ الأصنامِ ، فقل : وما معنى عبادةِ الأصنامِ ؟}

إذا قال الشرك عبادة الأصنام ، نسأله نقول له : ما معنى عبادة الأصنام ؟ عرف لنا عبادة الأصنام ؟ماذا نفعل لهذه الأصنام حتى نكون عابدين لها ؟

فإنه إما أن يقول أن نعتقد أنها تخلق أو أنها ترزق أو أنها تدبر الأمور فإذا اعتقدنا هذا فهذه هي عبادتهم وهذا كذلك يكذبه ويرده القرآن ، فإن السابقين ما كانوا يعتقدون أن الأصنام تخلق ولا أنها ترزق ولا أنها تدبر أمراً ولا أنها تُنزلُ مطراً أو تُنبتُ نباتاً بل كانوا ينسبون كل ذلك لله سبحانه وتعالى وحده وتذكر له الأدلة التي تدل على أن المشركين كانوا يقرون بربوبية الله سبحانه وتعالى ، فإذا ذكرت له هذه الآيات وبيّنت له أن المشركين ما كانوا

يعتقدون أن الأصنام تخلق أو أنها ترزق أوأنها تُحيي أوأنها تميت فهنا يبقى بين أمرين :

الأول : أن يقول لك إن أؤلئك كانوا موحدين على هذا وما كانوا يعبدون الأصنام ، فعلى قوله هذا فإن المشركين الأولين ما كانوا يعبدون الأصنام .

الثاني : أن يُقر ببطلان قوله ويعترف بأن الأولين كانوا يُقرون بأن أصنامهم هذه لا تخلق ولا ترزق ولا تدبرُ أمراً .

فنقول له : ماذا فعلوا معهم ؟ فما عنده من سبيل إلا أن يقول عبدوها ، نسأله ثانياً : ماذا فعلوا معها حتى نسميهم عابدين لها ؟ فلا بد أن يقول : دعوها واستعانوا بها وذبحوا لها يعني صرفوا لها العبادة .

قال الشيخ : { فقل له : وما معنى عبادةِ الأصنامِ فسَرْهُا لي ؟} ، يعني كل ما أتاك بشيءٍ عليك أن تطالبه بتعريفه ، .

قال الشيخ : { فإن قال : أنا لا أعبدُ إلا الله ، فقل : ما معنى عبادةِ الله وحده ؟ }

عرّف وفسّر لنا ما معنى عبادة الله وحده ؟ .

فربما أنه يقول لك : معنى عبادة الله وحده أن تعتقد أن الله هو الخالق المالك الرازق المُحيي المميت المدبّر هذه هي عبادة الله وحده.

فنقول له : إذا المشركون كانوا يعبدون الله وحده على قولك هذا ، وهذا يكذبه القرآن ، وإن قال : أن عبادة الله وحده هي أن نفرده بالعبادة ، لأن (الواو والحاء والدال) يدلُّ على الإنفراد .

عبادة الله وحده معناها إفراد الله بالعبادة،معناها : أن تخص الله بالعبادة أن تجعل العبادة لواحد وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قال الشيخ :{ فإن فسرها بما بينَهُ الله في القرآن فهو }

الذي بيّنه القرآن هو أن نُفرد الله جل وعلا بالعبادة ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴾ النحل: ٣٦ ، وكل الرسل قالوا لأقوامهم : ﴿ ... يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ... ﴾ الأعراف: ٥٩ ، دعوهم إلي عبادة الله ونهوهم عن الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ ، فهذا فيه أن العبادة الشرعية التي أمر الله جل وعلا بها هي العبادة المقرونة بنفي الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشيخ :{ **فإن فسرها بما بينَهُ الله في القرآن فهو المطلوبُ** } ، هذا هو المطلوبُ لأنه إن قال هي إفراد الله بالعبادة ، نقول له : فهل أنت الآن تُفرد الله بالعبادة ؟

أنت تدعو الله وتدعوا المكاشفي وتحلف بالله وتحلف بالصائم ديمة وتحلف بيوسف أبو شرا وتستعين بالله وتستعين بالبرعي وتستغيث بالله

وتستغيث بتور عفينة أو (سابق يا) أو موسى وهجو ، أو إدريس رجل العيلفون أو فرح ود تكتوك أو غير ذلك من هذه الأسماء التي سموها هم وآبائهم والتي ما أنزل الله بها من سلطان .

قال الشيخ :{ وإن لم يعرفْهُ فكيفَ يدَّعي شيئاً وهو لا يعرفهُ ؟ } .

ولا شك أنهم جهلة لا يعرفون ، إلا الكبار منهم فقد يعرفون الحق ولكنهم يتركونه محبةً للدنيا ، قال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٤ ، فالإنسان قد يكون عارفاً وعالماً بالحق ويخالفه لمصلحة أو لمنصبٍ أو لجاه أو لمالٍ ، وإما أن يخالف ذلك مسابرة لعامة الناس وهكذا .

قال الشيخ :{ وإن فسر ذلك بغير معناه ، بيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأصنام } .

بيّنت له ما جاء في القرآن وما جاء في السنة : (أيُّ الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك) ، ما قال : صنماً ، وتذكر له الآيات التي حكم الله فيها بشرك

من جعل العبادة له ولغيره ، يعني تبيّن له الشرك .

قال الشيخ :{ **وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه**} ، يعني أن الشرك هو الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، فأنت إذا تأملت فيما يفعله أؤلئك

وحكم الله جل وعلا بشركهم لأجله فيما يفعله هؤلاء لوجدت أن ما فعله أؤلئك هو عينُ ما فعله هؤلاء بل ربما زادوا عليهم .

قال الشيخ :{ وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا }

وهذا من غربة الدين ، فمن غربة الدين أن الذي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له هو الذي يُنكر عليه ، هذا من غربة الدين ، لو أننا قلنا للناس استعينوا بمشايخنا وأتركوا مشايخكم ، وأحلفوا بمشايخنا وأتركوا مشايخكم ، طوفوا بقبور مشايخنا وأتركوا الطواف بقبور مشايخكم ، لهم في هذه الحال أن يغضبوا ، لكن نحن قلنا للناس الذي يستحق العبادة والذي يجبُ أن يُعبد هو الذي خلق وأوجد من العدم وهو الذي ربّى وغذّى بالنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده لا شريك له ، قلنا للناس كما قال الأنبياء ﷺ : ﴿...ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ ...﴾ المائدة: ٧٢ ،بأن تكون العبادة لواحد ، لله جل وعلا ، فما الذي يُغضبهم ؟ .

قال الشيخ :{ هي التي ينكرونها علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم }

إذا أتيت بالتوحيد صاحوا كما قال الله : ﴿...وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦﴾ الإسراء: ٤٦، وقال : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥﴾ الصافات: ٣٥، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٥﴾ الزمر: ٤٥، وقال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ۝١٢﴾ غافر: ١٢، ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ هنا بمعنى أنكرتم، الكفر هنا بمعنى الإنكار قال: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ﴾ ،يعني أنكرتم ،﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾، يصيحون فيه كما صاح إخوانهم.

أليس من يدعو إلى إفراد الله ﷻبالعبادة الآن يقولون لك: هذا جاء بمذهب جديد وجاء بدين جديد؟.

هل هذه العبارة جديدة؟ لا، قالها أسلافهم ممن أشركوا غير الله جل وعلا بالله له لما أتاهم النبيُّ ﷺ يدعوهم إلي عبادة الله ﷻ وحده قالوا هذا جاء بدين جديد، وربما قالوا هذا خامسي هذا جاء بمذهب خامس ما عهده أباؤنا ولا أجدادنا كما قال ﷻ في كتابه: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ ص: ٥، تعجّبوا، أيُتعجب من الشرك أم يُتعجّب من التوحيد؟، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾.

والشيء العُجاب: هو ما خرج عن العادة وعن المألوف.

هذا ما عهدناه ولا عرفناه عن آبائنا ولا عن أجدادنا ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ ... ﴾ ص: ٥ – ٦ ، كما يتواصون الآن يقولون اصبروا على عبادة هؤلاء المشايخ ادعوهم أحلفوا بهم استعينوا بهم هم بوابتكم إلى الله ، فكل ما دعا دعاة التوحيد إلى إفراد الله بالعبادة قام دعاة الشرك يُصبّرون أتباعهم على الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وعلى عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ ، ﴿ ...أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ ... ﴾ ، كما قال الله : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣ ﴾ نوح: ٢٣ ، ما اكتفوا بـ لا تذرنّ بل أعادوها : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾ ، هل اكتفوا بهذا ؟ لا ، سموها قالوا : ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ ، تمسكوا بهؤلاء هم بابكم إلى الله ، لا وصول لكم إلى الله ولا يرضى عنكم إلا عن طريق هؤلاء .

أنت الآن يقولون لك عقيتك فيمن ؟ تقول : عقيدتي في الله ، يقولون : هذا ما عنده شيخ ، يعني ليس عنده ما يعتقد فيه ، أين المشكلة ؟ يقولون هذا شيخه الشيطان ، يقولون :إذا ما عندك شيخ فشيخك الشيطان .

وهل يريدون بالشيخ الذي يُتلّقى عنه العلم ؟، لا ، وإنما الشيخ الذي يُعتقد فيه يُدعى ويُحلف به ويُستعان به ويُستغاث به ،﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ

﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْأَخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ ص: ٦ – ٧ ، هذه الذي يقولونه ويرددونه الآن فيقولون لنا أنتم وهابية أو خامسية أو دينكم دين جديد ، كيف عرفت أنه دين جديد ؟ يقولون : ما وجدنا آباءنا على هذا ، آباؤنا وجدناهم يعبدون غير الله يدعون هؤلاء الأولياء ويستعينون بهم ويستغيثون بهم ويطلبون منهم المطر والمدد والولد والشفاء وهكذا ، وإذا عبدوا الله عبدوه بالدفوف وبالطبول وبالنوبات والطارات والكشاكيش هذا هو الدين الذي وجدنا عليه آباءنا وهؤلاء جاءوا بدين جديد ، ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المؤمنون: ٢٤ ، فهم صاحوا ، وهؤلاء يصيحون كما صاح أولئك ، والعبارات هي هي في معناها وهنا اختلفت الألفاظ .

قال : { **وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي يُنكرونها علينا** }

وهذ من انقلاب المفاهيم ومن انقلاب الموازين ، فمن انقلاب المفاهيم أن يُنكر على من دعا إلى عبادة الله وحده ، ويُقِر ويُلّمع ويُظهر في الإعلام بأن هذا العالم وهذا الشيخ كل من دعا إلى عبادة غير الله وربما أنه أُعطي الدكتوراة الفخرية كما فُعِل هذا مع البرعي أُعطي الدكتوراة الفخرية من جامعة أمدرمان الإسلامية والأولى بها والأجدر أن تُسمى بالدكتوراة الشركية

قال الشيخ : { حيث قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص : ٥] } .

الشبهة الثامنة

زعمهم أن الكفر خاص بمن نسب الولد إلى الله

قال الشيخ : { فإن قالَ : إنهم لم يكفروا بدعاءِ الملائكةِ والأنبياءِ ، وإنما كفروا لما قالوا : الملائكةُ بناتُ الله ، ونحنُ لم نقل : إنّ عبدَ القادرِ ولا غيرَهُ ابن الله ؟ }

الشرح :

مرجع هذه الشبهة : إلى الجهل بحقيقة الكفر وبأسبابه .

وملخص هذه الشبهة : أن سبب كفر المشركين الأولين هو نسبة الولد لله لا لأجل أنهم عبدوا غير الله بالدعاء والحلف والاستعانة والاستغاثة والرغبة والرهبة ، هذا الذي ادعاه صاحب هذه الشبهة .

فمرادهم أن المشركين الأولين إنما حكم الله بكفرهم وحكم بشركهم لأنهم نسبوا الولد إلى الله ، لا لأجل أنهم عبدوا غير الله وأشركوا غيره به في عبادته .

قال الشيخ : { فإن قالَ : إنهم لم يكفروا بدعاءِ الملائكةِ والأنبياءِ } ،وهذا معناه أنك إن تركت نسبة الولد إلى الله فقد جانبت الشرك والكفر بالله كله ، هذا الذي عنده هذا في اعتقاد صاحب هذه الشبهة ، ولا يضرك أن تعبد غير الله أو أن تجعل العبادة أو شيئاً منها لغير الله .

قوله :{ **إنهم لم يكفروا بدعاءِ الملائكةِ والأنبياءِ** }، والباء هنا سببية وهو يقول : أن المشركين لم يكفروا بسبب أنهم دعوا الملائكة والأنبياء ،يعني عبدوهم .

قوله :{ **وإنما كفروا** }، جاء بأداةِ الحصر (إنما) فحصر وقصر كفرهم على نسبة الولد لله عَزَّ وَجَلَّ .

قال : { **لما قالوا : الملائكةُ بناتُ الله** } لما قالوا : الملائكةُ بناتُ الله فكفرهم محصورٌ ومقصورٌ على هذا ، وعلى هذا بنى هذه المقدمة ، أنهم كذلك لا يكفرون بالتعلّق بعبد القادر وبدعائه وبعبادته ، إلا إذا قالوا : إن عبدالقادر ابن لله أو جعلوا ولياً من الأولياء إبناً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فإنهم إن قالوا هذا كفروا ، أماعبادة عبدالقادر أو عبادة غيره فهذا ليس بكفر وكما سبق أن مرجع هذه الشبهة إلى الجهل بحقيقة الكفر وبأسبابه.

فالكفرُ جنسٌ تحته أنواعٌ وتتعدد أنواعه وأفراده وصوره ، فلو أن شخصاً زعم أن زيداً من الناس ابناً لله فهذا نوعٌ من أنواع الكفر ، وجاء آخر فأنكر البعث هذا فهذا نوع من أنواع الكفر بالله ، قال الله تعالى :﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ التغابن: ٧ ، وجاء آخر واستهزأ بآيات الله أو برسله ، فهذا نوعٌ آخر من أنواع الكفر ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ

﴿٦٥﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ ، وجاء آخر كفر بنبيٍّ من الأنبياء هذا نوعٌ من أنواع الكفر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾ النساء: ١٥٠ – ١٥١ ، فالكفر جنسٌ تحته أنواع وتحته أفراد كالعبادة ، العبادة جنسٌ من أنواعها الحلف والدعاء والاستعانة والاستغاثة .

فإن الإنسان قد يكفر بالقول وقد يكفر بالفعل وقد يكفر بالاعتقاد وقد يكفر بالشك وهكذا .

ومن كفر المشركين أنهم نسبوا الولد لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هذا نوعٌ من أنواع الكفر التي كانوا عليها كما بيّن الله جل وعلا ذلك في كتابه قال تعالى :﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النحل: ٥٧ – ٥٩، وهذا من عظيم كفرهم أنهم جعلوا لله جل وعلا ما يأنفون أن يُنسَب إليهم قال الله :﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ

أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الزخرف: ١٩ ،

والآيات في هذا كثيرة قال الله تعالى :﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

،وقال الله :﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى النجم: ٢١

ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الصافات: ١٥٢ – ١٥٣ ، فهم نسبوا الولد إلي الله قال

تعالى : ﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا

عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الإسراء: ، فهم قالوا الملائكة بنات الله ونسبوا الولد لله

جل وعلا .

الجواب على أن نسبة الولد لله كفرٌ وإبطال هذه الشبهة من وجوه:

قال الشيخُ : { فالجواب : أن نسبة الولد إلى الله تعالى كفرٌ مستقلٌ ؛ قال

تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ [الإخلاص : ١

، ٢] والأحدُ : الذي لا نظيرَ لهُ ، والصمدُ : المقصودُ في الحوائجِ . فمن

جحدَ هذا كفر ، ولو لم يجحدْ السورةِ . }، يعني أن نسبة الولد إلى الله كفرٌ

مستقل ، كفرٌ قائمٌ برأسه .

قوله : { كفرٌ مستقلٌ } ، يعني : أن هذا نوعٌ من أنواع الكفر .

قوله : { قال تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ } ،

هذا خبرٌ في سورة الإخلاص قال تعالى :﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ

﴿ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤ ، فالشيخُ رحمه الله أورد جزءاً من هذه السورة والحجة في ذلك أنا لو قرأنا على أحد هذه السورة قال تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ .

والأحد : هو الذي لا نظير له ، فقال هذا الرجل : لا ، الله له نظير ، فهذا كفرٌ لأنه كذّب الله في خبره قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٨ ،وهذه الآية فيها أن الذي ينسب شيئاً لله عز وجل ما قاله الله جل وعلا عن نفسه ، أو كذّب بشيءٍ ذكره الله عز وجل عن نفسه فهذا كافر ، فالذي ينسب لله عز وجل الولد هذا يصدق عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ... ﴾ ، فنسبة الولد إلى الله عز وجل كذب .

وإذا قرأنا عليه قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ .

والصمد : هو المقصود في الحوائج ، أو هو الكامل في صفاته الذي تفتقرُ إليه جميع مخلوقاته .

قلنا لرجلٍ : قال الله :﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ ، هو الكامل في صفاته الذي تصمدُ أو تلجأُ أو تفتقرُ إليه جميع مخلوقاته ، فقال الرجل : لا ، ليس بكاملٍ في صفاته فهذا كافر .

فالأول : أنكر صفة الله في قوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، والثاني أنكر أنه ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ ، ثم قلنا لآخر : ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ، ليس بوالد ، فقال : لا بل هو والد ، فالملائكة بناته وعيسى ابنه وعُزيرٌ ابنه فهذا كافر لأنه مكذّبٌ للقرآن قال تعالى :

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ ،

قال ابن أبي داوود :

وليس بمولود وليس بوالد   وليس له شبه تعالى المسبح

وآخر قال : لا ، الله مولود ، جعل الله ﷻ ابناً لغيره هذا كافر ، هؤلاء جميعاً كفروا وتنوّعَ كفرهم ، إذاً الشاهد في هذه الآية أن الكفر يتنوّع وأن نسبة الولد لله ﷻ نوعٌ مستقلٌ من أنواعِ الكفرِ .

قال : { فالجواب : أن نسبة الولد إلى الله تعالى كفرٌ مستقلٌ ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾

والأحدُ : الذي لا نظيرَ لهُ ، والصمدُ : المقصودُ في الحوائجِ . فمن جحدَ هذا فقد كفر ، ولو لم يجحدْ السورةِ . }.

إذا سألناه هل أنت تجحدُ هذه السورة ؟ أتُنكرُ أن هذه السورة من القرآن ؟ ، يقول : لا ، هذه السورة من القرآن فهولم يجحد السورة وإنما جحد ما جاء في هذه السورة ، قال : { فهذا كافر } ، وإذا قال هذه السورة ليست

من كلامِ الله ﷻ فهذا كافرٌ ، وهو كفرٌ مستقلٌ قال تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المؤمنون: ٩١، (ما) هذه نافية ، و(ولد) نكرة في سياق النفي تُفيد العموم ، و(الولد) يُطلقُ على الإناثِ والذكور ، إذا قال الله : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ معناه : ما أتخذ الله من بناتٍ وما أتخذ الله من بنين ، لما قال الله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ... ﴾ النساء: ١١، فالوصيةُ هنا شاملةٌ للذكورِ والإناث ولذلك قال بعدها : ﴿ ... لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ ... ﴿١١﴾ ﴾ النساء: ١١، ثم قال : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ ، يعني : ما أتخذ الله من بنتٍ و ما أتخذ الله من إبنٍ ، وهذه الآية فيها عمومٌ نصيٌّ فالنكرةُ إذا سُبقت بــ(من) ونُفيَتْ فهذا عمومٌ نصيٌّ .

والعموم النصّي : هو الذي لا يُستثنى منه شيءٍ ، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ ، يعني : ليس له من بنتٍ وليس له من ابنٍ ، إذا أنكر أحدٌ هذا فقال : لا بل الله له بنات الملائكةُ بنات الله فهذا كافر ، وجاء آخر وقال : المسيحُ ابن الله فهذا كافر ، وجاءثالث قال : عُزيرٌ ابن الله فهذا كافر ،فكلهم نسبوا الولد لله ﷻ وهو كفرٌ مستقل ، قال : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ ﴾، والعطف هنا يقتضي المغايرة

﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾،(ما) نافية ، و(إله) نكرة منفية تفيدُ العموم ، والعموم هنا نصيٌّ أيضا ، قوله :﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾، والمرادُ هنا : (وما كان معهُ من إلهٍ حقٍ ، أو من إلهٍ يُعبدُ بحقٍ) هذا ليس بموجود ، أما الآلهة التي تُعبد بالباطل فموجودة ، لو جاء رجلٌ قال : أنا أؤمن بأوّلِ الآية ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ ، لكن ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾، لا أومن بهذا ، هذا كافر ، هذه الآية فيها أبلغُ الرد عليهم ، من زعم أن أحداً غير الله يستحق العبادة أو يستحقُّ شيئاً منها أو أن أحداً غير الله عُبدَ أو يُعبد بحق فهذا كافر ، فليس هناك من إله يُعبد بحق سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وكل من عُبد سوى الله فإنما عُبدَ بباطل ، قال الله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ الحج: ٦٢، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٣٥ .

قال الشيخُ : { فَفرْقٌ بين النوعين } ، والنوعان هما :

النوعُ الأول : هو نسبةُ الولد لله .

والنوع الثاني : جعْلُ إلهٍ حقٍّ مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشيخُ : { فَفَرْقٌ بين النوعين وجعل كلاً منهما كفراً مستقلاً } ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٠.} .

قال : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ ... ﴾ ، هذا خبرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ أن بعض الناس عبدوا الجن ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ ... ﴾ ، وهذه مصيبة أن يعبد الأنسان مخلوقاً من خلق الله عَزَّوَجَلَّ وأن يُشرك المخلوقات بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فالله جل وعلا هو الذي خلق العابدين وخلق الجن الذين عُبدوا من دونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والمخلوق لا يستحقُّ أن يُعبد فالذي يستحقُّ أن يُعبد هو الخالق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١، هذا هو الذي يستحق أن يُعبد ولذلك الله جل وعلا بيّن قُبح فعلهم قال : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ ... ﴾ ، قال : ﴿ ... وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ... ﴾ ، (بنينَ) ذكور ، و(بناتٍ) إناث ، (خرقوا) : يعني : اختلقوا أو كذَبوا على الله فنسبوا له البنين ونسبوا له البناتِ بغير علم .

قال الشيخُ : { ففرق بين الكفرين . } ، فرقٌ بين :

الأول : الشرك الذي هو عبادة الله وعبادة غيره معه .

الثاني : الكفر الذي هو نسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى.

قال : { **ففرق بين الكفرين .**} ، وهذه الآيات فيها الردُّ البالغ على من حصر وقصر كفر الأولين في نسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى .

قال : { **والدليل على هذا أيضاً** } ، يعني : الدليل الذي يُبطل قولهم هذا

قال : { **إن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونهِ رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله** } ، نسألهم هل اللات عُبِدَ مع الله ؟الجواب : نعم عُبِدَ مع الله .

نسأل صاحب هذه الشبهة سؤالين :

الأول : هل عبَدَ المشركون الأولون اللات مع الله ؟ يقول : نعم .

السؤال الثاني : هل اللات من الملائكة ؟ لا ، هم يعلمون أن اللات كان رجلاً صالحاً ، إذاً الذين عبدوا اللات ما قالوا اللات ابناً لله سبحانه وتعالى ولا جعلوه من الملائكة ، فعلى قولهم : (إن الذين عبدوا اللات لم يكفروا بعبادة اللات ، وعبادة اللات ليست بكفرٍ لأن من عبدوه ما جعلوه من الملائكة ولا جعلوه ابناً لله سبحانه وتعالى.

قال : { **إن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونهِ رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله ، والذين كفروا بعبادة الجنِّ لم يجعلوهُم كذلك .**} ، كذلك الذين قال الله فيهم : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾ الأنعام: ١٠٠ ، وكذلك ما جاء في الآية الأخرى التي أبان الله جل وعلا فيها أن حياً من العرب عبدوا الجن فأسلم الجن ومازال أؤلئك على عبادتهم ، فهل الذين عبدوا

الجن هؤلاء كفروا بعبادتهم للجن أم لم يكفروا ؟ وهل جعلوا الجن من الملائكة أوجعلوا الجن بنات لله عَزَّوَجَلَّ ؟ الجواب :لا ،

قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧ ﴾ الإسراء: ٥٧ .

قال : { **وكذلك أيضاً : العلماء في جميع المذاهب الأربعة** } .

أيضاً من وجوه إبطال هذه الشبهة حكاية الاجماع الذي انعقد وهو مذكور في كتب الفقهاء من أئمة المذاهب .

قال : { **يذكرون في (باب حكم المرتد)** } ،عقدوا باباً سموهُ (باب حكم المرتد) ،فنسأل أصحاب هذه الشبهة : من المرتد ؟ عرّفوا لنا هذا المرتد ؟ فعلى شبهتهم هذه يقولون : المرتد هو من نسب الولد إلى الله . سبحان الله من أنكر وجود الله ما يكونُ مرتداً ؟ من كفر بالنبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ من كفر بالقرآن قال ليس هناك شيء اسمه قرآن وليس هناك شيءٌ اسمه سنة ما يكونُ مرتداً ؟ من أنكر وجود الجنة وأنكر وجود النار وأنكر وجود الصراط وأنكر وجود البعث أنكر عذاب القبر أما يكون مرتدا؟ .

فالمرتد : هو الذي رجعَ عن دينه بمواقعة نوع من أنواع الكفرِ أو بمواقعةِ سبب من أسباب الردة ، فالردةُ أسبابها كثيرة .

قال : { وكذلك أيضاً : العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في (باب حكم المرتد) أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتد } .

يعني هؤلاء يذكرون أن هذا نوعٌ من أنواع الكفر في : (باب حكم المرتد) ، وفي أسباب الردة يذكرون أن من أفرادها أن تنسب الولد إلى الله هذا نوعٌ واحدٌ ، والكفر ليس بمحصور في هذا .

قال : { أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتد وإنْ أشرك باللهِ فهو مرتد ، ويفرّقون بين النوعينِ وهذا في غاية الوضوح .} ، يعني يجعلون من أسباب الردة أن تعبد الله وأن تعبد معه غيره هذا نوعٌ من أنواعِ الكفرِ ، و من أنواعِ الكفرِ أن تنسب الولد إلى الله ، ومن أنواعِ الكفرِأن تَسُبَ الله أوتَسُبَ الدين ، أو أن تُنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة ، أو أن تكذّب بنبيٍّ أو أن تكّذب القران أو أن تستهزئ بالله أو بملائكته أو برسله أو بكتبه ، فالردة أنواع وأسبابها كثيرة .

وبهذا ظهر لنا بطلان قولهم : (إن الأولين لم يكفروا بدعاء الملائكة والأولياء) بل كفروا بهذا قال الله ﷻ : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾،يعني : معبودين ، قال :﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ٨٠ فالله عز وجل جَعَلَ عبادة الملائكة والأنبياء كفراً قائماً بذاته و مستقلاً بنفسه .

فمن وقع في هذا فقد جاء بسببٍ من أسباب الكفر ، ويكون كافرا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

قال : { وهذا في غاية الوضوح .} ، هذا أمرٌ ظاهرٌ لا ينكره إلا من طَمَسَ الله بصيرته وأعماهُ عن نور الوحي .

الشبهة التاسعة

الجهل بكرامات الأولياء وبمنزلتهم ومكانتهم

قال الشيخ : { وإن قال : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (يونس : ٦٢) فقل : هذا هو الحق ، ولكن لا يُعبدون ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهلُ البدع والضلال، ودين الله وسط بين الطرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين . } .

الشرح :

مرجعُ هذه الشبهة : إلى الجهل بمنزلة الأولياء ومكانتهم وما الواجب تجاههم وما الذي لهم علينا .

أما ملخص هذه الشبهة : فهو الاستدلال بهذه الآية على وجود الأولياء وأن لهم جاها ومنزلة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن لهم كرامات وأن هذا دليلٌ على جواز التعلق بهم وجواز عبادتهم ودعائهم وسؤالهم والحلف بهم

والاستعانة بهم والاستغاثة بهم فالقبورية إذا ذكروا لك هذه الآية فإنهم يريدون بها هذا .

قال الشيخ : { وإن قال : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ } .

فالخرافي لما يقرأ عليك هذه الآية يقول لك : أأنت تُنكرُ وجود الأولياء والله جل وعلا يقول : قال الشيخ : { وإن قال : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ أتُنكرُ مكانتهم ؟ أتنكر مزلتهم عند الله عز وجل ؟

ولا شك في أن هذه مقدمات صحيحة ، فنحن لا ننكر وجودهم ولا ننكر ماهم من المنزلة والمكانة عند الله سبحانه وتعالى ولكن أين قال الله جل وعلا في هذه الآية أو في غيرها أنهم يُعبَدون ؟ .

الجواب على هذه الشبهة :

قال الشيخ : { **فقل له : هذا هو الحق** } ، الآية هذه حقٌ وما دلت عليه من وجود الأولياء حق وما دلت عليه من مكانة ومنزلة الأولياء كله حق وذلك أن الله بشرّهم وهذا دليلٌ على عِظَمِ مكانتهم عند الله عز وجل، قال الله : ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ، وفي حديث الولي في صحيح البخاري قال الله عز وجل : (من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب)، هذا دليلٌ

على عِظمِ مكانتهم عند الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله جل وعلا يدافع عنهم وأنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يحارب من حاربهمُ .

بيان أن غير الله لا يستحق أن يُعبد ولو كان وليّاً

قال الشيخ : { فقل له : هذا هو الحق ولكن لا يُعبدون } ، فأصحاب هذه الشبهة قدموا بمقدمة صحيحة ولكنهم ستروا تحتها أبطل الباطل وهو عبادة غير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فالآية دليلٌ على أن لله جل وعلا أولياء وأنهم موجودون ولهم منزلة ومكانة عنده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ، أما كونهم يستحقون العبادة أو شيئاً منها فأين هذا في هذه الآية أو في غيرها من نصوص القرآن والسنة ؟

فالله جل وعلا يقول : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ فاطر: ٤٠ ، فهل أنزل الله جل وعلا من كتابٍ يُبيحُ للأمة تعبد غير الله عَزَّوَجَلَّ ؟

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ الأحقاف: ٤ ، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ

كِتَٰبًا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ ﴾، فكذب من زعم أن هذه الآية فيهادلالة على أن الولي يُعبد مع الله ، بل عبادة غير الله ما أنزل الله بها من حجة ولادليل قال الله تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ ﴾ الحج: ٧١ ،

فهذه الآية وحدها تكفي ، ف(لَمۡ) هذه نافية و (سُلۡطَٰنٗا) نكرة مسبوقة بالنفي تفيد العموم ، والمعنى أنه ليس هناك من أدنى حجة ومن أدنى دليل يُجيزُ أو يُبيحُ للناس أن يتعلّقوا بغير الله عَزَّوَجَلَّ أو أن يعبدوا غير الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بل يجب على الإنسان أن يجزم ويقطع بهذا ، وأنه ما دلّ دليلٌ على عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ وعلى جواز التعلق بغير الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وما أنزل الله بذلك من سلطان قال تعالى : ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٤٠، وقال في أخرى : ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ النجم: ٢٣، وفي حديث عياض بن حمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في صحيح مسلم قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال الله عَزَّوَجَلَّ : (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً).

قال الشيخ : { **فقل له : هذا هو الحق ولكن لا يُعبدون** ، ونحنُ لا نُنكرُ إلا عبادتَهم مع الله وإشراكهم معهُ } .

الشيخُ هنا من دِقةِ عبارته أنه حصر وقصر إنكاره في أمرٍ واحد وهو إنكار عبادتهم مع الله قال : (ونحنُ لا نُنكرُ إلا عبادتَهم مع الله) ، وهذا استثناء مسبوقٌ بالنفي يُفيد الحصر والقصرَ وعلى هذا فالشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ لا ينكر وجود الأولياء ولا ينكرُ منزلتهم ولا ينكر ماهم من الكرامة هذا كله لا ينكره ، لأنه قد جاء بذلك القرآن وجاءت به السنة فلا وجهَ لإنكار هذا عند من كان يؤمنُ بالله ويؤمن بالقرآن ويؤمنُ بالسنة ولذلك قال الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ : (ونحنُ لا نُنكرُ إلا عبادتَهم مع الله وإشراكهم معه) ،هذا الذي ننكره ، فالذي ينكره الأنبياء وأتباعهم بحق هو أن نعبد غير الله جل وعلا مع الله أو أن نُشرك غير الله جل وعلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

بل الشيخُ كما هو ظاهرٌ في كلامه أنه يرى وجوب حبهم ، أنه يجبُ على كل مسلمٍ أن يحب أولياء الله كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ : { **فالواجب عليك حبهم** } ، فالشيخ يرى وجوب حبهم .

ثم قال : { **وإتبّاعهم** } ، وكذلك يرى وجوب إتباعهم فيما وافقوا فيه الحق لا على الإطلاق ، وكذلك ليس من شرط الولي كما سيُبيّنه أنه لا يخالف وأنه لا يُخطئ وأنه لا يُذنِب هذا ليس من شرطه .

قال : { **والإقرار بكراماتهم .** } ، كذلك يرى الإقرار بكراماتهم بل بيّن أن الذي ينكر كرامات الأولياء أنه من أهل البدع والضلال ومع هذا كله فإن خصوم الرسل وخصوم دعاة التوحيد يرمونه بأنه ينكر الأولياء ولا يعرف لهم منزلة ولا قدراً ولا مكانة وهذا مما كتبوه وسطروه في كتبهم ، فالذي يطلّع على ما كتبه ـ دحلان وغيره كداوود بن جرجيس ـ ومن لفّ لفّهم يجد هذا في كتبهم وفي مصنفاتهم .

مذهب أهل السنة والجماعة في أولياء الله وكراماتهم

قال الشيخ : { **ولا يجحدُ كراماتِ الأولياءِ إلا أهلُ البدع والضلالاتِ ودين الله وسط بين طرفين وهدى بين ضلالين وحقٌّ بين باطلين .** }

أراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُقرّر مذهب أهل السنة والجماعة فيما يتعلّق بأمر الأولياء ويبيّن ضلال طائفتين :

الأولى : **طائفة الغلاة** : الذين رفعوا الأولياء فوق منازلهم وجعلوا لهم من خصائص الربوبية والألوهية ما جعلوا وعبدوهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، بل أدخلوا في أولياء الله جل وعلا ما ليس منهم كل هذا بسبب الغلو ، فهؤلاء غلاة وأصحاب هذه الشبهة ستروا الغلو في الصالحين الذي هو سبب كفر بني آدم ، بستار هذه الولاية وأن هذه الآية تدلُّ على وجودهم وتدلُّ على عظيم منزلتهم ومكانتهم وأنهم يُعبدون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

الثانية : **طائفة الجهال الجفاة من أهل البدع** والضلال: وهم الذين لا يعرفون للأولياء منزلة ولا قدراً ولا إجلالاً ولا احتراماً ولا إكراماً .

قال الشيخ : { **ودين الله وسط بين طرفين.** } ، فأهل السنة يؤمنون بوجود الأولياء ويؤمنون بعظيم منزلتهم وكذلك يؤمنون بما يُجريه الله جل وعلا على أيديهم من الكرامات ولكنهم لا يغلون فيهم ولا يرفعونهم فوق منازلهم ولا يُعطونهم شيئاً من خصائص الألوهية ولا من خصائص الربوبية وإنما هم عبادٌ لله ، فإن الإنسان مهما بلغ من الذُلِّ والتعظيم والمحبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومن القرب لله جل وعلا لا يخرج عن كونه عبداً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فأشرف الناس وأعلاهم مقاماً هو النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نعته الله جل وعلا بالعبودية في أسمى مقاماته في مقام الإسراء أنظروا إلى هذه المكانة العلية التي رقى إليها النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ من المنزلة مالم يبلغهُ جبريل وهو أمينُ الوحي ، قال الله جل وعلا :﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الصافات: ١٦٤، وتقدّم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء: ١، فهذا لا يُخرجه عن كونه عبداً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وفي مقام الوحي الذي هو من أعظم المقامات وأجلها قال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى

رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣ ، وكذلك في مقام الدعوة قال : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ ﴾ الجن: ١٩ ، بل أمره الله بملازمة هذا الوصف إلى الموت قال الله جل وعلا له : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الحجر: ٩٩ ، فأنت عبدٌ لله حتى تموت ، هذا في أكمل الناس مقاماً وأعظم الناس حالاً ﷺ .

فأهل السنة والجماعة لا يرفعون الأولياء فوق منازلهم فهم عبيدٌ لله عز وجل ، وإن بلغوا ما بلغوا من المنزلة والمكانة ، وليس لهم من خصائص الربوبية ولا من خصائص الألوهية من شيءٍ ، بل هم عبادٌ مربوبون فقراء إلى الله سبحانه وتعالى محتاجون إليه ولا غنى لهم عن ربهم طرفة عين ، وليس من حقوقهم أن يُعبدوا ، بل من حقوقهم أن يُطاعوا وأن يُتبَّعَوا وأن يُوقّروا التوقير والتعظيم الذي يليق بهم ولذلك قال : { **ودين الله وسط بين طرفين وهدى بين ضلالين حقٌّ بين باطلين .** }

دينُ الله وسطٌ بين الغلاة والجفاةِ وهو وسطٌ بين الإفراط والتفريط وحقٌ بين باطلين .

قوله : { ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يونس: ٦٢ – ٦٣ } .

الوليُّ لغةً : قال ابن فارس في معجم المقاييس : (الواو واللام والياء) أصلٌ صحيح يدلُّ على قُرْبٍ ومن ذلك : (الوَلْيُ) : يعني : القُرْبُ ، يقال : تباعدَ بعد وَلْيٍ ، يعني : قَرُبَ ، وجلس مما يليني : يعني :يُقاربني ، إذاً الوليُّ : هو القريبُ .

الوليُّ شرعاً : هو المؤمن التقيُّ ، قال شيخُ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فكلُّ من كان مؤمناً تقيّاً كان لله ولياً) .

قوله في الآية ﴿ أَلَآ ﴾، هذه أداةُ تنبيه ، ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾، وكأن قائلٌ يقول : صفهم لنا من هم ؟ قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾ يونس: ٦٣ ، فالإيمان هنا يُراد به العقائد ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدرِ خيره وشره .

قوله : ﴿ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾، التقوى : يُرادُ بها فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله تبارك وتعالى عنه ، فمن كان مؤمناً بجميع ما أمر الله جل وعلا بالإيمان به وكان طائعاً لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ آتياً لأوامره تاركاً لنواهيه فهو وليٌّ لله .

قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ ، وقال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩ ﴾ العنكبوت: ٩، فـ ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ هنا تُقابل ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ هناك ، ﴿ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ تُقابل ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، ومما يُبيِّنُ لك من هو الولي حديث أبي هريرة في

البخاري قال : قال رسول الله : (إِنَّ اللهَّ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) ، قوله : (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي) يعني : طلب القرب مني ، (بِشَيْءٍ) ،يعني : بفعل شيءٍ أو بأداءِ شيءٍ ، قوله : (أحبَّ إليَّ) وهذا شاملٌ للفروض العينية والفروض الكفائية .

قوله : (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)، وهذا شاملٌ لنافلة الصيام والصلاة والصدقة والحج ...إلخ .

إذاً هناك محبوبات لله ﷻ فهذه المحبوبات هي ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب ، فالمحبوب لله ﷻ لا يُعرف بالهوى ولا بما تستحسنه العقول ، فما أمر الله به أمر إيجاب هي الفرائض ، وما أمر به أمر استحباب هي النوافل فهذا مما يُبيّن لك معنى الولي ، وبعضهم قال :

الولي : هو العالِمُ بالله المواظبُ على طاعته المخلص في عبادته.

فهومواظب على طاعة الله بأداء ما أفترض عليه وبأداء النوافل .

ولا يصيرُ الوليُّ وليّاً بالوراثة ، وكذلك لا يكون من أولياء الله من كان على شيءٍ من الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ولا يكون ولياً من يعبد الله بالبدع ، وكذلكلا يكون وليا من يترك الصلوات ويداوم على معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هؤلاء كلهم لا يكونون أولياء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فوليُّ الله ما بيّنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه .

قال الحافظ بن رجب : في شرحه لهذا الحديث في كتابه القيّم : (جامع العلوم والحكم):

{ **فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين** :

أحدهما : من تقرَّب إليه بأداء الفرائض ، ويشمل ذلك فعل الواجبات ، وتركَ المحرَّمات ؛ لأنَّ ذلك كُلَّه من فرائضِ الله التي افترضها على عباده .

والثاني : من تقرَّب إليه بعدَ الفرائضِ بالنوافل ، فظهر بذلك أنَّه لا طريق يُوصِلُ إلى التقرُّب إلى الله تعالى ، وولايته ، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ، فمنِ ادَّعى ولايةَ الله ، والتقرُّب إليه ، ومحبَّته بغير هذه الطريق ، تبيَّن أنَّه كاذبٌ في دعواه } .

قوله : { فظهر بذلك أنَّه لا طريق يُوصِلُ إلى التقرُّب إلى الله تعالى ، وولايته ، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ، فمنِ ادَّعى ولايةَ الله ، والتقرُّب إليه ، ومحبَّته بغير هذه الطريق ، تبيَّن أنَّه كاذبٌ في دعواه } ، فمن زعم أنه يصيرُ ولياً بغير هذا الطريق الذي أبانه الله قال

تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يونس: ٦٣ ، وبغير الطريق الذي أبانه الله في الحديث القدسي : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)،

فهذا دجال كذاب والأمر كما قال :

الحافظ بن رجب : { فظهر بذلك أنَّه لا طريق يُوصِلُ إلى التقرُّب إلى الله تعالى ، وولايته ، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ، فمنِ ادَّعى ولايةَ الله ، والتقرُّب إليه ، ومحبَّته بغير هذه الطريق ، تبيَّن أنَّه كاذبٌ في دعواه ، كما كان المشركون يتقرَّبُون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونَه مِنْ دُونِه ، كما حكى الله عنهم أنَّهم قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ } ، فهؤلاء يتقربّون إلى الله ولا يقربون منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لأنهم اخترعوا طريقاً غير الطريق الذي أبانه الله جل وعلا في كتابه وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل اتخذوا أعظم الطرق المُبعِدة عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قال الحافظ بن رجب : { وكما حكى عن اليهود والنَّصارى أنَّهم قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ مع إصرارهم على تكذيبِ رُسله ، وارتكاب نواهيه ، وترك فرائضه .} .

إذا وُجِدَ في اليهود والنَّصارى أنَّهم يكذبون رسل الله ويرتكبون المحرمات ويتركون الفرائض ومع هذا يدّعون ولاية الله ﷻ ، فسيوجد في هذه الأمة من يفعل هذا وقد وُجِدْ ، الكثير من الزنادقة الآن يتركون الفرائض يتركون الصلاة ويتركون الصيام ويتركون الحج ويواقعون ما حرّم الله من الزنا واللواط وغير ذلك من الموبقات ومع هذا يدعون أنهم أولياء الله ﷻ ، وترى عليهم الفسق الظاهر في هيئآتهم في بيوتهم في زوجاتهم ومع هذا يدّعون الولاية لله ﷻ ، وصدق النبيُّ ﷺ كما قال : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم . قلنا: يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال: "فمن ؟ !) ، فهؤلاء قالوا : ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾.

قال الحافظ بن رجب : { مع أصرارهم على تكذيب رسله وارتكاب نواهيه وترك فرائضه } ، إذاً عليك أن تحذر حتى لا تُخدعْ في دينك ، وعليك أن تستعين بالكتاب والسنة الذين يكشفان لك عن كلِّ دجال وعن كلِّ كذاب فهؤلاء يدعون أنهم أولياء لله كما ادعاها أسلافهم من اليهود والنصارى .

قال الحافظ بن رجب : { فلذلك ذكرَ في هذا الحديث أنَّ أولياء الله على درجتين : أحدهما : المتقرِّبُون إليه بأداءِ الفرائض ، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين ، وأداء الفرائض أفضلُ الأعمال كما قال عمرُ

بنُ الخطاب – رضي الله عنه – : (أفضلُ الأعمال أداءُ ما افترضَ اللهُ ، والوَرَعُ عمّا حرَّم الله ، وصِدقُ النيّة فيما عند الله عز وجل ، وقال عمرُ بنُ عبد العزيز في خطبته : (أفضلُ العبادة أداءُ الفرائض ، واجتنابُ المحارم ، وذلك لأنَّ الله – عز وجل – إنَّما افترض على عباده هذه الفرائض لِيقربهم منه ، ويُوجِبَ لهم رضوانه ورحمته .)

وأعظمُ فرائضِ البدن التي تُقرِّب إليه : الصلاةُ ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ العلق: ١٩ ، وقال النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – : ((أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجدٌ)) ، وقال : ((إذا كان أحدُكم يُصلي ، فإنَّما يُناجي ربَّه ، أو ربُّه بينَه وبينَ القبلة)). وقال : ((إنَّ اللهَ يَنصِبُ وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت))، ومن الفرائض المقرّبة إلى الله تعالى : عدلُ الرَّاعي في رعيَّته ، سواءٌ كانت رعيَّتُه عامّةً كالحاكم ، أو خاصةً كعدلِ آحاد النَّاس في أهله وولده ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته)) .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرٍو ، عن النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((إنَّ المُقسطين عند الله على منابِرَ من نُورٍ على يمين الرحمان – وكلتا يديه يمين – الذين يَعدِلُون في حكمهم وأهليهم وما ولُوا)) ، وفي الترمذي عن أبي سعيد ، عن النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((إنَّ أحبَّ العبادِ إلى الله يَومَ القيامةِ وأدناهم إليه مجلساً إمامٌ عادلٌ)) .

الدرجة الثانية : درجةُ السابقين المقرَّبين ، وهُمُ الذين تقرَّبوا إلى الله بعدَ الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفافِ عن دقائقِ المكروهات بالوَرعِ ، وذلك يُوجبُ للعبدِ محبَّةَ الله ، كما قال : ((ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حتّى أُحبَّه)) ، فمن أحبه الله ، رزقه محبَّته وطاعته والاشتغالَ بذكره وخدمته ، فأوجبَ له ذلك القرب منه ، والزُّلفى لديه ، والحظْوة عنده ، كما قال الله تعالى : ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤ ، ففي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ مَنْ أعرض عن حبنا ، وتولى عن قربنا ، لم نبال ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحقُّ ، فمن أعرضَ عنِ الله ، فما له مِنَ الله بَدَلٌ ، ولله منه أبدال .} .

وقال ابن القيم في كتاب الروح :

{ ولا يشتبه أولياء الرحمن بأولياء الشيطان إلا على فاقد البصيرة والإيمان وأنى يكون المعرضون عن كتابه وهدي رسوله وسنته المخالفون له إلى غيره أولياءه وقد ضربوا لمخالفته جاشاً وعدلوا عن هدى نبيه وطريقته :

﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأنفال: ٣٤ .

فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحبه وليهم الداعون إليه المحاربون لمن خرج عنه ، وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه وليهم قولاً وعملاً يدعون إليه ويحاربون من نهاهم عنه فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني ومؤذن الشيطان وإخوان الشياطين ويدعو إلى ما يبحه الشيطان من الشرك والبدع والفجور علمت أنه من أولياءه فإن اشتبه عليك فاكشفه في ثلاثة مواطن في صلاته ومحبته للسنة وأهلها ونفرته عنهم ودعوته إلى الله ورسله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فزنه بذلك لا تزنه بحالٍ ولا كشفٍ ولا خارقٍ ولو مشى على الماء وطار في الهواء).

قوله : (وأنى) : يعني وكيف ، وهذه الآية التي في كلام ابن القيم تُبيّن لك من الأولياء قال الله عز وجل :﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ ﴾، وهذه تصدق في كل دعيٍّ جانب صفة الأولياء وجانب الطريق الذي يوصل إلى ولاية الله سبحانه وتعالى قال :﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾، و ﴿ إِنۡ ﴾ هنا بمعنى (ما) لأن بعدها (إلا) ﴿ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ يعني (وما أولياءهُ إلا المتقون) ، فحصر الله جل وعلا وقصر أولياءهُ في المتقين فقط ، وإذا ذُكرت التقوى وحدها هنا دخل فيها الإيمان فالتقوى شاملة للإيمان والعمل الصالح ، شاملة للإيمان ولفعل الأوامر ولترك النواهي ، وإذا قُرنت التقوى بالإيمان ، فالإيمان : يراد به العقائد الباطنة ، كالإيمان بالله وملائكته ورسلهِ .

وتقوى الله : المراد بها العمل فعلاً للأمر وتركاً للنهي ، فهنا قال : ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ يعني (وما أولياءهُ إلا المتقون) ، وهذا استثناءٌ مسبوق بالنفي يُفيدُ الحصر والقصر ، فحصر الله جل وعلا وقصر أولياءهُ في المتقين ،فلا يجوز لأحد أن يُدخلَ فيهم من ليس منهم .

قال ابن القيم رحمه الله : { فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحبه وليهم } .

فالمحبوبات إلى الله ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب ، إذا أولياء الله هم القائمون بما أمر الله جل وعلا به .

قال ابن القيم : { **فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحبه وليّهم الداعون إليه المحاربون لمن خرج عنه** } .

هؤلاء هم الذين جمعوا بين العلم والعمل ، الذين نذروا أنفسم يدعون إلى كل ما يحبه الله جل وعلا ويرضاهُ ، وكذلك يحاربون من خرج عن هذا .

قال ابن القيم : { **وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه وليّهم** } ، هؤلاء وليّهم الشيطان قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ آل عمران: ١٧٥ ، يعني : يخوفكم أولياءهُ، فأولياؤه

المتلبسون بما يحبه وليّهم ، متلبسّون بالشرك ، والشرك يحبه الشيطان ومتلبسّون بالبدع والمعاصي .

قال : { **المتلبسون بما يحبه وليّهم قولاً وعملاً يدعون إليه** } ،يدعون إلى الشرك يدعون إلى ما يحبه الشيطان قولاً وعملاً ، فإذا رأيت الرجل يدعو إلى الشرك ويدعو إلى البدع ويُجيزُ للأمة معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فأعلم أنه من أولياءِ الشيطان .

قال : { **ويحاربون من نهاهم عنه** } ، من علامة أولياء الشيطان أنهم يحاربون من نهاهم عن الشرك و يحاربون من نهاهم عن البدع و يحاربون من نهاهم عن المعاصي .

قال ابن القيم : { **فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني** } ،يعني الغناء والمدائح ويحب السماع الصوفي .

قال ابن القيم : { **فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني ومؤذن الشيطان وإخوان الشياطين ويدعو إلى ما يبيحه الشيطان من الشرك والبدع والفجور علمت أنه من أوليائه ، فإن اشتبه عليك فاكشفه في ثلاثة مواطن** } ، وما أبانه رحمه الله يجعل الأمور واضحة جلية ولكن مع هذا يقول لك : إذا اشتبه عليك في بعض الأمور فاكشفه في ثلاثة مواطن .

قال ابن القيم : { **فإن اشتبه عليك فاكشفه في ثلاثة مواطن في صلاته** } ، فانظر إليه في صلاته ، إذا قال لك أنا أصلي في مكة هذا من أولياء

الشيطان ، وإذا رأيته يجلس في تكيّته أو في زاويته ويحبس نفسه أربعينَ يوماً لا يشهد جمعة ولا جماعة فهذا من أولياءِ الشيطان ، وإذا رأيته يجلس في سجادته وقد أذن المؤذن وهو يجلس ويذهب الناس ويصلون ثم يعودون وهو جالس فهذا من أولياءِ الشيطان ، أنظر إلى صلاته وحتى لو كان يصلّي على أي طريقة يصلي فانظر في صلاته هل يصلي الصلاة على السنة وعلى طريقة النبي ﷺ ؟.

قال ابن القيم : { **في صلاته ومحبته للسنة وأهلها** } ، هل يحب السنة ؟ فالكثير منهم ما ترى للسنة أثراً لا عليه ولا على ذريته ، فإذا رأيت الرجل يُبغض السنة وأهلها لا سيّما علماؤهم فهذا من أولياءِ الشيطان .

قال ابن القيم : { **ومحبته للسنة وأهلها** }،إذاً الصلاة هذا ميزان وكذلك المحبة للسنة والمحبة لأهلها ، فإن كان محباً للسنة فعلامة ذلك أن يتابع السنة قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١ ، وكذلك إن كان يحب السنة محباً لأهلها الداعين لها الناشرين لها الملتزمين بها .

قال ابن القيم : { **ونفرته عنهم** }، كذلك مما يُعرف به أولياء الشيطان ، إذا رأيت الرجل نافراً عن أهل السنة منابذاً معارضاً لهم فهذا من أولياء الشيطان .

قال ابن القيم : { **ودعوته إلى الله ورسله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة** }، كذلك إذا رأيت الرجل نافراً عن الدعوة إلى توحيد الله وعن تجريده للتوحيد ولا يكون متابعاً للنبي ﷺ ، ولا متجرداً لتحكيم كتاب الله ولا لتحكيم سنة النبي ﷺ فهذا من أولياء الشيطان .

قال ابن القيم : { **فزنه بذلك لا تزنه بحالٍ ولا كشفٍ ولا خارقٍ ولو مشى على الماءِ وطار في الهواءِ**} ، وهذا تحذير من أهل الضلال فالولي عندهم هو من كانت له كرامة ، لا ينظرون إلى دينه ولا إلى إيمانه ولا إلى تقواه ، فمقياس ومعيار ، الولي عندهم من حصلت له كرامة ، فابن القيم يقول لك : { **فزنه بذلك** } ، بما مضى ، { **لا تزنه بحالٍ ولا كشفٍ ولا خارقٍ ولو مشى على الماءِ وطار في الهواءِ**} ، إذا رأيت الرجل يمشي في الماء أو يطير في الهواء فهذا ليس من علامة أنه من أولياء الله ، هذه تحصل لهذا وتحصل لغيره ، تحصل للشياطين ، ولذلك ربما أنك ترى السحرة الذين هم من الكفرة بلا شك ولا ريب أنهم يفعلون أشياء ويفعلون خوارق للعادات فهذا ليس بدليل ، ولا جعل الله ذلك دليلاً ولا مقياساً لا في كتابه ولا في سنةِ رسوله ﷺ ، ولذلك قال بعضهم :

إذا رأيت رجلاً يطير * أو فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف عند حدود الشرع * فإنه مستدرجٌ وبدعي

والشرع ميزان الأمور كلها * وشاهد بفرعها وأصلها

يا صاح لا تعبأ بهؤلاء * ذوي الخنا والزور والأهواء

باؤا بسخطٍ وضلالٍ وقلى * لم يبلغوا مراتب المجد إلى

أن تنظر البهموت بالعرش يناط * أو يلج الجمل في سم الخياط

هذا زمانٌ كثرت فيه البدع * واضطربت عليه أمواج الخدع

والدين قد تهدمت أركانه * والزور طابَقَ الهوى دخانه

لم يبق من دين الهدى إلا اسمه * ولا من القرآن إلا رسمه

هيهات قد غاضت ينابيع الهدى * وفاض بحر الجهل والزيغ بدا

أين دعاة الدين أهل العلم * قد سلفوا والله قبل اليوم

وهاجت الطائفة الدجاجلة * السالكون للطريق الباطلة

وكثرت أهل الدعاوى الكاذبة * وصارت البدعة فيهم غالبة

فالقوم إذ زاغوا أزاغ الله * قلوبهم فانسلخوا وتاهوا

وجاء في الحديث عن خير الورى * لن يخرج الدجال أعني الأكبرا

حتى تقوم قبله دجاجلة * كل يلوذ بطريقٍ باطلة

وكذلك مما يُذكر في هذا المقام قول من قال:

من ادعى مراتب الجمال *** ولم يقمْ بأدبِ الجلالِ

فارفضه إنه الفتى الدجّالُ *** ليس له التحقيقُ والكمالُ

ومن تَحلّى بحُلي المعالي *** ولحدودِ الشرعِ لم يُبالِ

فقِّر منه إنه شيطانُ *** مُخادعٌ مُلبّسٌ خوّانُ

(من ادعى مراتب الجـمـال) ، يعنى ادعى أنه من الأولياء .

(ومن تحلّى بـحُلي المـعالي) ، يعني يتزيأ بزي العلماء ويتزيأ بزي أهل الصلاح وأهل الخير ويدعي أنه من الأولياء ففر منه هذا شيطانٌ ومخادعٌ وملبسٌ وخوّان .

إذاً ظهر لنا من الولي لله سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ يونس: ٦٢ – ٦٤، فهذه الآية دليلٌ على أن وَلايةُ الولي إنما يعودُ نفعُها إلى الوليِّ قال الله عز وجل :

﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ، ما قال : (لا خوف عليكم) ، وما قال : لا خوف على المريدين والأتباع إنما قال : ﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ ، ما قال : (ولا أنتم تحزنون) قال : ﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ ، قال : ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ ، البشرى للأولياء ، ليس للأتباع والمريدين ولا الحيران والدراويش ، إنما لأولياءِ الله ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

البشرى في الدنيا : هي الرؤية الصالحة يراها الرجل أو تُرى له .

والبشرى في الآخرة : هي الجنة ، ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ يونس:

٦٤، فإذا نفع أعمالهم ونفع وَلاَيتهم يعود إليهم لا إلى غيرهم ، وما ذكر الله جل وعلا في هذه الآية أن من أعمالهم أو من أوصافهم أنهم يُجيبون دعوة من دعاهم ، أو أنهم يُلجأُ إليهم ، أو يُتوكلُ عليهم أو يُستعان بهم أو يُستغاث بهم أو يُنذر لهم أو يُذبح لهم هذا كله ما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية ولا في غيرها من آيات القرآن .

ولا يَصِّحُ أن نجزم أن فلاناً من أولياء الله إلا من شُهِدَ له الدليل ونصَّ على أن فلان هذا من أولياء الله ، فالصوفية يجزمون بأن فلان هذا من أولياءِ الله ، فمثلاً يكتبون (لا إله إلا الله والمكاشفي وليّ الله) ، تدخل في بعض المساجد تجد راية مرفوعة أو معلقة عند المنبر مكتوب عليها (لا إله إلا الله والجيلي وليّ الله) ،أو (لا إله إلا الله والتجاني وليّ الله) ، فلا يجوز أن نجزم أن زيداً أو عمراً من أولياءِ الله والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦ ، وجه الشاهد : لأننا لا نعلم وَلايتهُ .

قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ ، وأصلُ الإيمان في القلب : وهو تصديقهُ وإقرارهُ واعتقادهُ لحقائق الإيمان وهذا مما لا يطلّعُ عليه إلا الله ولذلك لما قتل أسامة بن زيد رضي الله عنه الرجل الذي قال : (لا إله إلا الله) ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ((أَقتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ؟!)) قُلْتُ : يَا رَسُول الله ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِن السِّلاحِ ، قَالَ : ((أَفلاَ شَققْتَ عَنْ قَلْبِهِ

حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أمْ لا ؟!)) فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ)) ، والضمير في قوله : (أَقَالَهَا أمْ لا ؟!) راجعٌ إلى القلب ، قال : (إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِن السِّلاحِ) ، (قالها) الأولى : قالها بلسانه وسمعها منه أسامة رضي الله عنه وحكى مقالته للنبيِّ ﷺ فقال له : (فَهَلاَّ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا؟) ، أي : أ قالها بقلبه ؟ يعني : اعتقدها وصدق بها ؟ و النبيُّ ﷺ يقول : (التَّقْوَى هَاهُنَا- وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) ، وجاء في البخاري من حديثِ أم العلاء رضي الله عنها قالت : (لما عثمان بن مظعون تُوُفِّيَ أَدْرَجْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا السَّائِبِ شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ ؟ قَالَتْ فَقُلْتُ لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي) ، ثم تلى قوله : ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩ ﴾ الأحقاف: ٩)، وأم العلاء هذه زوجة عثمان بن مظعون التي تعلم من حاله ما يخفى على كثيرٍ من الناسِ فقالت : (شَهَادَتِي عَلَيْكَ) ، يعني : لو سُئلتُ عنك فإني أشهدُ أن الله قد أكرمك ، فَقَالَ لها رَسُولُ اللهِ ﷺ : (وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ ؟) ، فمن ثبت أن الله أكرمه بالوحي أو أنه من أهل الجنة بالوحي شهدنا له بذلك ، فلا يجوز أن نشهد لمعيّن بأنه من

أولياء الله ولكن نقول : نرجوا أن يكون فلان من أهل الخير ، قال : (**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ**) ، أرجو له ، أما أن تجزم فهذا لا يجوز ، إذا كان الله جل وعلا نهاك عن تزكية نفسك التي بين جنبيك فكيف تزكي غيرك ؟ الله ﷻ يقول : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢ ، ربما يظهر الإنسان بالدين وبالإيمان وبالعمل الصالح ولكنه ليس بمخلصٍ في ذلك كله ، يُريدُ بذلك مرءآت الناس ليس عنده إخلاص ، وربما أنه لا يؤمنُ بما يقومُ به كحال المنافقين قال تعالى :﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ المنافقون: ١، فما يجوز أبداً أن نجزم بأن زيداً أو عمراً من أولياءِ الله لأن علم ذلك لله ﷻ والدليل قوله تعالى :﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾.

كرامات الأولياء

الولي : عند الخرافيين هو من ظهرت له كرامة .

فالكرامةُ شرعاً : هي أمرٌ خارقٌ للعادةِ يُجريهِ الله على يدِ وليٍّ من أوليائه لحكمةٍ أو مصلحةٍ تعودُ عليه أو على غيره .

قولنا : (خارق للعادة) ، يعني مخالفٌ للعادة ، أو ما خالف العادة ، وهذا قيدٌ يخرج به ما وافق العادة .

مثلاً إنسان قال أنا لي كرامة ، قلنا له ما كرامتك؟ قال : كرامتي إني أُجفف لكم هذا الخبز ، فأخذ هذا الخبز ونشره وقال : أصبروا ، ثم بعد مدة جف الخبز ، فهل هذه كرامة ؟ لا هذه ليست كرامة هذا أمرٌ موافقٌ للعادة .

قولنا : (يُجريهِ الله على يدِ وليٍّ) ، يعني : أن الوليَّ لا فعل له ولا إرادة له في الكرامة ، والوليُّ لا يُحدِث الكرامة لنفسه فهو لا فعل له فيها ولا إرادة له فيها إنما هي شيءٌ يُجريه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على يديه .

وقولنا : (يُجريهِ الله على يدِ وليٍّ) ، خرج بذلك ما أجراهُ الله على يدِ نبيٍّ ، فما جرى على أيدي الأنبياء من خوارق العادات التي يسميها البعض بالمعجزات والصحيح أن يُقال لها : (الآيات) لقول النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، و إنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة)) ، ما

قال (من المعجزات) ، إذا الآية أو ما يسميه البعض بالمعجزة أمرٌ خارقٌ للعادةِ يُجريهِ الله على يدِ نبيٍّ من أنبيائه دليلاً على صدقه مقروناً بالتحدّي ، فالقرآن مثلاً آية وليس للنبيِّ في ذلك القرآن من فعلٍ أو من إرادة إنما هو شيءٌ تكلم به ربنا فهو آية ، وهذه الآية مقرونة بالتحدّي قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣.

وقولنا : (يُجريهِ الله على يدِ وليٍّ) ، هذا قيدٌ أخرج ما جرى على أيدي السحرة والكهنة والدجاجلة والعرافين ، فهذه تُسمّى بالخوارق الشيطانية ، أو بالأحوال الشيطانية .

وقد يُجري الله الكرامة على يدِ وليٍّ من أوليائه لحكمةٍ أو مصلحةٍ تعودُ عليه نصراً أو تأييداً أو إعانةً من الله ﷻ لهذا الولي ، أو تعود هذه الحكمة أو المصلحة على غيره من الناس أو قد تعود على الدين ، فلا بد أن تُضبط هذه الأمور وأهمها أنه أمرٌ خارقٌ للعادة يُجريه الله على يد وليٍّ من أوليائه ، لا كما يعتقده الخُرافيّون أن الأولياء أصحاب كرامات ومتى ما أراد هذا الولي أن تحصل له كرامة حصلت له ، هذا باطل ، فالكرامة : أمرٌ خارقٌ للعادة يُجريه الله على يد وليٍّ ، قال الله ﷻ : ﴿ ...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ

﴿ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ آل عمران: ٣٧ ، يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، هذا أمرٌ خارقٌ للعادة ، لكن لو دخل عليها ووجد عندها فاكهة وهي موجودة عند عامة الناس فهذا ليس أمراً خارقاً للعادة ، الأمر الخارق للعادة أن يجد عندك الطعام المعدوم الذي لا يُخزّن ، ﴿ ... قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ ... ﴾ ، ما قالت هذا أمرٌ في مقدوري متى ما أريد أن أُحدثه كان، وإنما ، ﴿ ...قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ... ﴾ ، هذا شيء أحدثه الله ، ولذلك الكرامة : أمرٌ خارقٌ للعادة يُجريه الله على يد وليٍّ ، ﴿ ...قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ ... ﴾ ، فالكرامات كثيرة من ذلك ما حصل لأصحاب الكهف فالله جل وعلا حفظ عليهم أجسادهم وحفظ أبدانهم وأديانهم هذه كرامة ليس لهم فيها من تصّرف وإنما ذلك فعلُ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ، وجاء في صحيح مسلم من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي ؟ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ

يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ).

إنسان يسيرُ في الصحراء ومن فوقه سحابة تظله فإذا به يسمع صوتاً فيرفع رأسه فإذا الصوت منبعثٌ من السحابة ، (اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ بن فلان) ، فإذا بالماء ينزل ، قال فإذا بالماء ينزل في(الشراج) يعني مجرى سيل فتبعه فإذا بالماء كله ينزل في حديقةٍ واحدة ، وإذا برجلٍ يقف عند هذه الحديقة يعدّل الماء (بمسحاته) يوجه في الماء حتى يدخل في الزرع ، فقال له : (يا عبد الله ، ما اسمك؟) قال : فذكر اسمه فإذا به ذات الاسم الذي سمع من السحابة ، قال له : لم تسألني ؟ قال : سمعتُ صوتاً في هذه السحابة يقول : اسق حديقة فلان بن فلان فماذا تفعل ؟ قال أما وقد سألتني (فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ)،. يعني إذا حصد ما تنتجه هذه الأرض يتصدّق بثلثه ويأكل هو وعياله الثلث ويرد ثلثه في الأرض ، هذه كرامة وليس لهذا الرجل فيها من عمل ، فالله عزّ وجلّ هو الذي امر هذه السحابة أن تنزل على أرض هذا الرجل ، كذلك ليس من شرط الولي أن تكون له كرامة ، ربما يكون الإنسان في ضائقة وهو من الأولياء ويموت بغرق أو بحرق ويريد الله جل وعلا بهذا أن يرفع درجته أو يحط عنه شيئاً من سيئآته فالصحابة رضي الله عنهم الذين هم سادات الأولياء جاءوا ، أبوهريرة رضي الله عنه من سادات الأولياء كان يسقط

عند المنبر من الجوع ثم بعد ذلك صار أميرا حتى إنه كان يقول "بخٍ بخٍ، أبو هريرة يتمخط في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة مغشيا علي ، يقول الناس: مجنون، وما بي إلا الجوع.) ، وأكرم الله جل وعلا مريم ﴿...**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ** ...﴾ ، وأبو هريرة يجوع ولا يجد ما يسد به رمقهُ وليس معنى هذا ان أباهريرة ليس من أولياء الله ، والصحابة رضي الله عنهم في غزوة خيبر وهم سادات الأولياء جاءوا جميعاً حتى ذبحوا الحمير وطبخوا هذه الحمير وأصبحت القدور تفور بلحم الحمير والصحابة رضي الله عنهم جوعى ينتظرون حتى ينضج اللحم فأتاهم منادٍ : (**إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجسٌ**) ، قال : (فقبلوه وكفؤوا القدور وهي تفورُ باللحم) ، والصحابة رضي الله عنهم جوعى وهم من أهل الكرامة ، والنبي سيّد ولد آدم كان يمرُّ عليه الهلال والهلالان ولا يُوقد في بيته نارٌ ، فهؤلاء يتعلقون بأوهام وخرافات وبدع وضلالات ما أنزل الله جل وعلا بها من سلطان .

ولذلك قال أهلُ العلم : الكرامات التي كانت في عهد التابعين أكثر منها في عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وليس معنى هذا أن التابعين أفضل من الصحابة ، فالصحابة رضي الله عنهم عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما

يستغنون به عن الكرامات، وهو وجود النبي ﷺ ، كذلك وقوعها بعد عهد التابعين كان أكثر ممن قبلهم

، ربما أنك تكون من خِير عباد الله وتموت جوعاً ، وربما أكرم الله جل وعلا من هو أدنى منك بكثير وكثير في المنزلة عند الله سبحانه وتعالى ، فليس من شرط الولي أن تحصل له كرامة ،فإن الكثير من الأولياء لم تحصل لهم الخوارق .

ولا كل من حصل له خارقٌ من الخوارق يكون من أولياء الله سبحانه وتعالى ، فقد يكون من السحرة ومن المشعوذين ومن الدجالين ، هؤلاء قد تصدر وتقع على أيديهم الخوارق .

موقف أهل السنة والجماعة من كرامات الأولياء

وأهل السنة والجماعة لا ينكرون كرامات الأولياء كما ذكر الشيخ رحمه الله بل يُثبتونها . **قال شيخ الإسلام بن تيمية** رحمه الله في العقيدة الواسطية : (ومن **أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سلف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فِرَق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة**.).

وقال الطحاوي :(وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.)

وقال السفاريني رحمه الله في درته المضية:

وكلّ خارق أتى عن صالح...من تابع لشرعنا وناصح

فإنَّها من الكرامات التي...بها نقول فاقف للأدلة

ومن نفاها من ذوي الضلال...فقد أتى في ذاك بالمحال

فإنَّها شهيرة ولم تزل...في كلّ عصر يا شقا أهل الزلل

فأهل السنة والجماعة يُثبتون الكرامات لأنه دلت عليه الأدلة ، وكما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تبارك وتعالى هنا قال : (ونحنُ لا نُنكرُ إلا عبادتَهم مع الله ، وإشراكهم معهُ ، وإلا فالواجب عليك حُبهم وإتباعهم والإقرار بكراماتهم ، ولا يجحدُ كراماتِ الأولياءِ إلا أهلُ البدع والضلالاتِ.).

لكن أؤلئك شُبهتهم يقولون : الأولياء لهم كرامات ولهم منزلة ولهم جاهٌ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويجعلون من كراماتهم أنهم يُجيبون دعاء من دعاهم ، وأنهم يُغيثون من استغاث بهم وهكذا ، وهذا كله كذبٌ ، فليس هناك من يُجيب لك دعاءً وليس هناك من يحقق لك طلباً سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ

عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٥ ، ولذلك من مناّك أن أحداً يُجيبُ دعاءك فيشفي مريضك أو يردُّ غائبك أو يُنزلُ لك مطراً أو يهبُ لك ولداً فهذا كذابٌ أشر ، فالله ﷻ يقول : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾، يعني لو أنك أخذت تنادي من الآن إلى يوم القيامة ، مدد يا برعي مدد يا مكاشفي ويارجال أبوحراز ، ومدد ياموسى وهجو ، ومدد ياتاي الله ، مدد يا ميرغني ، مدد يا فرح ودتكتوك ،و مدد يا صائم ديمة ويا أبوقرون ياود حسونة يا ود الطريفي ، ومدد يا ابو فركة ، أسماء كثيرة ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ النجم: ٢٣،إذا أخذت تنادي هؤلاء كلهم لا يجيبونك قال الله : ﴿ لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ ، ﴿ لَّا ﴾ ، هذه نافية دخلت على الفعل المضارع الذي يُفيد الإستمرار ، إذاً هذا نفيٌ مستمر ، فهذا ما يحصل أبداً ، هذا قد نفاهُ الله نفياً مستمراً ، قال تعالى : ﴿ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾، والله جل وعلا يقول : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الإسراء: ٥٦، تأملوا في هذه الآية ففيها نفيٌ مستمر ، وهذا معناه أن هذا النفيُ لا ينقطع ولا يحصل أن أحداً من الناس يُجيبُ دعاء من دعاهُ في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا هذا ما

يحصل أبداً لأن ذلك ليس مما يملكه غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وليس في مقدور أحدٍ سوى الله جل وعلا قال الله : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ ﴾، ﴿ ٱلضُّرِّ ﴾ ، مفرد معرف يُفيدُ العموم لا يكشفون أي نوعٍ من أنواعِ الضر ، والله جل وعلا يقول : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ الرعد: ١٤ ، ﴿ شيء ﴾ ، نكرة منفية تُفيدُ العموم لا يُجيبونك بشيءٍ ، ﴿ بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ ﴾ ، وهذا من التعليق بالمستحيل ، غير الله لا يُجيبك إلا في حالة وهي أن تذهب إلى مكان يوجد فيه ماء ثم تبسط يدك إلى الماء وتنادي الماء وتطلب من الماء أن يبلغ فاك أن تأتيك إلى فيك ،وهذا لا يحصل قال الله : ﴿ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ ﴾، فبيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن دعاء غيره من عمل الكافرين وليس من عمل المسلمين ، المسلم يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده مستجيباً لأمره : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر: ٦٠، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦، فليس من كراماتهم كما يزعم هؤلاء

أنهم يجيبون دعوة من دعاهم ، ولا أن جاههم ومنزلتهم تُجيزُ أن يتعلق الناس بهم .

الشبهة العاشرة

قال الشيخ : { فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا (الاعتقادَ) هو الشركُ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ ، وقاتلَ رسولُ الله ﷺ الناس عليه ، فاعلم أن شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهلِ وقتِنا بأمرين :

أحدهما : أن الأولين لا يشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ أو الأولياءَ أو الأوثانَ مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدةِ فيُخلِصونَ الدينَ لله ، كما قال تعالى :

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء : ٦٧] وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام ك ٤٠ ، ٤١] وقوله : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ

نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ ﴾ [الزمر : ٨] وقوله : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان : ٣٢] }.

الشـــرح :

قوله : { فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا (الاعتقادَ) هو الشركُ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ ، وقاتلَ رسولُ الله ﷺ الناس عليه ، فاعلم أن شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهلِ وقتِنا بأمرين : } ، هذا الكلام ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ توطئةً لشبهةٍ عظيمة سيذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، والذي طالع ما مضى ووقف على ما مضى وفهم ما مضى يظهر له كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ،{ فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا (الاعتقادَ)} ، يسمون الشرك هذا بالإعتقاد ، يقولون فلان صاحب عقيدة ،أو فلان عنده عقيدة في فلان ، ولذلك إذا سألتهم تجد أن كل واحد منهم يقول لك مثلاً أنا عقيدتي في أبي حراز ، وآخر يقول : أنا عقيدتي في السادة القادرية مثلاً ، وآخر يقول : أنا عقيدتي في اليعقوباب ، وآخر يقول : أنا عقيدتي في اللزيرقاب ، ومرادهم أن هذا الذي يعتقدون فيهم لهم جاه ولهم منزلة عند الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

وهذه المنزلة وهذا الجاه المزعزم الذي يدعونه هذا يجعلهم يتعلقون بهم في جلب منافعهم وفي دفع مضارهم بهذا ، إذا قال لك أحدهم أنا عقيدتي في فلان يعني أن فلان هذا له تصرفٌ في الكون مع الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وأنه يصلح

أن يُدعى وأن يُستعان به ويُستغاث به ويُحلف به فهذا معنى قولهم : أنا عقيدتي في فلان ، أو نحن أصحاب عقيدة هذا هو المراد أنهم يعتقدون في غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التصّرف في الكون ، ويعتقدون جواز التصرّف إلي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعبادة هذا الذي يعتقدون فيه يدعونه مع الله ويحلفون به مع الله ويستعينون به ويستغيثون به ويجعلون له شيئاً من عبادتهم .

فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، { **فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا (الاعتقادَ)** } ، وبعضهم يسمي الاعتقاد في غير الله عَزَّ وَجَلَّ والتعلق بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسميه توسلاً ، يقول لك نحن نتوسلُ بهؤلاء ، نتوسلُ بهم معناها عندهم أنهم يعبدونهم ويعتقدون أنهم يتصرفون في أمر هذا الكون ، ويسمونه تارةً محبةً للصالحين وهكذا ، فالشركُ شركٌ وإن سماه أهله ما سموهُ .

فلذلك الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا قال : { **فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا (الاعتقادَ) هو الشركُ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ ، وقاتلَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس عليه** } ، الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر لك أن شرك الأولين هو عينُ شرك المتأخرين وإن سموهُ بأسماء أخرى ، فالعبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني ، ولا عبرة بإختلاف الأسماء فالشركُ شركٌ .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { **فاعلم أن شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهلِ وقتِنا بأمرين :** }

أراد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يُبيّن لك أن المتأخرين زادوا على الأولين في الشرك من بعض الوجوه ، وهذا المقطع الذي بين أيدينا من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في القاعدة الرابعة من القواعد الأربع ، فشرك المتأخرين أغلظ وأعظم من شرك الأولين لكن من بعض الوجوه .

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أن يُبيّن لك أن الشرك الذي كان عند الأولين هو الشرك الذي هو حاصلٌ عند المتأخرين بل زاد المتأخرون على الأولين من بعض الوجوه .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: { أحدهما : } ، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نصَّ هنا على أمرين لظهورهما وإلا فإن التأخرين فاقَ شركهم شرك الأولين من وجوهٍ .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: { **أحدهما : أن الأولين لا يشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ أو الأولياءَ أو الأوثانَ مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدةِ فيُخلِصونَ الدينَ لله ، كما قال تعالى :** ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ **[العنكبوت : ٦٥] ، وقال تعالى :** ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ **[الإسراء : ٦٧] وقال تعالى :** ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [

الأنعام ك ٤٠، ٤١] وقوله : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ [الزمر : ٨]

وقوله : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان : ٣٢] }.

الدين هنا يُراد بها عبادة الدعاء .

قال رَحِمَهُ اللهُ: { كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء : ٦٧]}.

هذه الآية أورها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ دليلاً على أن الأولين لا يُشركون ولا يدعون الملائكة ولا الأنبياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء ، في الرخاء كانوا يُشركون غير الله بالله في الدعاء وأما في الشدة فكانوا يُخلصون .

قال رَحِمَهُ اللهُ: { كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ } . وهذا خبرٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم ، و(الضر) مفرد معرّف يُفيدُ العموم ، هذا عام في كل شدة تحصلُ لهم

قال رَحِمَهُ اللهُ: { كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ ﴾ }

،

(ضل)، معناها : غاب عن قلوبكم وعن ألسنتكم ، فقلوبكم لا تذكرُ أحداً غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وألسنتكم لا تلهج بدعاء أحدٍ سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ﴿

ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ ﴾،يعني : أعرضتم عن التوحيد وعن الإخلاص وعم دعاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده ، أعرضتم عن إفراده بالدعاء فأخذتم تدعونه وتدعون غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فالآيةُ واضحةٌ في دلالتها على أن المشركين الأولين كانوا يُخلصون الدعاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الشدة وأما في الرخاء فكانوا يدعون الله ويدعون معه غيرهُ .

قال : { وقال تعالى :﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام ك ٤٠، ٤١] } : والخطاب في قوله : ﴿ قُلْ ﴾ هذا للنبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الله جل وعلا أمره أن يقول هذا للمشركين :﴿ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾، وهذا يعني قبل موتهم أو في حالِ حياتهم﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾، ماقدره الله جل وعلا عليكم من الشدائد والأهوال ،من الحرق أو من الغرق أو أتتكم رجفة أو صاعقة أو صيحة أو حسفٌ أو زلل أو أتتكم ريحٌ ، قال :﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، هذا معناهُ يعني : هل تخصون آلهتكم بالدعاء في وقت الشدة ؟ ، وهذا مستفاد من قوله :﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾، فقدم المفعول على الفعل والفاعل لإفادة الحصرِ والقصرِ، وأصلها في غير القرآن (أتدعون غير الله ؟) بل كانوا يخصّون الله ،

ولذلك قال :﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾، وهذا هو الشاهد على أنهم كانوا يُخلصون لله جل وعلا الدعاء في حالِ الشدة ، قال :﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾، فقدم المفعول على الفعل والفاعل لإفادة الحصرِ والقصرِ ، يعني أنهم في حال الشدة يحصرون ويقصرون دعاءهم على الله ﷻ لأنه أخبر عنهم قال :﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾، وأصلها في غير القرآن (بل تدعون إياه) ، فلما أراد أن يُعْلمك ﷻ بأنهم كانوا يُخلصون لله جل وعلا في الشدائد قدم المفعول على الفعل والفاعل لإفادة الحصرِ والقصرِ ، وهذا يجعلنا نجزم بأنهم ما كانوا يدعون غير الله عند الشدة ، ومن زعم أن المشركين كانوا يدعون غير الله في وقتِ الشدة فهو كافر لأنه كذب القرآن الله جل وعلا أخبر عنهم قال :﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾، قال :﴿ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ ﴾ ،﴿ فَيَكۡشِفُ مَا ﴾،موصولة بمعنى الذي تفيد العموم ،﴿ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ وهذه الآية دليلٌ على أن الله جل وعلا قد يُجيبُ دعاء الكفار ، الكافر يدعوا الله فيُجيبُ الله جل وعلا دعاءهُ كما قال :﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ و﴿ مَا ﴾هنا موصولة بمعنى الذي تفيد العموم ، يعني وتنسون جميع ما تجعلونهم شركاء لله جل وعلا في حال الشدة .

لو قال قائلٌ : أنهم ما كانوا ينسون جميع شركائهم فهذا كافر مكذبٌ للقرآن لأن الله جل وعلا قال : ﴿ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾فلا يذكرون في وقت الشدة أحداً سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، هذا يجب أن نجزم به وأن نقطع به ، فهذا مما أخبر الله جل وعلا به عن عقائد المشركين الأولين ، فالله جل وعلا بيّن أنهم يحصرون ويقصرون دعاءهم في وقت الشدة على الله ، وأنهم ينسون في وقت الشدة جميع شركائهم فلا يذكرون منهم أحداً أبداً ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ الزمر: ٨ ،و ﴿ ضُرٌّ ﴾ هنا نكرة في سياق الشرط تفيد العموم ، قال : ﴿ ...إِذَا خَوَّلَهُۥ ... ﴾ يعني أعطاهُ ما سأل ، قال : ﴿ ...دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ ... ﴾ أمِنَ في الأول ، مسهُ الضُرْ فلجأ إلي الله ، فلما أجاب الله جل وعلا دعاءهُ وأعطاهُ ومنّ عليه بأن كشف ورفع عنه الضر ، قال :﴿ ...نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ... ﴾ نسيَ أنه في وقتِ شدتهِ سأل الله جل وعلا ، والله جل وعلا هو الذي كشف عنه تلك الشدة قال : ﴿ ...وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ... ﴾ هذا إذا أمِنَ في حالِ الرخاء قال :﴿ ...وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ... ﴾ فأخذ يدعوا الله ويدعوا غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا هو التنديد الذي هو الشرك

بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قال : ﴿ ...وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ... ﴾ و(اللام) في قوله :﴿ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾، تُسمّى بـ(لامِ العاقبة) وبعضهم يسميها بـ(لامِ الصيرورة) ، وبعضهم يسميها بـ(لامِ المآلْ) ، **لأنها** تُبيّنُ لك عاقبةُ الأمر وما يؤولُ إليه الفعل ، فهنا قال : ﴿ ...وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ... ﴾ .

وبعضهم يقول : هي التي ما يكون بعدها نقيضاً لما قبلها ، هنا قال : ﴿ ...وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ... ﴾ هو لم يُرد الضلال بهذا إنما أراد الهدى بذلك ولذلك الله جل وعلا قال : ﴿ ...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ ... ﴾ الزمر: ٣ ، إذاً ما قبلها هو إرادة الهدى ، قال :﴿ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾، ونقيضهُ الضلال ، وقال تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ... ﴾ القصص: ٨ ، وهم أرادوا أن يكونَ قرة عين لهم ، قال تعالى حاكياً عن إمرأة فرعون : ﴿ ...قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ... ﴾ القصص: ٩، هذا الذي أرادوه ، فما قبلها نقيض لما بعدها، فكان لهم عدواً وحزناً ، هذا لامُ العاقبة والصيرورة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ لقمان: ٦ ،

وهذه الآية دليلٌ على تحريم الغناء ، فما يأتي أحد الناس يجعل هذا اللام لامُ التعليل ، يقول لك : الله جل وعلا حرّم الغناء الذي يُرادُ به إضلال الناس وأنا أُغني لا أريدُ إضلال الناس ، نقول له : لا ، كلُّ من غنىّ وأتى بالآلات الموسيقية فإن عاقبة أمرهِ تؤول إلي الضلال فهنا قال : ﴿ ... وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ ﴾ ، وهذه الآية والآيات التي قبلها دليلٌ على أن من دعا غير الله جل وعلا كان مشركاً كافراً ، ففي الآيةِ الأولى قال : ﴿ ...فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ ... ﴾ الإسراء: ٦٧، أعرضوا عن إخلاصِ الدعاء لله فصاروا يدعون الله ويدعون غيره ، قال الله : ﴿ ...وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧ ﴾ الإسراء: ٦٧، و(الإنسان) هنا أراد به الكافر ، هذا عموم أُريدَ به خصوص الكفار ، وفي الآية التي قبلها قال : ﴿ ...فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ۝٤١ ﴾ الأنعام: ٤١ ، تنسون ما كنتم تدعونه مع الله في حال الرخاء وهذا هو الشرك ، وفي الآية الثالثة قال : ﴿ ...قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ ... ﴾ الزمر: ٨ ، وكفره هو دعاء الله ودعاء غيره معه وهذا هو التنديد وهو الشرك وهو الكفر بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ، ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾ لقمان: ٣٢، ﴿ الظلل ﴾ قال

بعض المفسّرون : الجبال ، وقال بعضهم : السحاب ، ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ ... ﴾ وخافوا الهلكة وحصلت لهم شدة ونزل بهم كرب ، قال تعالى : ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾ ، والمراد بـ(الدين) هنا الدعاء ، وهذا فيه بيان منزلة الدعاء ، الله جل وعلا سماهُ ديناً ، والنبي ﷺ في حديث النعمان بن بشير قال : (الدعاءُ هو العبادة) ، وهذه جملة معرّفة الطرفين تُفيدُ الحصر والقصر .

قوله : (الدعاء) : هذا مبتدأ معرّف بـ(أل) ، (الدعاء العبادة) خبر معرّف بـ(أل) جملة معرّفة الطرفين فقال : (الدعاءُ هو العبادة) ، كأنه قال : (لا عبادة إلا الدعاء) ، وهذا بيان لعظيم قدر الدعاء ، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ لقمان: ٣٢.

الختّار : هو الذي كلُّ ما عاهد نقض ، كذلك الله عز وجل ختمها بالحكم عليهم بالكفر ، إذاً هذه الآيات التي ذكرها الشيخ رحمه الله فيها دلالة واضحة على إخلاص المشركين الأولين الدعاء في حالِ الشدة ، وأما في الرخاء فكانوا يدعون الله ويدعون معه غيره ، والله جل وعلا سمى هذا شركاً وسماهُ كفراً .

قال الشيخُ : {فمن فهِمَ هذه المسألة التي وضحهَا الله في كتابِه ؛ وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ يدعونَ الله، ويدعونَ غيرَهُ في الرخاء ، وأما في الضراء والشدةِ فلا يدعونَ إلا اللهَ وحدهُ لا شريكَ لهُ ، وينسونَ سادَتهم } .

هذه عقيدة دل عليه كتاب الله ﷻ ، من فهم هذا واستقرّت هذه الحقيقة في نفسه

قال الشيخُ : {وتبينَ لهُ الفرقُ بين شركِ أهلِ زمانِنا وشركِ الأولينَ } .

والآن والله أن الكثير من أصحاب العقائد الفاسدة في حال الشدة ينسون الله سبحانه وتعالى ، وهذا والله قد شاهدناه ورأيناه ، ربما أنك تكون مثلاً في سيارة فيحصل خلل في إحدى طاراتها فترتجّ السيلرة بالناس فإذا الناس يهتفون بدعاء غير الله سبحانه وتعالى ، وقل من تجد فيهم من يدعوا الله سبحانه وتعالى في حال الشدة ، ربما أنك إن أنكرت عليهم دعاء غير الله في هذه الحالة ربما أنهم صاحوا بك وربما أنهم ضربوك وربما أنهم أنكروا عليك ، فكأنك أنت الذي أتيت بالمنكر ، وطواغيتهم ورؤوسهم يدعونهم لهذا ، أما سمعتم قول البرعي :

إن ناب خطْبٌ في البلادِ نزيل * فقل يا وليَّ الله إسمـاعيل**

يعني : إن نزلت داهية وإن نزلت مصيبة حلت بكم بلاءٌ وحلت بكم شدة فعليكم أن تدعوا إسماعيل الولي ، وهذا فيه عدة مخالفات .

أولاً : شركٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

ثانياً : تعيين الأولياء ، هم يعينونهم وينصبونهم كأنما هي مناصب دنوية .

إن ناب خطْبٌ في البلادِ نزيلٌ * فقل يا وليَّ الله إسمـاعيل**

وعندنا هنا في منطقة (الشرفة بركات) يقولون : (يا الشريف بركات عند الدركات)، يعني : عند الشدة ، وكم تجد في السيارات مكتوب : (يا تور عفينة، ويا رجال أبو حراز ، وياا سابق يا) ، (سابق ياء) ، يعني قبل أن ترفع الألف تجد أن هذا قد أجاب الدعاء ، يعلم ما تريده قبل أن تتلفظ به هذا يسمونه (سابق ياء) ، وواحد يسمونه بـ (لحّـاق بعيد) ، وآخر بــ(أبو فزْعاً جري) ،وأب فزعاًجري هذا تجري إلي جهته وتُقضى حاجتك مباشرةً وهكذا يشركون بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فهم يدعون غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وينسون الله في وقتِ الشدة ، فإذا ظهر لك هذا فأيهم أعظم شركاً وأعظمُ كفراً من هذه الجهة ؟ ، المتأخرون ، فهؤلاء شركهم دائم في الرخاء وفي الشدة ، يدعون غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ووالله قَلَّ من يدعوا الله في حاجته ، ورأينا ناساً أنه يذكر شيخهُ أكثر من ذكره لله ، يقول : (يا مكاشفي ، يا مكاشفي) إن قام وإن قعدَ ، وإن تأثر كما قال بعضهم :

في التِلِتْ ناديهم * قوم وصيِّح ليهم**

أبقى منهم وليهم *** والحمالة عليهم

وكما قال البرعي في ديوانه (أعلام في الطريق ص ـ ٢٩/ ٣٠):

هيا أبو التايا وحامد أبوعصايا *** زيلوا الحصايا وأمراض كِلايا

يا إدريس أبوفِركة يا الصلاحك تِرْكة *** يا العركي وقومك الليلة يومك

نادي العقبابي وقوم الصادقابي *** الصابونابي والشكيتابي

وقال البرعي :

بناديهم بناديهم في كل قضية بناديهم *** حيين ميتين بناديهم

هذا اعترف ، يعني في كل قضية في حالِ الرخاء وفي حال الشدة يدعو غير الله ﷻ هل هذه هي عقيدةُ النبي ﷺ ؟ أهذه عقيدةُ الأنبياء ؟ أهذه عقيدةُ القرآن ؟ هذه العقيدة الشركية والله يتبرأ منها حتى أبوجهل وأبولهب وأضرابهم يتبرأون من هذه الغقيدة فما كانوا يدعون ويُشركون غير الله بالله جل وعلا في الشدائد لأنهم كانوا يعلمون أنه لا ينجّي عند الشدائد إلا الله ﷻ.

ولذلك لما ركب عكرمة رضي الله عنه فاراً لما جاء النبيُّ ﷺ فاتحاً مكة وركبوا السفينة واضطربت بها الأمواج نظر المشركون بعضهم إلي بعض وقالوا كما ذكر **محمد بن إسحاق** : (عن عكرمة بن أبي جهل: أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة ذهب فارًّا منها، فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة،

اضطربت بهم السفينة، فقال أهلها: يا قوم، أخلصوا لربكم الدعاء، فإنه لا ينجّي هاهنا إلا هو، فقال عكرمة: والله إن كان لا ينجّي في البحر غيره، فإنه لا يُنَجّي غيره في البر أيضاً، اللهم لك عليَّ عهدٌ لئن خرجتُ لأذهبن فلأضعَنّ يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفًا رحيما، وكان كذلك.)، تأمل المشركون قالوا وهم في السفينة : (أخلصوا لربكم الدعاء، فإنه لا ينجّي هاهنا إلا هو) ، هؤلاء أصحّ عقيدةً من البرعي (فإنه لا ينجّي هاهنا إلا هو) ، فهذه وقعت في قلبِ عكرمة موقعاً واستيقظَ فقال : (والله إن كان لا ينجّي في البحر غيره، فإنه لا يُنَجّي غيره في البر أيضاً ، ولئن أخرجني الله لأذهبن فلأضعَنّ يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفًا رحيما) ، وأخرجهم الله وأسلم عكرمة رضي الله عنه .

قال الشيخُ : {**فمن فهِمَ هذه المسألة التي وضّحهَا الله في كتابِه ؛ وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعونَ الله، ويدعونَ غيرَهُ في الرخاء ، وأما في الضراء والشدةِ فلا يدعونَ إلا اللهَ وحدهُ لا شريكَ لهُ ، وينسونَ سادَتهم**

وتبينَ لهُ الفرقُ بين شركِ أهلِ زماننا وشركِ الأولينَ } .

ولذلك والله إذا هداك الله جل وعلا للعقيدة الصحيحة ولفهم العقيدة الصحيحة فهذه نعمةٌ لا تُعادُ لها نعمة ، الله جل وعلا منّ عليك بنعمةٍ عظيمة قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ

إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٦١ - ١٦٢، وقال تعالى حاكياً يوسف: ﴿ ... إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يوسف: ٣٧ – ٣٨ ، فالتوحيد نعمة ، والهداية إلي توحيد الله جل وعلا نعمة تحتاج إلي أن تُحاط وتُصانْ وتُحرص بالإستقامة على الطاعة والبعد عن المعصية ، فإن النعم إذا شُكرتْ قرّتْ وثبتت وإذا كُفرت فرّتْ ، والله أن الإنسان الله جل وعلا ربما يحولُ بينه وبين التوحيد قال تعالى: ﴿ ...وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤ ، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ الأنعام: ١١٠، فلذلك من وحّد الله فعليه أن يجدّ ويجتهد في شكر هذه النعمةِ العظيمة التي حُرمها الكثير من الناس .

قال الشيخُ : { ولكن أين من يفهمُ قلبُهُ هذهِ المسألةِ فهماً راسخاً ؟ والله المستعانُ .} .

كثيرٌ من الناس يعادون هذا ، هذا الخبر وهذا الحق يُعادى ويُنفّرْ عنه ، ويُنفّرْ عن أهله عند كثيرٍ من الناس ويرون الهدى في خلافِ هذا ، وأن من كان على هذا فهو ضالٌ مُضل ، وهم يكفروننا ، الآن الصوفية يكفرون أهل التوحيد وهذا من إنقلاب الحقائق يكفروننا لأننا جردنا التوحيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قال تعالى :﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ غافر: ١٢ .

قال الشيخ :{ **الأمر الثاني :** }، يعني : الأمر الثاني مما صار به المشركون المتأخرون أعظم شركاً من الأولين .

قال :{ **أن الأولينَ يدعونَ مع الله أناساً مُقربينَ عندَ الله ؛ إما نبياً وإما ملائكةً ، أو يدعونَ أحجاراً ، وأشجاراً مُطيعةَ لله تعالى ليستْ بعاصيةٍ** } ، فهنا المقارنة باعتبار المشتَركْ به ، فالألون كانوا يعتقدون الجاه والمنزلة والمكانة كما قال : { **أناساً مُقربينَ عندَ الله** } ، فتجد أنهم يعتقدون إما أنهم يدعون الأنبياء ، إما أنهم يدعون الأولياء ، وإما أنهم يدعون الصالحين ، وإما أنهم يدعون الملائكة .

قال :{ **أو يدعونَ أحجاراً ، وأشجاراً مُطيعةَ لله تعالى ليستْ بعاصيةٍ** } ، وهذه الأحجار والأشجار في أصلها إنما هي رموز لعباد صالحين ، والدليل على أن هذه الأصنام إنما هي رموز لرجال صالحينا ذكره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا

أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت.) ، فدل على هذا القرآن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ ﴾ الأعراف: ١٩٤ – ١٩٥ ، هذه في الأصنام ، هل ألصنام عندها أرجل تمشي بها ؟ ألها أيدي تُبطش بها ؟ ألها أعينٌ تُبصِرُ بها ؟ الجواب : لا ، مع هذا سماها الله بعباد ، وهذا فيه إشارة أن الأصل في هذه الأصنام إنما هي رموز لرجال صالحين كما هو الشأن الآن ، يقولون مثلاً : هذا مشهد الشيخ فلان ، وهو شيخٌ واحد مدفون مثلاً في أم درمان وعنده مشاهد في مدني وفي كسلا وفي القضارف قبة وضريح ، تأتي تسأل هذه لمن ؟ يقولون : للصائم ديمة ، تذهب إلي أم دمان تسأل ؟ يقولون : هذه للصائم ديمة ، **إذاً هذا** رمزٌ لهذا الشيخ فيأتون يدعونه ويحلفون به ويستعينون به ويستغيثون به وهكذا .

فالشيخ ذكر أن الأولين أما أنهم يدعون الملائكة ، أما أنهم يدعون الأنبياء ، أما أنهم يدعون يدعون الأولياء والصالحين ، أو يدعون الأحجار والأشجار التي هي في الأصل هي رموز لرجال صالحين ، وإن قلنا ما

كانت رموز لرجال صالحين هي أحجار وأشجار مجردة على أنها أحجار وأشجار ليست برموز لرجال صالحين **قال الشيخُ :** { **أو يدعونَ أحجاراً ، وأشجاراً مُطيعةَ لله تعالى ليستْ بعاصيةٍ** } ، قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ الإسراء: ٤٤، وقال تعالى : ﴿ ...وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ البقرة: ٧٤، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الروم: ٢٦، والأدلة على هذا كثيرة .

قال الشيخُ : { **وأهلُ زمانِنَا يدعونَ مع الله أناساً من أفسق الناسِ** } ، مع أن صرف العبادة للولي أو للنبي أو للملك أو للأحجار أو للأشجار التي هي إن لم نقل أنها رموز لرجال صالحين فهي على أقل أحوالها طائعة لله لا تعصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، إذاً أولئك الشبهة عندهم أقوى ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ... ﴾ الزمر: ٣، هؤلاء عبدوا الأولياء والصالحين لأجل طلب القربة والشفاعة من الله ، أما الفاسق أما الفاسق تعبده لأجل أي شيء ؟ ، أنت ترى فسقه وترى فجوره وترى كفره وترى إجرامه وترى إفكه وكذبهُ

وأكله لأموال الناس بالباطل ومع هذا تعبد هذا الفاسق أو هذا الفاجر ؟ وربما أنه كان مشركاً ، وربما كان ساحراً أو كاهناً ، أتريدُ من هذا أن يقربك إلي الله ؟ هو في نفسه من أبعد الخلق عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفاقد الشيء لا يُطيه ، ولذلك الشيخ هنا.

قال : { **وأهلُ زمانِنَا يدعونَ مع الله أناساً من أفسق الناسِ والذين يدعونَهُم هم الذين يحكونَ عنهم الفجور من الزنا ، والسرقة ، وتركِ الصلاةِ ، وغير ذلك** } ، وهذا والله تجدونه مكتوباً ، لو تقرأ (طبقات الشعراني) وهي ترجمة لهؤلاء الأولياء المزعومين ، تجد أنه كم حكى لوليٍّ من أوليائهم أنهم كانوا من التاركين للصلاة ، وكم حكى عن بعض الأولياء أنهم كانوا من التاركين للصيام ، بل كم حكى عن بعضهم أنهم ما كانوا يعبدون الله البتة لأجل أنهم وصلوا إلي الله وارتفعت عنهم التكاليف ، وكم يحكي عن بعضهم من الفسقِ والمجون ما تُنزّه المجالس عن ذكره ، فسق ومجون حتى الفعل بالدواب وبالمِردان كل هذا يُحكى ويُكتب على أنه من كرامات هذا الولي ، وكذلك الذين نراهم الآن ، أروني واحداً منهم تجدونه في شكله متابعاً للنبي ، ما تجد أن أحداً منهم يعفي لحيته ، ولا أن أحداً منهم يقصّر ثوبه ، ولا أحداً منهم يمتنع عن مصافحة النساء ولا عن الإختلاط بالنساء ، ولا تجد أحدهم يجلس يعلم الناس القرآن والسنة أبداً ، ما عندهم إلا أنهم يدعون الناس إلي التعلق

بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وإلي التعلق بذواتهم ، وإلي صرف العبادة لهم وهكذا ، هذا الذي عندهم ما تجد عندهم إلا الشرك والكفر والفسق ، وعبادة الله جل وعلا بالبدع والضلالات وهكذا ، وهم يشاهدون فسقهم ، ومع هذا يعبدونهم ليقربوهم إلي الله ، فتأمل لا شك أن الذي يعبد الولي أن شركه أخفّ من الذي يعبد الفاسق الفاجر مع أن هذا شرك وهذا شرك ، ولكن الشبهة عند الأول قوية ، وهي أن هذا قريب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويطلب بعبادته القرب من الله ، أما أن تأتي إلي كويفر أوفويسق أوفويجر وتجعل له العبادة ماذا تُريد منه ؟، أتريدُ أن تكون مشركاً لشركه ؟ أو فاسقاً لفسقه ؟ هذا ما يقرب إلي الله هذا يُبْعِد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قال :{ **والذين يدعونَهُم هم الذين يحكونَ عنهم الفجور**} . ، وإن شاء الله آتيكم يوماً بـ (طبقات الشعراني وطبقات ود ضيف الله) ، هذا لم نتكبه نحن عنهم إنما هم الذين كتبوه عن أنفسهم وسطروه ، وهم الذين حكوهُ عن أنفسهم حتى تروا الفسق وتروا تعطيل الفرائض وتروا تعطيل عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ وتعطيل أحكام الشرع .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :{ **والذي يعتقدُ في الصالحِ ، والذي لا يعصي - مثل الخشبِ والحجرِ - أهونُ ممن يعتقدُ فيمن يُشاهدُ فسقُهُ وفسادُه ويشهدُ بهِ .** } .يعني الذي يعبد هذه الرموز التي لا تعصي الله أو يعبدون الصالحين الذين لا

يعصون الله شركه أهون وأخف ممن يعتقد في الفاسق الذي يُشاهد فسقه وكفره وزندقته ، مع أن هذا شرك وهذا شرك لكن الأول شركه أخف .

قال رَحِمَهُ الله : { **إذا تحققتَ أن الذين قاتلَهُم رسولُ الله ﷺ أصحُّ عقولاً وأخفُ شركاً من هؤلاء.** } ، وهذا عرفناه مما مضى مما ذكره الشيخ رَحِمَهُ الله.

قال رَحِمَهُ الله : { **فاعلمْ أن لهؤلاءِ شبهةٌ يورِدُونَهَا على ما ذكرنا ، وهي من أعظمِ شُبَهِهِمْ فأصغِ سمعكَ لجوابِها.** } ، هذا الكلام ذكره الشيخ رَحِمَهُ الله تمهيداً لذكر هذه الشبهة التي سنعرض لها إن شاء الله .

الشبهة الحادية عشرة

قال الشيخُ رحمه الله : { إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله – ﷺ – أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء . } .

الشرح :

وهذا عرّفناهُ مما مضى مما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالأدلة .

قال الشيخُ: { فاعلم أن لهؤلاء (شبهة) يوردونها على ما ذكرنا }

قوله (على ما ذكرنا) : الذي ذكره أن شرك الأولين كشرك المتأخرين ، فالشرك هو الشرك ، والذي حصل من أولئك حصل من هؤلاء ، وأن هؤلاء زادوا على أولئك من بعضِ الوجوه .

فبعضهم يريدُ أن يشغِّب على هذا ، فيوردُ شبهة يُريدُ بها أن يُطْفيء هذا الحق .

قال: { وهي من أعظم شبههم }.

هذه شبهة كبيرة كالثلاثة التي مضت والتي أشار إليهارَحِمَهُ ٱللَّهُ .

قال: { فأصغِ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله) } ، إذاً هذا نوعٌ من أنواع الكفر .

قال: { ويكذبون الرسول – ﷺ – } ، هذا نوعٌ ثان من أنواع الكفر .

قال: { وينكرون البعث } ، هذا نوعٌ ثالث من أنواع الكفر .

قال:{ ويكذبون القرآن } ، هذا نوعٌ رابعٌ من أنواع الكفر .

قال :{ ويجعلونه سحراً . } ، هذا نوعٌ خامس من أنواع الكفر ، فذكروا خمساً من المكفرات .

قالوا :{ ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصلي ، ونصوم . فكيف تجعلوننا مثل أولئك .}.

ومرجعُ هذه الشبهة : إلي الجهل بحقيقة الكفر والشرك وأسبابها ، وعدم التفريق بين الكافر الأصلي والكافر المرتد .

وملخص هذه الشبهة : أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ودخل بذلك في الإسلام وآمن بالقرآن ، وآمن بالبعث وصلى وصام فإنه لا يكون كافراً ولا مشركاً ، وإن فعلَ ما فعل وإن عبد غير الله عَزَّ وَجَلَّ والشيخ رَحِمَهُ اللهُ قد رد على هذه الشبهة بردود قوية وبردود مفحمة من وجوه ، وعدّد الوجوه لهذه الشبهة لعظمها عند أولئك .

وملخّص ردوده : أن أسباب الكفر متعدّدة و متنوعة ، فمن قام به ، سبب من أسباب الكفر كَفَرَ ، ولا يشترط أن تجتمع فيه جميع أسباب الكفر حتى يكفر ، فالإسلام له نواقض كنواقض الوضوء ، وهل يشترط في نواقض أن تجتمع في الشخص جميع نواقضه ؟ أم أن الوضوء ينتقض بناقض

واحد ؟ لا يشترط أن تجتمع جميع النواقض حتى نحكم على وضوءِ زيد بالانتقاض ، فالآن لو قال قائل : أنا توضأتُ وخرج مني ريح ، قلنا له بطل وضوؤك كما بطل وضوء فلان ، فقال : أتقوا الله ، ذاك الرجل أمنى وأمذى وخرج منه وديٌ وتبّول وتغوط ونام وأكل لحم جزور فكيف تسوون بيني وبينه ؟ ، نقول له : لا يشترط في نقض الوضوء أن تجتمع فيه جميع نواقضه ، فهذا المثال نفس ما قاله هذا الرجل صاحب هذه الشبهة ، نقول وإن تعددت في ذاك جميع النواقض فإن وضوءك ينتقض بناقض واحد ، فكذلك نواقض الإسلام ، الإسلام له نواقض فما يشترط في الخروج من الإسلام أن تجتمع في الشخص جميع النواقض ،فلو تلبّس بناقض واحد فهذا يكفي في خروجه من الإسلام ، كما أن من حصل منه ناقض واحد من نواقض الوضوء انتقض وضوؤهُ ،فكذلك من حصل منه ناقض واحد من نواقض الإسلام يكون قد انتقض إسلامهُ .

الوجوه التي رد بها الشيخ على هذه الشبهة :

قال : { فالجواب : أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله – ﷺ – في شيء وكذبه في شيء أنه كافر . } .

لو أن شخصاً قال : أنا أصدِّق الرسول ﷺ فيما جاء به من وجود الجنة لكن لا أصدقه في وجود النار هذا كافر ، من كذب النبي ﷺ في خبرٍ واحد هذا يكون كافراً يكون قد خرج من دائرة الإسلام قال الله : ﴿ وَمَن

أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٨ ، (الحق) هنا مفرد معرّف يفيد العموم ، يفيدُ عموم ما جاء به النبي ﷺ ، وهذه الآية دلت على أن من كذب بجميع الحق كفر ، ومن كذب ببعض الحق كفر ، لأن (الحق) مفرد معرّف يفيد العموم يدخل فيه جميع الحق فلا نقول لا يكفر حتى يكذب بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال : { فالجواب : أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله – ﷺ – في شيءٍ وكذبه في شيءٍ أنه كافر لم يدخل في الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه . } ،إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعض القرآن مثلاً قال : أنا أؤمن ببعض القرآن من سورة البقرة إلي سورة الكوثر وأما ما بقي فهذا ليس من القرآن هذا حكمه كافر ، لأن كذب بعض القرآن ، والدليل على أن من كذب بعض القرآن كافر قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٨ ، وبقية هذه السور من القرآن كلها من الحق ، ثم كذلك التكذيب ببعض السور أنها ليس من القرآن هذا تكذيب لقوله جل وعلا : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩، هذا مكذبٌ لهذه الآية وكذلك مكذب لقول

الله عَزَّ وَجَلَّ :﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾، و (آيات) جمعٌ مضاف ، والجمع المضاف يفيد العموم ،والمفرد المضاف يفيد العموم أيضا، قال الله عَزَّ وَجَلَّ :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الأعراف: ٣٧، فهؤلاء جمعوا بين أسباب الكفر التي منها التكذيب بآيات الله وعبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا نقول كذلك لا يكفر الشخص حتى يكذب بجميع آيات القرآن وسوره.

قال الشيخ : { كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة } ، الآن لو أن شخصاً أقرّ بالتوحيد قال : (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ، قلنا له ماذا تقول في الركن الثاني من أركان الإسلام ؟ فقال : الصلاة هذه ليست واجبة وليست من الإسلام فهذا كافر لأنه كذب الله في خبره وكذّب القرآن لأن الله جل وعلا فرض الصلاة على المسلمين في كتابه قال تعالى :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥ ، والآيات كثيرة في الأمر بإقامةِ الصلاة .

قال : { أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة } ، هذا قد أقر بالشهاتين وأقر بالصلاة ولكن قال : الزكاة هذه ليست من الإسلام ، هذا أيضاً كافر .

قال : { أو أقر بهذا كله وجحد الصوم ، أو أقر بهذا كله وجحد الحج . }

أقرّ بالتوحيد والصلاة والزكاة ، قال : (وجحد الصوم) ، قال : ليس في الإسلام صوم ، هذا كافر ، لأنه مكذب للقران قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣ .

قال : { أو أقر بهذا كله وجحد الحج . } ،أقرّ بالتوحيد والصلاة والزكاة والصوم وأنكر الحج ، هذا كافر مكذبٌ للقرآن ،قال الله عز وجل: ﴿ ...وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧.

قال : { ولما لم ينقدْ أناس في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - للحج ، أنزل الله في حقهم : ﴿ ...وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران .

والإنقياد هنا يراد به اعتقاد وجوب الحج ، وهو ما يُعرف عند العلماء بالالتزام : يعني أن تعتقد أنك مكلفٌ بهذا الشيء ، وأن هذا الشيء

واجبٌ عليك ، فهذه الآية فيمن أنكروا الحج ، الذي ينكر الحج كافر ، أما إن أقرّ بالحج ، يعني انقاد له يعني التزمه ، اعتقد فرضيته ،اعتقد وجوبه عليه ، ولكنه لم يحج كسلاً أو بخلاً بماله فهذا مسلم ،كما قال السلف : (ليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة)، فالصلاة من تركها كفر الكفر الأكبر في أصحَّ قولي العلماء ، فقد جاء في مسلم عن جابر رضي الله عنهما قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم : (يَقُولُ : إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ) .

وعند ابن ماجه وصححه الألباني من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) ، و (ترك) مفرد مضاف يفيد العموم ، يدخل في ذلك التارك لها كسلاً والتاركُ لها جحوداً والتارك لها تهاوناً ، والتاركُ لوقتٍ أو وقتين ، والتاركُ لها لسنة أو سنتين والتاركُ لعمره ، كلهم يكفرون بهذا .

قال : { ولما لم ينقدْ أناس في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – للحج ، أنزل الله في حقهم : ﴿ ...وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴾ آل عمران .

أخرج الإمام ابن جرير في تفسيره عن الضحاك في قوله : ﴿ ...وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴾ قال : " لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فقال : يا أيها الناس ، إن الله عز وجل

كتب عليكم الحج فحجوا ،فآمنت به ملة واحدة ، وهي من صدق النبي ﷺ وآمن به ، وكفرت به خمس ملل قالوا : لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نستقبله ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧ ، وأخرج أيضاً من حديث عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله ﷻ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ،" فقالت الملل :نحن مسلمون ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧ ، ، فحج المؤمنون ، وقعد الكافرون)، فالكفار قالوا أن الحج ليس بواجب فأنزل الله هذه الآية .

بيان كفر من أنكر شيئاً معلومًا من الدين بالضرورة

قال الشيخ : { **ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله** } ، أحد الناس أقر بالشهادتين وبالصلاة والصيام والزكاةِ وبالحجِّ ولكنه جحد البعث فهذا كافر ، من أنكر البعث كما يقول كثير من الناس : (ماهي إلا أرحامٌ تدفع وقبورٌ تبلعْ) ، هذا إنكار للبعث فمن أنكر البعث كفر ، وبعضهم يقولون : (أكلة وشربة وآخرها كوم من تراب) ، وهذا إنكار للبعث فمن أنكر البعث وجحد البعث كفر ، قال الله : ﴿

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الرعد: ٥ .

قال الشيخ : { فمن جحد بالبعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ
ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن
يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ **(النساء : ١٥٠-١٥١) }** .

وهذه الآية أتى بها الشيخُ مستدلاً بها على جميع ما سبق ، ما أتى بها ليستدل بها على أن من جحد البعث كفر ، ولا على أن من آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم كفر ، لا ، بل هذه الآية دليلٌ على جميع ما مضى .

من أنكر شيئاً من الفرائض هذا كافر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ ، فإما أن يكون كفرهُ يناقض الإيمان بالله ، و إما أن يكون كفرهُ يناقض الإيمان بالرسول ﷺ ، وإما أن يكون كفرهُ يناقض ما بعث الله به رسوله ﷺ

من القرآن ، قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ ﴾ ، إذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض ما جاء به الرسول ﷺ فهذا كفر بالرسول ﷺ ، لو أن شخصاً آمن ببعض ما جاء به الرسول ﷺ وكذبه في البعض الآخر لكان كافراً بالرسول ﷺ ، ولذلك من تابع الرسول ﷺ في الشهادتين والصلاة وكذّب الرسول ﷺ فيما صحّ عنه في فريضة الزكاة فهذا مكذبٌ للرسول ﷺ ، الذي يكذّب الرسول ﷺ في خبرٍ واحدٍ فهذا مكذبٌ للرسول ﷺ ، فمن لوازم شهادة أن محمداً رسول الله أن يُصّدق فيما أخبر ، (ما) موصولة بمعنى الذي تفيد العموم ، أن يُصّدق في جميع إخباره .

قال الشيخ : { فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً } .

تأمل قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ ، أصلها مبتدأ وخبر (أولئك الكافرون) ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ اسم إشارة ، وأسماء الإشارة من من المعارف ، و ﴿ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ هذا معرّف بـ(أل) ، هذه جملة معرفة الطرفين تفيد الحصر والقصر ، يعني أن الله جل وعلا حصر وقصر الكفر على هؤلاء لعظم ذنبهم ، كأنه قال : لا كافر إلا هؤلاء ، قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ وأتى

بضمير الفصل ﴿ هُمُ ﴾ للتوكيد ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ثم قال : ﴿ حَقّٗاۚ ﴾ ، ومع هذا نجد أن الكثير من المسلمين يرتابون ويشكّون في كفر اليهود وفي كفر النصارى وفي كفر من لم يؤمن بالنبي ﷺ ، ولم يدخل في دين الإسلام ، هؤلاء هم الكفار الأصليّون .

الكفار نوعان : (كفار أصليون وكفار مرتدون) :

الأول : االكفار الأصليون : هم الذين لم يدخلوا في الإسلام ، كاليهود والنصارى والمجوس ، والبوذيّين والشيوعيين والعلمانيين ، هؤلاء جميعاً كفار أصليّون لم يدخلوا الإسلام .

الثاني : الكفار المرتدون : الكافر المرتد هو الذي أسلم وحصل منه ناقض من نواقض الإسلام ، فوقعت منه ردة ، فهذا يخرج عن االإسلام .

فالارتداد : معناه الرجوع عن الدين.

جواب الشيخ على هذه الشبهة العظيمة

قال الشيخ رحمه الله : { **فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعضٍ وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، وأنه يستحق ما ذكر زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا** } .

الشرح :

وهذا رجل كان قد أرسل رسالة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر فيها شيئا من هذا ، واسم الرجل (أحمد عبدالكريم) ، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كتب و رد عليه في رسالة في المجلد (١٠ / ٦٣) من الدرر السنية

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ له : (فأول ما أنصحك به أنك تفكر هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك ﷺ ينهى عنه أهل مكة، أم شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه ؟ .) .

قال له : أنظر وفكر هل الشرك الذي عندكم هو عينُ الشرك الذي جاء النبيُّ ﷺ ينهى عنه أهل مكة أم شرك مكة نوعٌ آخر وأغلظ منه ؟ أم أن المشركين الأولين أغلظ شركاً منكم ، أم هذا الذي عندكم أغلظ ؟.

قال الشيخ : { **فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعضٍ وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، وأنه يستحق ما ذكر** } .

هذا عام يدخلُ في ذلك من آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم ، و يدخلُ في ذلك من آمن ببعض الفرائض وكفر ببعضها ، ولا يشترط في الكفر أن يُنكر الإنسان جميع الدين فلو آمن ببعضه وكفر ببعضه كفر ، قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ ، وقد يقول قائلٌ : هذه الآية في الإيمان بالله والرسل ، نقول له : والإيمان بالشرائع داخلٌ في الإيمان بالله وداخلٌ في الإيمان بالرسل ، فكيف تكون مؤمناً بالله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنت تكذب الله في أخباره وتجحد فرائضه التي ذكرها في كتابه وسنة رسوله ﷺ ؟ ، وكيف

تكون مؤمناً بالرسول ﷺ وأنت تكذِّب الرسول ﷺ في بعض أخباره ؟

فهذا كله يدخل في قوله :{من آمن ببعضٍ وكفر ببعض }

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : (لا يشترط في التكفير أن يكفر المكلف بجميع ما جاء به الرسول ، بل يكفي في الكفر والردة - والعياذ بالله - أن يأتي بما يوجب ذلك ولو في بعض الأصول ، وهذا ذكره الفقهاء من أهل كل مذهب).

قال : { زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا ويقال أيضًا: إذا كنت تقرّ أن من صدّق الرسول - ﷺ - في كل شيء وجحد وجوب الصّلاة } .

نقول لصاحب هذه الشبهة : نسألك عن حكم الإسلام في رجلٍ صدق الرسول - ﷺ - في كل شيءٍ ولكن قال أنا لا أصدقه في وجوب الصلاة هذا ما حكمه ؟ ، قال : الصلاة ليست واجبة ولا يجب على المسلمين أن يُصلوا ، هذا كافر لأنه كذب القرآن وكذب الرسول - ﷺ -.

قال :{ فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقرّ بكل شيء إلا البعث }.، لو أقرّ بكل شيءٍ وأنكر البعث ، قال : لا بعثَ ، هذا كافر قال تعالى :﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ التغابن: ٧.

قال : { **وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدَّق بذلك كله وهنا لا تختلف المذاهب فيه** } .

لو أن شخصاً آمن بكل شيٍ وجحد وجوب صوم رمضان فهذا كذلك كافر لأنه مكذبٌ للقرآن ومكذبٌ للسنة .

قال : { **وقد نطق به القرآن كما قدمنا** } ، والشيخُ هنا يُريدُ أن يستدل بقياس الأوْلى ، فتأمل كلامه.

قال : { **فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي - ﷺ - وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج** } ، لأن التوحيد هو الركن الأول (أشهدُ أن لا إله إلا الله) ، يعني : أشهدُ أنه لا معبود بحق إلا الله ، هذا التوحيد ، فالتوحيد هو أساسُ العمل ، ولذلك ما مِنْ نبيٍّ جاء إلا وأمر قومه أولاً بالتوحيد وقبل كل شيء ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٥، والنبيُّ ﷺ عندما أرسل معاذ إلى اليمن قال له : (: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله .. الحديث)، وفي رواية أخرى عند البخاري : (إِنَّكَ تَقْدَمُ

عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى ..)، فالتوحيد أول الفرائض وهو أول ركن .

قال : { **فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي - ﷺ - وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور؟ كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول - ﷺ -** } .

سألناهُم قلنا لهم : لو أن شخصاً عمل وصدق وآمن بكل ما جاء به الرسول ﷺ إلا أنه جحد الصلاة ما حكمه ؟ قالوا : هذا كافر ، لو آمن وصدق بجميع ما جاء به الرسول ﷺ إلا أنه جحد وكذب بالزكاة والصيام ، وفي كل مرة يكفرونه .

فالشيخُ يقول لهم : { **فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور؟ كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول - ﷺ - وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟!** } .

إنسان عمل بالإسلام كله وترك التوحيد (لا إله إلا الله) معناهُ : (لا معبود بحق إلا الله) ، قال : أنا لا أؤمن بـأنه (لا معبود بحق إلا الله) ،وأنا أعبد كل أحد، هذا كافر ، ف(لا إله إلا الله) ليس المراد منها الإقرار بها لفظاً فقط .

فلا إله إلا الله ، لا بد فيها من أمور وهي :

الأول : أن تعلم معناها نفياً وإثباتاً .

الثاني : أن تعتقد هذا المعنى الذي دلت عليه (لا معبود بحق إلا الله) .

الثالث : أن تتلفظ بها وتعمل بمقتضاها ، بمعنى أن تعبد الله وحده .

فـ (لا إله إلا الله) لا بد فيها من هذه الأمور ، أن تعلم معناها نفياً وإثباتاً، وأن تعتقد هذا المعنى الذي علمته (لا معبود بحق إلا الله) لا بد من اعتقاده ولا بد من أن يدخل في القلب أنه ليس هناك أحدٌ يستحق العبادة سوى الله ﷻ ،فلا بد أن يستقر هذا العلم في القلب بحيثُ لا يتطرق إليه شكٌ ، فما يكون عند الإنسان شك فيها ولا فيما دلت عليه ، فإذا علم معناها واعتقد هذا المعنى فإن الواجب عليه أن يتلفظ بها ويعمل بمقتضاها ، بمعنى أن يعبد الله ﷻ وحده ولا يجعل شيئاً من عبادته لغير الله ﷻ ، فالله جل وعلا ما أرادها لفظاً مجرداً ، ولكن أراد لفظها وأراد معناها ولذلك قال النبيُّ ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، وفي رواية : (حتى يشهدوا) ، يعني : إلا بحق لا إله إلا الله ، فلم يكتف النبيُّ ﷺ بمجرد قولهم (لا إله إلا الله) إذا لم يلتزموا بحقها معرفة لمعناها وهو وعملا بمقتضاها ، فليست لا إله إلا الله مجرد لفظ يقال باللسان، و قال النبيُّ ﷺ : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله فقد حرم دمه وماله) ، وقال النبيُّ ﷺ : (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) ، وهذه الأدلة كل دليل منها

يدلُّ على جزء من هذه الجزئيات التي ذكرناها ، فأدلةٌ جاءت آمرة بالتلفظ بها ، وأدلةٌ جاءت آمرة بالعمل بمقتضاها وباعتقاد هذا المعنى ، ولها شروطٌ وقيودٌ ثِقال ، **قال الشيخُ حافظ الحكمي :**

فإن معناها الذي عليه ... دلت يقينا وهدت إليه

أن ليس بالحق إله يعبد ... إلا الإله الواحد المنفرد

بالخلق والرزق وبالتدبير ... جل عن الشريك والنظير

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا وردت

فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما اقول

والصدق والإخلاص والمحبه ... وفقك الله لما احبه

فالشيخ يُبطل هذه الشبهة بقياس الأوْلى .

قوله : { وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل!}.

يعني فإن كان من التزم بجميع الشرائع وترك الصلاة هذا كافر ، التزم بجميع الشرائع وترك الصوم هذا كافر ، التزم بجميع الشرائع وترك الحج هذا كافر ، فمن باب أولى أن من التزم بجميع الشرائع وترك الشهادة التي هي الركن الأول من أركان الإسلام هذا كافر من باب أولى .

قال الشيخُ رحمه الله : { ويقالُ : أيضاً هؤلاء أصحابُ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي ﷺ ، وهم يشهدونَ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، ويؤذنونَ ، ويصلونَ . } .

بنوا حنيفة هؤلاء من المرتدين وكما هو معلوم أن الكثير من أحياء العرب قد ارتدوا بعد موت النبيِّ ﷺ .

فالذين ارتدوا بعد موت النبيّ ﷺ أقسام :

١ ـ منهم من إرتد ورجع عن الإسلام بالكلية ورجع إلى دين الجاهلية ، فهؤلاء لا شك في كفرهم .

٢ ـ منهم من زعم أنه على الإسلام لكنه آمن بمسيلمة الكذاب وأنه رسول وهؤلاء هم بنو حنيفة الذين عناهم الشيخ وقصدهم هنا .

٣ ـ ومن المرتدين من أنكروا وجوب الزكاة ، وكانوا متمسكّين بالشرائع إلا أنهم أنكروا وجوب الزكاة ، قالوا : الزكاة هذه كانت واجبة في زمن النبي ﷺ فقط لقول الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣، قالوا هذا انتهى بموت النبي ﷺ ، ولا شك في كفر هؤلاء الطوائف الثلاث .

الصنف الأول الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية فهؤلاء لا شك في كفرهم ، كذلك من آمنوا بجميع ما جاء به الرسول ﷺ إلا أنهم اعتقدوا أن مسيلمة رسول ، هؤلاء كفار لأنهم كذبوا القرآن الله ﷻ يقول : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠ ، فكيف تكون مؤمناً بالقرآن ومؤمناً بما جاء به الرسول ﷺ وأنت تقرأ هذه الآية وتعتقد أن مسيلمة رسول ؟ .

٤ـ ومنهم كذلك من تابع طُليحة الأسدي الذي زعم أنه رسول ، تابع طليحة مع إيمانه بجميع الشعائر .

٥ـ ومنهم من تابع (سجاح) الكاهنة اليمامية كذلك اعتقدوا أنها مرسلة .

فهؤلاء جميعاً آمنوا بجميع الشعائر ثم منهم من صدق مسيلمة في ادعائهِ النبوة ، و منهم من صدق طُليحة الأسدي في ادعائهِ النبوة ، و منهم من صدق (سجاح) الكاهنة اليمامية في ادعائها النبوة .

ومن أقسام المرتدين من كان مؤمناً بجميع الشعائر مؤدياً لها مصدقاً للنبيِّ ﷺ في كل شيءٍ إلا أنه أنكر وجوب الزكاة .

فالشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا ذكر بني حنيفة لاشتهار أمرهم ، فحتى العوام يعرفون أن بني حنيفة هم من تابوا مسيلمة الذي كان منهم وتابعوه في ادعائه النبوة .

قال: { ويقالُ : أيضاً هؤلاء أصحابُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلوا بني حنيفة.}

. بنوا حنيفة أسلموا مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال: { ويقالُ : وهم يشهدونَ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، ويؤذنونَ ، ويصلونَ ، فإن قالَ : إنهمْ يقولونَ : إن مسيلمة نبيٌّ } .

إذا قالوا : هؤلاء ليسوا من أهل الإسلام ، نسألهم ، لم لم يكونوا من أهل الإسلام ؟ قالوا : هؤلاء يعتقدون أن مسيلمة نبي ، نقول لهم : لم تجتمع فيهم جميع أسباب الردة ، إذا أنتم كفرتم هؤلاء بإثبات نبوة أحد الناس بعد النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقلتم هذا ناقض من نواقض الإسلام ، فمن جاء بناقضٍ واحدٍ من نواقض الإسلام فهو كافر، ومن آمن بنبيٍّ بعد النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافر .

وكل من من بعده قد ادعى ... نبوة فكاذب فيما ادعى

فهو ختام الرسل باتفاق ... وأفضل الخلق على الإطلاق

قال الشيخ : { قلنا : هذا هو المطلوبُ } ، يعني كأن الشيخُ حفر لهم حفرة وجاءوا وسقطوا فيها على أم رؤوسهم ، تأملوا هؤلاء لما جعلوا مسيلمة رسولاً ما حقيقة هذا الفعل ؟

قال الشيخ : { **فإذا كان من رفعَ رجلاً إلى رتبةِ النبيِ ﷺ كفرَ ، وحلَ مالُه ودمُه ، ولم تنفعه الشهادَتانِ ، ولا الصلاةُ ، فكيفَ بمن رفعَ شمسانَ أو يوسفَ ، أو صحابياً ، أو نبياً ، إلى مرتبة جبارِ السمواتِ والأرضِ ؟!** } .

هذا كافر من باب أولى ، إذا كان أنت جعلت بشراً مثل مسيلمة في مرتبة النبي ﷺ الذي هو بشر إلا أنه رسول جعلته في مرتبة الرسول ﷺ فاعتقدت فيه ما يُعتقد في الرسول ﷺ بأنه يُصدّق ويُطاع ويُتبّعْ ، ويُعبَد الله ﷻ على طريقته تكون كافراً ، فكيف بمن رفع أحد الأولياء أو أحد الأنبياء إلى رتبة جبار السموات والأرض ؟ فاعتقد أن هذا الولي يُعبد ، وأن هذا الولي يصلح أن يُتعلّق به وأن يُطلب منه أن يجلب المنافع وأن يدفع المضار ؟ فالذي رفع البشر إلى مرتبة خالق البشر هذا أعظمُ كفراً من الذي رفع البشر إلى مرتبة نبي .

قال : { **فكيفَ بمن رفعَ شمسانَ أو يوسفَ ، أو صحابياً ، أو نبياً ، إلى مرتبة جبارِ السمواتِ والأرضِ ؟!** } .

وشمسان ويوسف من الأولياء المزعزمين أيضاً في جزيرة العرب في زمن الشيخ ممن كان الناس يتعلقّون بهم فيدعونهم ويستعينون بهم ويستغيثون بهم ويحلفون بهم ، ويطلبون منهم ما لا يُطلب إلا من الله ، كالمكاشفي والبرعي وأبو شراء والصايم ديمه عندنا هنا في السودان .

قال الشيخ : { سبحان الله ما أعظمَ شأنَهُ ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٩ ﴾ [الروم : ٥٩] } ، فسبحان الله كيف عمي هؤلاء عن هذه الأمور الواضحة البيّنة .

إجماع الصحابة على تكفير وقتل من اعتقد ألوهية علي مع ادعائه الإسلام

و من الوجوه التي ذكرها الشيخ والتي دحض وكسر بها هذه الشبهة التي يتعلق بها الكثير من هؤلاء .

قال الشيخُ : { ويقالُ أيضاً } ، وهذا وجهٌ آخر يُردُ به على هذه الشبهة التي يُذيعها وينشرها الخرافيّون .

قال الشيخُ : { **ويقالُ أيضاً : الذين حرقهُمْ عليُ بن أبي طالبٍ بالنار ، كلُهم يدَّعون الإسلامَ ، وهم من أصحابِ عليٍ رضي الله عنه ، وتعلموا العلمَ من الصحابةِ ، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثلَ الاعتقادِ في يوسفَ وشمسانَ وأمثالهما ، فكيفَ أجمعَ الصحابةُ على قتلِهم وكفرِهم ؟** } .

ما ذكره الشيخُ هنا يُشير به إلى ما حصل من بعض الغلاة الذين غلوا في عليٍّ رضي الله عنه وادعوا له الألوهية والربوبية وكان موقفه منهم حاسماً .

فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح : (عن عبد الله بن شريك العامري، عن أبيه قال: قيل لعلي: إنَّ هنا قوماً على باب المسجد يدَّعون أنَّك ربُّهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟! قالوا: أنت ربُّنا

وخالقُنا ورازقنا! فقال: ويلكم! إنَّما أنا عبدٌ مثلُكم، آكلُ الطعامَ كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعتُ اللهَ أثابَنِي إن شاء، وإن عصيتُه خشيتُ أن يُعذِّبَني، فاتَّقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلمَّا كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر فقال: قد ـ والله! ـ رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخِلهم، فقالوا كذلك) ، يعني قالوا لعلي رضي الله عنه نحو ما قالوه له سابقاً .

قال الحافظ : (فلمَّا كان الثالث) ، يعني أن علياً رضي الله عنه كان يستتيبهم .

قال الحافظ : (فلمَّا كان الثالث قال: لئن قلتُم ذلك لأقتلنَّكم بأخبث قتلة، فأبوا إلاَّ ذلك، فقال: يا قنبر! ائتني بفعلة معهم مرورهم، فخدَّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: إنِّي طارحُكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها حتى إذا احترقوا قال:

إنِّي إذا رأيت أمرا منكراً أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرا)

فهذه تفاصيلُ ما جاء في البخاري عن عكرمة رضي الله عنه قال : (أَنَّ عَلِيًّا أُتِيَ بِقَوْمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَة وَمَعَهُمْ كُتُبٌ ، فَأَمَرَ بِنَارٍ فَأُجِّجَتْ ثُمَّ أَحْرَقَهُمْ وَكُتُبَهُمْ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَمْ أَكُنْ لِأُحْرِقَهُمْ بِالنَّارِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ» ، وَكُنْتُ قَاتِلَهُمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ») ، هذا الحديث أخرجه البخاري في « استتابة المرتدين والمعاندين ».

قال الشيخُ : { ويقالُ أيضاً : الذين حرقهُمْ عليُ بن أبي طالبٍ بالنار ، كلُهم يدَّعون الإسلامَ ، وهم من أصحابِ علي رضي الله عنه ، وتعلموا العلمَ من الصحابةِ ، ولكن اعتقدوا في عليِّ مثلَ الاعتقادِ في يوسفَ وشمسانَ وأمثالهما } .

ما الفرق بين من يقول لرجلٍ : أنت ربي وأنت إلهي ثم يأخذ في عبادته وفي الاعتماد عليه في جلب منافعه ودفع مضاره ، وآخر يعتقد نفس هذه العقيدة في ولي فيعتقد أن الولي يخلق وأن الوليَّ يرزق وأنه يُحيي وأنه يُميت ، وأن الولي يقلب الأنثى ذكراً ، وربما أنه قلب العود بشراً ، وأنه يُنزلُ المطر ، وأنه فعّالٌ لما يُريد ، وأنه ينسب إليه الكثير من أفعال سبحانه وتعالى ، وكذلك يتقرّبون إليه بأنواعٍ من العبادات ، فمن فعل هذا فإنه يكفر، فهذا اعتقد الألوهية في غير الله عز وجل واعتقد الربوبية في غير الله سبحانه وتعالى ، وليس من شرط ذلك أن يصرّح ، بل ربما يكون العمل أبلغ من الكلام وأبلغ من القول ، فهؤلاء الذين حرقهم علي رضي الله عنه كفروا ، وما خالف أحدٌ من الصحابة عليّاً رضي الله عنه في كفرهم ، ولا في ردتهم ولا في قتلهم إلا ما كان من ابن عباسٍ رضي الله عنه من خلاف في طريقة قتلهم فإنه رأى أنه يُقتلوا واستدل بالحديث : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » ، لكن خالف في طريقة قتلهم

، وجاء (أن علياً قتَلَهُم ثم ألقى بهم في النار)، فهذه أيضاً من الحجج أن الردة تحصل وأن المسلم قد يرتد عن دينه ويُقتل ردةً وهذا بإجماع الصحابة رضي الله عنهم .

قال : { فكيفَ أجمعَ الصحابةُ على قتلِهم وكفرِهم ؟ أتظنونَ أن الصحابةَ يكفرونَ المسلمينَ ؟ } ، نسألهم : هل يجرؤ أحد على وصف الصحابة بهذا ؟ أنهم يكفرون المسلمين ؟

فلهم جوابان

الأول : أن يقولوا أن الصحابة يكفرون المسلمين ، على اعتبار أن هؤلاء من المسلمين ، وكفرهم الصحابة بغير حقٍّ وقتلوهم بغير حقٍّ.

الثاني :أن يعترفوا بأن المسلم قد يرتد وقد يكفر بعد إسلامه إذا قام به سببٌ من أسباب الكفر ومن أسباب الردة .

نقول لهم : هؤلاء الصحابة وعلى رأسهم علي رضي الله عنه كفرّوا هؤلاء وأجمعوا على كفرهم وعلى ردتهم وعلى قتلهم فهل أخطأ الصحابة رضي الله عنهم في هذا ؟ .

إما أن تقولوا : إن الصحابة رضي الله عنهم أخطأوا في هذا ، وإما أن تعترفوا بأن المسلم قد يقع في مكفّرٍ من المكفرات فيخرج به عن الدين ويرتد ويُصبح حلال الدم .

قال : { أتظنونَ أن الصحابةَ يكفرونَ المسلمينَ ؟ ، أم تظنونَ أن الاعتقادَ في تاجٍ وأمثالِه لا يضرُّ ، والاعتقادَ في عليٍ بن أبي طالبٍ يُكَفِّرُ ؟ } .

هؤلاء لما اعتقدوا في علي بن أبي طالب أنه الرب يعني أنه المالك لجلب المنافع ودفع المضار ، وأنه الذي يتصرّف فيهم منعاً ومنحاً ، وأنه يستحق أن يُدعى ، وأن يُستعان به ويُستغاث به وذلك لعظيم منزلته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فهذا اعتقاد أؤلئك في علي وهو نفس اعتقاد هؤلاء في الأولياء ، يعتقدون فيهم أنهم يتصرفون في الكون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وأنهم يستحقون أن يُدْعوا ، وأن يُستعان بهم وأن يُستغاثُ بهم ، وأن يُنذَرْ لهم ويُطاف بقبورهم ، وأن يُطلب منهم ما لا يُطلب إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فالاعتقاد هو نفس الاعتقاد ، فهل الاعتقاد في عليٍّ يكون سبباً لكفر صاحبه ولردته ولخروجه عن الدين ولاستحلال دمه وماله ، والاعتقاد في أوليائكم هؤلاء لا يضر ؟ .

إذا كان من عبد علياً ومن عتقد في عليٍّ يعتبر كافراً ، فمن باب أولى كفر الذي يعتقد فيمن هو دونه منزلةً ، هذا كلامه رحمه الله وهذه حُجج قوية وحجج ظاهرة ، وهذا دليلٌ على رسوخِ الشيخ في العلم .

الحكم بالكفر على العُبيديين مع إظهارهم الإسلام ، لفعلهم ما يناقضه بإجماع العلماء

قال الشيخُ : { ويقالُ : أيضاً : بنو عبيد القداحِ الذي ملكوا المغربَ ومصرَ في زمانِ بني العباسِ ، كلُّهم يشهدونَ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ويدّعونَ الإسلامَ ويصلونَ الجمعةَ والجماعةَ . فلما اظهروا مخالفةَ الشريعةِ في أشياءَ دون ما نحنُ فيهِ ، أجمعَ العلماءُ على كفرِهمْ وقتالِهم ، وأن بلادَهم بلادُ حربٍ ، وغزاهُمُ المسلمونَ حتى استنقذوا ما بأيديهمْ من بلدانِ المسلمينَ . }

الشرح :

وهؤلاء العبيديّون باطنية فكانوا يُبطنون الكفر ويُظهرون الإسلام ، وسمّوا أنفسهم بالفاطميين نسبة إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ومرادهم من هذا أن يخدعوا المسلمين كما هو حال الشيعة ، فالشيعة الآن يدّعون أنهم يحبون أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وسلم وينتسبون لأهل البيت وهذا من الكذب على المسلمين ، وكذلك هؤلاء سمّوا أنفسهم بالفاطميين انتساباً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وهم لا علاقة لهم بفاطمة ولا بآل البيت .

قال العلامة ابن خلكان : في (وفيّات الأعيان) : (والجمهور على عدم صحة نسبهم، وأنهم كذبة أدعياء، لا حظ لهم في النسبة المحمدية أصلاً.).

وقال الذهبي في (العبر في خبر من غبر) : (المهدي عبيد الله، والد الخلفاء الباطنية العبيدية المقبري، المدعي. أنه من ولد جعفر الصادق، وكان بسلمية من بلاد الشام، فبعث دعاته إلى اليمن والمغرب، وحاصل الأمر أنه استولى على مملكة المغرب، وامتدت دولته بضعاً وعشرين سنة، ومات بالمهدية التي بناها، وكان يظهر الرفض ويبطن الزندقة).

وقال أبو الحسن القابسي صاحب " الملخص " : (الذي قتله عبيد الله وبنوه بعده أربعة آلاف رجل في دار النحر في العذاب، ما بين عالم وعابد ليردّهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت، ومن ذلك قول بعضهم في قصيدة:

وأحل دار النحر في إعلاله ... من كان ذا تقوى وذا صلوات

فهم كذبة فالمؤسس لدولتهم هذه اسمه سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح ، فالمؤسس لهذا سمّى نفسه بعبيدالله ولقّب نفسه بالمهدي ،وهم من أعظم الفرق المنتسبة للإسلام كفراً ، زنادقة لا علاقة لهم بالإسلام ولا بالدين ، كما قال عنهم السيوطي في « تاريخ الخلفاء » قال : (وناهيك بهم إفساداً وكفراً وقتلاً للعلماء وللصلحاء) .

هؤلاء من أمرهم أن غزوا الكعبة وقتلوا المسلمين أيما تقتيل في بيت الله ، وهم الذين اقتعلوا الحجر الأسود وأخذوه عندهم ، وهم لا يتمسكون بذرة من الدين كما قال الشاطبي في الإعتصام حاكياً عنهم : (وزعمت أن

الأحكام الشرعية إنما هي خاصة بالعوام ، وأما الخواص منهم فقد ترقّوا عن تلك المرتبة ، فالنساء بإطلاق حلال لهم ، كما أن جميع ما في الكون من رطب ويابس حلال لهم أيضاً ، مستدلين على ذلك بخرافات عجائز لا يرضاها ذو عقل : "قاتلهم الله أنى يؤفكون" فصاروا أضر على الدين من متبوعهم إبليس لعنهم الله) .

وهذا عينُ ما يدعّيه غلاة الصوفية ، في الأحكام الشرعية فعندهم أن هذه الأحكام خاصة بالعوام ، والواجب أن يعمل بها العوام .

أما الخواص الذين ترّقوا وبلغوا منزلة عندالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فهذه الأحكام لا تخصّهم ، ولذلك قال الشاطبي : **(وأما الخواص منهم فقد ترقّوا عن تلك المرتبة ، فالنساء بإطلاقٍ حلالٌ لهم)** ، يعني أن الإنسان يجوز له أن يأتي أمهُ عياذاً بالله ، وأن يأتي أخته وخالته وعمته ، وأن يأتي ما شاء من النساء .

قال الشاطبي : (فالنساء بإطلاق حلال لهم ، كما أن جميع ما في الكون من رطب ويابس حلال لهم أيضاً ، "قاتلهم الله أنى يؤفكون" فصاروا أضر على الدين من متبوعهم إبليس لعنهم الله) ، يعني ليس من حرامٍ عليهم فكل شيءٍ حلالٌ عندهم ، فهؤلاء ليسوا على الدين ولا على الإسلام .

قال الشاطبي : (مستدلين على ذلك بخرافات عجائز لا يرضاها ذو عقل) ،كما هو الحال عند الشيعة وعند المتصوفة ، فهؤلاء الفاطميون كفار ، وأجمع علماء الإسلام على كفرهم وردتهم ، وأنهم لا علاقة لهم بالدين ،

ولا بالإسلام ، بل هم مجوس ، فسعيد هذا في أصله مجوسي ، فهؤلاء بنو عُبيد القدّاح الذين ملكوا المغرب كانوا يُظهِرون الإسلام يقولون : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ، ومع ذلك .

قال الشيخ : { أجمعَ العلماءُ على كفرِهمْ وقتالِهم ، وأن بلادَهم بلادُ حربٍ ، وغزاهُمُ المسلمونَ حتى استنقذوا ما بأيديهمْ من بلدانِ المسلمينَ . } .

كذلك نقول : هؤلاء العلماء الذين أجمعوا على ردة هؤلاء وعلى كفرهم ، وعلى استباحة أموالهم ودمائهم ، هل هؤلاء كفروا المسلمين أم أن العبيديين قامت بهم أسباب الردة ؟لا شك أنهم قامت بهم أسباب الردة .

أحكام الشريعة في المرتدين الخارجين عن الدين

قال الشيخُ : { ويقال أيضاً: إذا كان الأوَّلون لم يكفَّروا إلا لأَنَّهم جمعوا بين الشِّرك وتكذيب الرَّسول ؟ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كلِّ مذهبٍ؟ "باب حكم المرتَدِّ" } .

الشرح :

إذا كان الإنسان لا يكفر حتى تجتمع فيه المكفرات كلها قال : { فما معنى هذا الباب الذي ذكر العلماء في كلِّ مذهبٍ؟ "باب حكم المرتَدِّ" } ؟ ، من المرتد هذا ؟ ، وهل قال أحد العلماء إن الإنسان لا يخرج عن الإسلام

ولا يُحكم بردته حتى تجتمع فيه أسباب الكفر ؟ ، إئتونا بعالمٍ واحدٍ نصّ على هذا ، وهذه كتب الفقه بين أيديكم .

قال الشيخُ : { فما معنى هذا الباب الذي ذكر العلماء في كلِّ مذهبٍ؟ **"باب حكم المرتَدِّ" ، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كلَّ نوع منها يكفِّر، ويُحِلُّ دم الرجل وماله، حتى إِنَّهم ذكروا أشياء يسيرةً عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانِه دون قلبه، أو كلمةٍ يذكرها على وجه المزْحِ واللَّعِب.}** .

الشرح :

حتى الأحناف قالوا : من قال للمسجد مُسيجد هذا كافر ، لما في ذلك من التنّقص أو من الاستهزاء بالشعائر ، فالشيخ يقول : (ذكروا في تلك الأبواب أشياء دونها نحن فيه ، فما المكفرات ؟ ، فلوا تكلم الإنسان بكلمة واحدة مازحاً أو مستهزءاً أو هازلاً فإنه يكفر بهذه الكلمة .

قال الشيخُ : { ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ التوبة: ٧٤ }،

وهذا أيضا من أدلة الردة .

قال الشيخُ : {أَما سمعت الله كفَّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله؟ ، وهم يجاهدون معه ويصلُّون معه ويزكُّون ويحجُّون ويوحِّدُون؟ } .

ما جوابهم عن هذه الكلمة ؟ ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ ، فهؤلاء لم تجتمع فيهم جميع المكفرات ، قالوا كلمة وكفروا بها .

وجاء في التفسير : أن المراد بذلك كلمة عبدالله بن أُبي : ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ ﴿٨﴾ ﴾ المنافقون: ٨ ، وبعضهم قال : كلمة الجلاّس بن سويد قبل توبته قال: (إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير) ، ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ ﴾ ، فهذا دليلٌ على أن الإنسان يقول الكلمة فيكفربها ، فالله كفرهم بكلمة فهل هؤلاء اجتمعت فيهم جميع أسباب الردة؟ أتظنون أو تقولون : أن الله يكفر المسلمين ؟ الله المستعان .

قال الشيخُ : { وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾ التوبة: ٦٥ – ٦٦ } .

هؤلاء الذين تكلموا في الصحابة قالوا في إحدى الغزوات: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، وأكذب ألسناً، وأجبن عند اللّقاء)، قالوا هذه الكلمات على وجه المزاح فالله عَزَّوَجَلَّ قال : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾، خوض ولعب بالدين ، فقال الله : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ ، هل هؤلاء اجتمعت فيهم جميع المكفرات أو جميع النواقض ؟ الجواب : لا ، قالوا كلمة واحدة (ما نرى مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، وأكذب ألسناً، وأجبن عند اللّقاء)،فكُفِّروا بهذا .

قال الشيخُ : { هؤلاء الَّذين صرَّح الله أَنَّهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ ؟ في غزوة تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أَنَّهم قالوها على وجه المزْح ، فتأمَّل هذه الشُّبهة، وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أُناساً يشهدون أَنْ لا إله إلاَّ الله ، ويصلُّون ويصومون ، ثمَّ تأمَّل جوابها، فإِنَّه من أنفع ما في هذه الأوراق } .

وبذا تكون هذه الشبهة قد زالت ، وإن كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسترسل ويذكر كذلك بعض الوجوه وفيها اعتراض ويذكر الاعتراض ويرد على الاعتراض .

قال الشيخ : { ومن الدليلِ على ذلكَ أيضاً : ما حكى الله عن بني إسرائيلَ مع إسلامِهِم وعلمِهم ، وصلاحِهم أنهم قالوا لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] وقول أناسٍ من الصحابةِ : (اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ فحلفَ رسول الله ﷺ أن هذا مثلُ قولِ بني إسرائيلَ ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا ﴾ . } .

الشرح :

قوله : { ومن الدليلِ على ذلكَ أيضاً } ، يعني : ومن الدليل على أن الإنسان قد يكفر بالكلمة الواحدة ، وقد يكفر بالمكفر الواحد ، ولا يشترط أن تجتمع فيه جميع المكفرات أو جميع النواقض أو جميع أسباب الكفر حتى يكفر .

وهذا آخر دليل ذكره الشيخ رحمه الله في كشف هذه الشبهة .

قوله : { ومن الدليلِ على ذلكَ أيضاً : ما حكى الله عن بني إسرائيلَ مع إسلامِهِم وعلمِهم ، وصلاحِهم } .

وهذا بالنسبة إلى غيرهم من أهل زمانهم فكانوا أهل علمٍ وأهل صلاح .

قوله : { أنهم قالوا لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] } ، فبنو إسرائيل الذين نجاهم الله جل وعلا مع موسى ، وأهلك الله جل وعلا عدوهم وهم يرون ذلك ويشاهدونه بأعينهم ، لما

تجاوزوا البحر كما قال الله ﷻ : ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ... ﴾ الأعراف: ١٣٨، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة يعبدونها مع الله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله: ((فأول تلاعب الشيطان بهذه الأمة في حياة نبيها وقرب العهد بإنجائهم من فرعون وإغراقه وإغراق قومه فلما جاوزوا البحر رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم فقالوا : ﴿ ...يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ... ﴾ فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ ...إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ ﴾ الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩ ، فأي جهل فوق هذا والعهد قريب وإهلاك المشركين أمامهم بمرأى من عيونهم فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً فطلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلهاً مخلوقاً وكيف يكون الإله مجعولاً فإن الإله هو الجاعل لكل ما سواه والمجعول مربوب مصنوع فيستحيل أن يكون إلهاً ، وما أكثر الخلف لهؤلاء في اتخاذ إله مجعول فكل من اتخذ إلها غير الله فقد اتخذ إلها مجعولاً وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان في بعض غزواته فمروا بشجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم وشاراتهم وثيابهم يسمونها ذات أنواط فقال بعضهم : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات

أنواط فقال : الله أكبر قلتم كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ... ﴾ ثم قال لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة)).

فتأمل في كلام ابن القيم رحمه الله الذي أراد أن يُبيّن لك حقيقة الطلب ، قال : (فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً فطلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلهاً مخلوقاً وكيف يكون الإله مجعولاً فإن الإله هو الجاعل لكل ما سواه والمجعول مربوب مصنوع فيستحيل أن يكون إلهاً) ، إذا كان هذا قد حصل في بني إسرائيل فلا شك أنه سيحصل في هذه الأمة ، فيتخذون آلهة مخلوقة مجعولة ، يعني : نصّبها بعض الناس لتكون آلهة تُعبد من دون الله سبحانه وتعالى .

قال ابن القيم : (وما أكثر الخلف لهؤلاء في اتخاذ إله مجعول) ، بنوا إسرائيل هؤلاء لهم خلفٌ يرثون عنهم هذا الباطل ولابد .

قال ابن القيم : (وما أكثر الخلف لهؤلاء في اتخاذ إله مجعول ، فكل من اتخذ إلها غير الله فقد اتخذ إلها مجعولاً) ، إذاً مقولة بنوا إسرائيل هذه ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ ، هذه المقالة كفرٌ بلا شك ولا ريب ، وهي من الكفر الأكبر قالوا : ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ ، ولا شك أن بني إسرائيل الذين هم مع موسى عليه السلام أنهم يعلمون معنى (لا إله

إلا الله) ، ومن شروط قبول هذه الكلمة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ومن شروط صحتها العلم ، لكن ما القدر الواجب من العلم الذي تصحُّ وتقبل به هذه الكلمة ؟

فالقدر من العلم هو العلم الإجمالي ، وهو أن تعلم أن (لا إله إلا الله) معناها : (لا معبود بحقٍّ إلا الله)، أن تعلم هذاإجمالاً فتعلم ما أثبتتهُ هذه الكلمة ، وأن تعلم إجمالاً ما نفتهُ هذه الكلمة من أفراد وأنواع الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

ولا يلزم أن يكون كل من تكلم بها ودخل بها في الإسلام عالماً بها على جهة التفصيل بجميع ما تُثبتهُ ،و أن يكون عالماً على جهة التفصيل بجميع ما نفتهُ هذه الكلمة ، لأن بعض الناس يعتقدون هذا ولذلك يكفرّون من واقع شيئاً من الشرك ، ربما جادلك بعضهم في هذا ، يقول لك : أليس من شروط قبول هذه الكلمة ، ومن شروط صحتها العلم ؟ نقول : نعم ، لكن ما المراد بالعلم هنا ؟هل المراد أن تعلم معناها إجمالاً ؟ ، أو أن تعلم معناها تفصيلاً ؟ ، بمعنى : أن تعلم جميع ما أثبتتهُ هذه الكلمة ، وأن تعلم جميع ما نفتهُ ؟

المراد الأول ، أن تعلم معناها إجمالاً .

وقد يخفى كما سيأتينا ، قد يخفى على العالم فضلاً عن غيره بعض الأفراد التي نفتها هذه الكلمة فيكون جاهلاً بها ، فهل هذا يعني أن شهادته هذه

منقوضة لأنها فقدت شرطاً من شروط قبولها أو من شروط صحتها ؟

الجواب : لا .

فبنوا إسرائيل هؤلاء كانوا يعلمون ولابد معناها على جهة الإجمال بأنه لا معبود بحق إلا الله ، لكن خفيت عليهم هذه الصورة ، وما ظنوا ان هذه الصورة من جملة ما نفته (لا إله إلا الله) .

قال الشيخ : { ومن الدليلِ على ذلكَ أيضاً : ما حكى الله عن بنيّ إسرائيلَ مع إسلامِهِم وعلمِهِم } ،يدخل في ذلك أصالةُ العلم بـ (لا إله إلا الله) .

قال الشيخ : { وصلاحِهِم أنهم قالوا لموسى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ } .

هؤلاء أتباع نبي من الأنبياء ، ومن الملازمين لهذا النبي الكريم الكليم ، ولا شك ولا ريب أن كل نبيٍّ جاء ودعا قومه أول ما دعاهم إلي : (لا إله إلا الله) ، قال الله ﷻ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنبياء: ٢٥ ، ومع هذا لم يكفرهم موسى عليه السلام لجهلهم قال : ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : (أي: تجهلون عظمة الله وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل.).

هل بنوا إسرائيل هؤلاء كانوا ممن نشأوا ببادية بعيدة ؟ لا ، هل كانوا حدثاءُ عهدٍ بإسلام ؟ لا ، ومع أنهم أصحاب وأتباع نبي فقد عذرهم هذا النبيّ الذي تعلمون غيرته على دين الله وعلى شريعة الله عز وجل قال : ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ، فلم يكفرهم صلوات الله وسلامه عليه .

والشيخُ محمد بن عبد الوهاب جاء بهذا الدليل يستدل به على أن الإنسان قد يكفر ، وقد يكون كفرهُ بالقول ، فذكر ما حصل من بني إسرائيل مع موسى ، وما حصل من مسلمة الفتح مع النبيِّ ﷺ .

قوله : { وقول أناسٍ من الصحابةِ : (اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ) فحلفَ رسول الله ﷺ أن هذا مثلُ قولِ بني إسرائيلَ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾. } .

يعني : أن طلبهم هذا نظير قول بني إسرائيل لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ .

قوله : { أن هذا مثلُ قولِ بني إسرائيلَ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾. } ، ولا شك أن طلبهم هذا أيضاً من الكفر الأكبر .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - (وجه الشبه بين المقالتين فقال: " شبّه -أي النبي ﷺ - مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل ، بجامع أن كلاًّ طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله ، وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد ، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة) .

يعني : وجه الشبه الجامع بين مسلمة الفتح وبني إسرائيل أن كلاًّ من الطائفتين طلب أن يجعل له ما يأله ويعبده من دون الله وهو تأليه غير الله واتخاذ إله مع الله .

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله في حاشيته على كتاب التوحيد – وهو يشرح معنى قولهم : ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ قال : (أي اجعل لنا مثالا نعبده كما لهم آلهة، ولم يكن ذلك شكا منهم في وحدانية الله تعالى، وإنما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه، ونتقرب به إلى الله. وشبه صلى الله عليه وسلم مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل، بجامع أن كلاً طلب أن يجعل له ما يأله ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد ، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة، فدل على أن التبرك بالأشجار والأحجار شرك أكبر، لتسويته ﷺ بين مقالتهم ومقالة بني إسرائيل، وحلف ﷺ على ذلك وإن لم يستحلف مزيد تحذير وكمال شفقة، وتأكيدا لهذا الخبر وتعظيماً له، فإن التبرك بالأشجار والأحجار يجعلها آلهة وإن لم يسموها آلهة، فما يفعله من يعتقد فيها من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها هو الشرك الأكبر وإن سمى عمله ما شاء من الأسماء، فأهل هذه الأزمنة يسمون شركهم توسلاً وتشفعاً وهو من أعظم الشرك.).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه [الضياء الشارق في ردِّ شبهات المازق المارق] : (فقوله: "وينوطون بها أسلحتهم" أي يعلقونها للبركة،

ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها، فظنوا أن هذا الأمر محبوب عند الله، فقصدوا التقرب به، فأقسم ﷺ أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، بجامع أن كلا طلبه أن يجعل له ما يأله ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان، فالمعنى واحد، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن طلبتهم من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط، يتبركون بها، كطلبة بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً، فأقسم صلى الله عليه وسلم أن مقالة هؤلاء كمقالة أولئك سواء بسواء، وإذا كان القصد من الشرك بالشيء -كالتبرك مثلاً- هو القصد من التأله به، كان الكل عبادة يتقرب بها إلى الله، فالفرق بين العبادتين لاختلاف اللفظين تحكم بغير دليل، فقد اتضح عدم الفرق في هذه القضية).

لأن من حاول أن يفرق بين طلب أولئك وطلب هؤلاء ، والعبادة التي طلبها بنوا إسرائيل ، والعبادة التي طلبها أصحاب النبي ﷺ مستدلاً بذلك باختلاف اللفظين قال : (هذا تحكّمٌ بغير دليل) ، كذلك ذكر كلاماً نحو هذا تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير الكذب والمين.

وقال الشيخ سليمان بن سحمان أيضاً في كتابه [كشف غياهب الظلام عن أوهام جهلاء الأوهام] قال : (فمن طلب من غير الله شيئاً أو تعلق عليه

لأجل البركة فقد اتخذه إلهاً مع الله بنصِّ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإن تغيرت الأسماء) .

كذلك أن طلب بني إسرائيل وطلب أصحاب النبي ﷺ من مسلمة الفتح لا شكَّ ولا ريب أنه مما نفته (لا إله إلا الله) .

قال الشيخ العلامة بن أبابُطين في كتاب : [تأسيس التقديس] : (فهؤلاء لقرب عهدهم بالكفر ما كانوا يظنون أن الذي طلبوه من التأله لغير الله لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويعرفون معناها، وخفي عليهم أن ذلك الذي طلبوه مما تنفيه لا إله إلا الله ، فلم يكن ظنهم مغيرا لحقيقة هذا الأمر وحكمه.)،، قوله : (ما كانوا يظنون أن هذا من التألُه) ، يعني من التعبّد لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

إذاً قوله : { ومن الدليلِ على ذلكَ أيضاً : ما حكى الله عن بني إسرائيلَ مع إسلامِهِم وعلمِهِم ، وصلاحِهِم أنهم قالوا لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ، وقول أناسٍ من الصحابةِ : (اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ فحلفَ رسول الله ﷺ أن هذا نظير قولِ بني إسرائيلَ ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا ﴾ . } .

إذاً الطلبان سواء بجامع أن كلاً طلب ما يألهُ ويعبده وأن هذا من الكفر الأكبر ، وأن بني إسرائيل وأن مسلمة الفتح خفيَ عليهم بعض أفراد ما

نفته (لا إله إلا الله) ، ولم يكن ذلك مما رُدت به شهادتهم هذه ولم تُقبل به فدل هذا على أن القدر المطلوب المصّحح لهذه الكلمة ، من العلم أن يعلم الإنسان معناها إجمالاً ، وليس من شرطها أن نعلم معناها تفصيلاً ، بمعنى أن نعلم جميع ما أثبتتهُ وأن نعلم جميع ما نفتهُ .

قال الشيخ : { ولكنْ للمشركين شبهةٌ يُدلونَ بها عندَ هذه القصةِ ؛ وهيَ أنهم يقولونَ : إن بني إسرائيلَ لم يكفروا بذلكَ } .

قوله: { ولكنْ للمشركين شبهةٌ يُدلونَ بها } .

الأدلاء : هو ذكر الشيء على جهة التقرير له .

ومرادهم من هذا رد ما قرره الشيخ ، فالشيخُ رحمه الله قرر أن الإنسان قد يكفر بالكلام الذي تكلم به ولا يشترط أن تجتمع في حقّه جميع أسباب الكفر حتى يكفر وأستدل بما كان من بني إسرائيل وبما كان من مسلمة الفتح ، ولا شك ولا ريب أن بني إسرائيل قالوا كفراً ، وأن مسلمة الفتح قالوا كفراً .

فهؤلاء اعترضوا على الشيخ ، كأنهم يقولون : لو كان الأمر كما تقول : لكفر هؤلاء ، فجعلوا عدم كفرهم دليلاً على أن المسلم لا يكفر بالكلام الذي يتكلم به إلا أن تجتمع فيه جميع أسباب الكفر .

قوله : { بذلكَ } ،الإشارة هنا راجعة إلي قولهم :﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴾.

قال الشيخ : { وكذلكَ الذينَ سألوا النبي ﷺ " أن يجعلَ لهمْ ذاتَ أنواطٍ " ، لم يكفروا بذلكَ } ، وهل عدم التكفير دليل على أن ما أتوهُ أو أن ما قالوهُ ليس بكفرٍ ؟ ، الجواب : لا . لماذا لأنه لا تلازم وذلك لأن التكفير له شروط وله موانع ، وهذا لا ينفي أن يكون ما تكلم به الإنسان أو ما فعله الإنسان من الكفر .

جواب الشيخ على شبهتهم :

قال الشيخ رحمه الله : { فالجوابُ أن نقولَ : إن بني إسرائيلَ لمْ يفعلوا ذلك } ، الإشارة هنا راجعة إلي أن بني إسرائيل لم يفعلوا ما طلبوا ، يعني أن بني إسرائيل لم يتخذوا إلهاً سوى الله عز وجل .

قال الشيخ رحمه الله : { وكذلكَ الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك} ، يعني : أن هؤلاء كذلك لم يتحذوا ذات أنواط .

قال : { ولا خلافَ أن بني إسرائيلَ لو فعلوا ذلكَ لكفروا } ، سؤال : هل المانع من تكفيرهم هو عدم فعلهم ؟ الجواب : لا ، ليس هذا هوالمانع من تكفيرهم ، فهذه المقالة كفرٌ بلا شك كما قال أهل العلم ، فالذي منع من تكفيرهم ليس هو عدم فعلهم ، وإنما الذي منع من تكفيرهم هو الجهل ، هو أنهم جهلوا هذا .

قال : { وكذلك لا خلافَ في أن الذين نهاهُم النبيُ ﷺ لو لم يطيعوهُ ، واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعدَ نهيِه لكفروا .} ، أما قبل نهيهم فلا يكونون كفاراً لأجل جهلهم .

قال : { وهذا هو المطلوبُ . } ، إذا بنوا إسرائيل قالوا كفراً وعذرهم موسى عليه الصلاة والسلام لأجل جهلهم كما جاء صريحا في الآية : ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ،كذلك النبيُّ ﷺ عذر أؤلئك لأجل جهلهم ، فالمانع من تكفيرهم إذن هو الجهل ، وليس المانع عدمُ الفعل ، فأنهم قالوا قولاً كفرياً ، والإنسان قد يكفر بالفعل وقديكفر بالقول وبالشك وبالاعتقاد.

قال العلاّمة أبابُطيْن في كتابه : [الانتصار لحزب الله الموحدين] : **(فإن قيل: فالنبي ﷺ لم يكفرهم بذلك!! ، قلنا: هذا يدل على أن من تكلم بكلمة كفر جاهلا بمعناها، ثم نبه فتنبه أنه لا يكفر، ولا شك أن هؤلاء: لو اتخذوا ذات أنواط بعد إنكار النبي ﷺ عليهم، لكفروا.).**

فالعلامة أبابطين هنا رد الأمر إلى الكلام لا إلى الفعل ، فهؤلاء تكلموا بكلام ، وكذلك مسلمة الفتح تكلموا بكلام ، وكلام العلامة أبابطين هذا هو عينُ كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فإنهما بينا أن المانع من التكفير هو الجهل .

وجوب التحّرز من الشرك :

قال الشيخ :{ ولكنَ هذهِ القصةَ تفيدُ : أن المسلمَ - بل العالمَ - قد يقعُ في أنواعٍ من الشركِ وهو لا يدري معناه .} ، تأملوا ، يعني ليس من شرط العلم المصحح ل (لا إله إلا الله) أن تعلم جميع تفاصيل ما نفته من الشرك .

قال الشيخ :{ ولكنَ هذهِ القصةَ تفيدُ : أن المسلمَ - بل العالمَ - قد يقعُ في أنواعٍ من الشركِ وهو لا يدري معناه فتفيدُ : التعلمَ والتحرزَ ، ومعرفةَ أن قولَ الجاهلِ : " التوحيدَ فهمناهُ " ، أن هذا من أكبرِ الجهلِ ومكائدِ الشيطانِ ، وتفيدُ أيضاً : أن المسلمَ المجتهدَ إذا تكلمَ بكلامِ كُفْرٍ ، وهو لا يدري فنبِّه على ذلك فتابَ من ساعتِهِ أنه لا يكفرُ كما فعلَ بنو إسرائيلَ ، والذين سألوا رسولَ الله ﷺ } ،

قال الشيخ :{ وتفيدُ أيضاً : أنه لو لم يكفرْ ، فإنهُ يُغَلظُ عليهِ الكلامُ تغليظاً شديداً ، كما فعل رسولُ الله ﷺ . } .

إذا الشيخ محمد بن عبدالوهاب يقول : هؤلاء لم يكفروا لأنهم كانوا جهالاً ، ولكن لما نُبّهوا تَنبّهوا وتركوا هذا ، وقد نصّ على جهلهم جمعٌ من العلماء .

قال الشيخ أبابُطين في كتابه : [الرد على البُردة] : (فهؤلاء خفي عليهم أن الذي طلبوه بقولهم: اجعل لنا ذات أنواط، أنه من التأله لغير الله، ومن الشرك الذي حرمه الله ؛ وكذلك قول بني إسرائيل {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا} [سورة الأعراف آية: ١٣٨]، خفي عليهم قبح ما طلبوه، وأنه من الشرك الذي ينهى عنه موسى عليه السلام ؛ فإذا كان قد خفي على المذكورين، فلا يستبعد خفاؤه على من دونهم.)

وقال الشيخ ابن أبابُطين أيضاً : (وأما من تكلم بكلمة كفر، لا يعلم أنها كفر، فعرِّف بذلك فرجع، فإنه لا يحكم بكفره، كالذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط).

إذا عرفنا أن بني إسرائيل عُذروا في قول الكفر بالجهل ، وأن الذين قالوا للنبيِّ ﷺ : (**اجعل لنا ذات أنواط**)، عُذروا في مقالتهم هذه بالجهل .

وقد سُئل الشيخُ عبدالرزّق عفيفي رحمه الله عن قول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في مجموع فتاواه : في السؤال الثامن والثمانين : في كشف الشبهات في حديثِ ذات أنواط كما تقدم ، سئل عن قوله : (فإنك إذا عرفتَ أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجُها من لسانِه ، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يعذرُ بالجهلِ) ، ونصّ في كتاب التوحيد على هذا الحديث ، قال في جملة المسائل : (وفيه أنه لم يعذرهم بالجهالة) ، سُئل الشيخُ عبدالرزّق عفيفي رحمه الله عن هذا فقال : (بعد ان قامت الحجة فلا يعذرون اما قبل

البيان فيعذرون بجهلهم وقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يعذرهم بالجهالة اى لم يكن الجهل عذرا يمنع من التغليظ والانكار عليهم حيث غضب النبي ﷺ وانكر ولكن لم يكفرهم) ،

وهذا كنا قد ذكرناه ووجهنا كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هناك أن مراده من عدم العذر هناك يعني أن لا نجعل جهلهم هذا عذراً في أن نتساهل في الإنكار عليهم .

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لكتاب التوحيد « أن المسلم والعالم قد تخفى عليه بعض أفراد الشرك ، قال : { قد تخفى بعض المسائل والمعاني على من خلع الأنداد وتبرأ من الشرك وأهله، كما قال بعض الصحابة: (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)، فقال رسول الله - ﷺ -: { الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده ما قاله أصحاب موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾.} .

ما حجته فيما قاله الصحابة ؟

قال : { **والحجة في هذا أن هؤلاء الصحابة وإن كانوا حديثي عهد بكفر فهم دخلوا في الدين بلا إله إلا الله، وهي تخلع الأنداد وأصناف الشرك وتوحد المعبود، فمع ذلك ومع معرفة قائليها الحقة بمعنى لا إله إلا الله، خفي عليهم بعض المسائل من أفرادها.** } ، يعني : من أفراد ما نفته (لا إله إلا الله).

قال : { وإنما الشأن أنه إذا وضح الدليل وأبينت الحجة فيجب الرجوع إليها والتزامها، والجاهل قد يعذر، كما عذر أولئك الصحابة في قولهم: (اجعل لنا ذات أنواط)، وغيرهم من العلماء أولى باحتمال أن يخفى عليهم بعض المسائل ولو في التوحيد والشرك. } .

الشيخُ صالح يقول : إن كان هذا قد خفي على مسلمة الفتح ، يعني : خفي على بعض الصحابة ، قال : (وغيرهم من العلماء أولى باحتمال أن يخفى عليهم بعض المسائل ولو في التوحيد والشرك.) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : { ولكنَ هذهِ القصةَ تفيدُ : أن المسلمَ - بل العالِمَ - قد يقعُ في أنواعٍ من الشركِ وهو لا يدري عنها ، فتفيدُ : التعلمَ والتحرزَ } ، يعني هذا يُفيدُ أن الإنسان أن يجد ويجتهد في تعلم التوحيد وتعلّم أفراده ، وفي تعلم الشرك وتعلم أفراده .

قال الشيخ: { ومعرفةَ أن قولَ الجاهلِ : " التوحيدَ فهمناهُ " ، أن هذا من أكبرِ الجهلِ ومكائدِ الشيطانِ } ، وهذا قد يقوله بعض من يدّعون أنهم على التوحيد ، يقول لك : التوحيد فهمناهُ غيروا لنا هذا إئتونا بشيءٍ غير التوحيد ، هذا من الجهل ، الذي يقول هذا جاهل لم يعرف التوحيد .

قال الشيخ: { وتفيدُ أيضاً : أن المسلمَ المجتهدَ إذا تكلمَ بكلامِ كُفْرٍ ، وهو لا يدري فنبِّه على ذلك فتابَ من ساعتِهِ أنه لا يكفرُ } ، ومفهوم كلامه أن المسلم إذا تكلم بكلام الكفر ولم يجد من يُنبهّهُ فهذا لا يكفر .

قال الشيخ: { كما فعلَ بنو إسرائيلَ ، والذين سألوا رسولَ الله ﷺ ، وتفيدُ أيضاً : أنه لو لم يكفرْ ، فإنهُ يُغلظُ عليهِ الكلامُ تغليظاً شديداً ، كما فعل رسولُ الله ﷺ } . الشيخ رحمه الله يريد منك ياطالب العلم أنك متى ما سمعت أحداً يتكلم بكلام الكفر فإن الواجب عليك أن تُنكر عليه ، وإن دعا الأمر إلى أن تُغلظ عليه ، إذا وجدت أنه يتحمل ذلك فعليك أن تغلّظ عليه في الإنكار ،

وهذه القصة دليلٌ على ما كنا قد قررناه فيما مضى في الرد على هؤلاء بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ووجه ذلك : أن النبيَّ ﷺ جعل قولهم : (اجعل لنا ذات أنواط) ، داخلاً في عموم قول قوم موسى :﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ، يعني أن النبيَّ ﷺ لما قال لمسلمة الفتح : الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده ما قاله أصحاب موسى:﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ، لم يقل واحد من مسلمة الفتح أن النبيَّ ﷺ أخطأ فنزّلَ فينا ما نزل على بني إسرائيل ما قالوا هذا .

الآن يقولون لك : أنت تنزّل فينا الآيات التي نزلت في المشركين ، فالنبيَّ ﷺ هنا قال : الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى :﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ، لم يقولوا : كيف تجعل فينا

الآيات التي نزلت في قوم موسى ، فهذه الآية وإن نزلت في قوم موسى فيدخل فيها كل من أراد التبرّك بشيءٍ يطلب خيرهُ .

التبرّك : (تَفّعُل) وهو طلب الخير من غير الله في أمرٍ لا يقدرُ عليه إلا الله ، وهذا شركٌ بالله ، فالشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردّ شبهتهم التي أوردوها ، فهذا الباب ، أعني باب التكفير منزلقٌ خطير ، انزلق فيه الكثير من الناس يوم أن لم يفهموا كلام الله وكلام النبي ﷺ ، ولا استضاؤوا بكلام أهل العلم فضلّوا وأضلوا وجرّوا على الأمة من الويلات ما الله تبارك وتعالى به عليم .

الشبهة الثانية عشرة

قال الشيخ رحمه الله : { وللمشركينَ شبهةٌ أخرى ؛ يقولونَ : إن النبي ﷺ أنكرَ على أسامةَ رضي الله عنه قتلَ من قالَ : لا إله إلا الله ، وقالَ له : (أقتلته بعد ما قالَ لا إله إلا الله؟) ، وكذلكَ قولُه : (أُمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله) ، وأحاديثُ أخرى في الكفّ عمن قالها ، ومرادُ هؤلاءِ الجهلةِ : أن من قالَها لا يكفرُ ولا يقتلُ ولو فعلَ ما فعلَ . } .

الشرح :

هذه هي الشبهة الثانية عشر ة وهي من أكبر شبهاتهم ومن أكثرها رواجاً .

ومرجعُ هذه الشبهة : إلى الجهل بحقيقة الردة وأسبابها.

وملخص هذه الشبهة : أن من نطق وتلفظ بـ(لا إله إلا الله) ودخل في الإسلام فإنه يُكَف عنهُ ، ولا يُتعرّض له ، فلا يُقتل ، ولا يُكَفّر ، ولو فعل ما فعل ولو اعتقد ما اعتقد .

فإن قيل لهؤلاء ما دليلكم على هذا ؟ قالوا : وردت أحاديث صحيحة في وجوب الكف عمن قال (لا إله إلا الله) .

وبعد أن بيّن الشيخ مقصودهم بما ذكروه في قوله : (ومرادُ هؤلاءِ الجهلةِ : أن من قالَها لا يكفرُ ولا يقتلُ ولو فعلَ ما فعلَ)،بدأ بالرد على هذه الشبهة .

رد الشيخ على هذه الشبهة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : { **فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله** ﷺ **قاتل اليهود وسباهم وهو يقولون : لا إله إلا الله** } .

أراد الشيخ أن يُبيّن أن مجرّد التلفّظ بهذه الكلمة لو كان نافعاً لنفع اليهود ، لأن اليهود كانوا يقولون (**لا إله إلا الله**) ، لا سيما أن بعض اليهود كما ذكر بعضُ أهل العلم عنهم ، أن من اليهود من كان على دينِ موسى ، وكانوا يؤمنون أن النبيَّ ﷺ رسولٌ مُرسَل من الله إلا أنهم كانوا يعتقدون أنه مرسلٌ إلى العرب خاصة ، فهؤلاء يشهدون أن (**لا إله إلا الله**) وأن موسى رسول الله، ويصدقون بنبوةِ النبيِّ ﷺ ، فإن سألتهم عن النبيِّ ﷺ قالوا هو مرسلٌ من الله حقاً وصدقاً إلا أنه مرسلٌ إلى العرب فخصّوا رسالة النبيِّ ﷺ بالعرب ، فالنبيُّ كفّرهم جميعاً لقيام بعض أسباب الكفر فيهم ، فهذه الطائفة وما سواها من الطوائف ، ولم ينفعهم أنهم يتلفّظون بـ (**لا إله إلا الله**) .

شاهد آخر من كلام الشيخ على نقض هذه الشبهة :

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : { **وأن أصحاب رسولِ الله** ﷺ **قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ، ويدّعون الإسلام** } ، كذلك ما مضى في هذه الرسالة من قصة بني حنيفة الذين كانوا يشهدون أن (**لا إله إلا الله**) وأن محمداً رسول الله وكانوا يصلون

ويصومون ويعبدون الله جل وعلا إلا أنهم اعتقدوا أن مسيلمة رسول فكّفرهم الصحابة رضي الله عنهم ، وقاتلهم الصديق رضي الله عنه .

ومراد الشيخ من هذا أن لو كان كل من تلفّظ بـ (**لا إله إلا الله**) يجبُ الكفُّ عنهُ إلى الأبد لما كفّر أبوبكر الصديق رضي الله عنه والصحابة بني حنيفة ولما قاتلوهم.

ونسأل أصحاب هذه الشبهة الذين يقولون : يجبُ الكف عمن قالها بمجرد أن يتلفظ بها ، فنقول لهم : لماذا لم يكف أبوبكر رضي الله عنه والصحابة رضي الله عنهم عن بني حنيفة وهم يقولون : (**لا إله إلا الله**) ، هل كان أبوبكر رضي الله عنه وسائر الصحابة مخطئين يوم أن قاتلوا بني حنيفة مع كونهم يتلفظّون بـ (**لا إله إلا الله**) ؟.

قال رحمه الله : { **وكذلك الذين حرقّهم علي ابن أبي طالب بالنارِ** }، وإنما حرّق علي رضي الله عنه هؤلاء بسبب الغلوّ فيه ، وهم يقولون : (**لا إله إلا الله**) ويتلفظّون بها ، وهذا يدلك على أنه لا يكف عن كل من قالها كما سيأتينا في الوجوه التي ذكرها الشيخ رحمه الله.

قال رحمه الله : { **وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله** } ، نسألهم أيضا: ما رأيكم في رجلٍ يشهدُ أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وهو متمسك بشعائر الإسلام كلها إلا أنه يُنكر البعث؟ فسيقولون : هذا كافر .

نقول لهم : كيف كفرتموه وأنتم تقولون يجب أن يُكف عن كل من قال : (لا إله إلا الله) فلا يُتعرّض له لا بتكفيرٍ ولا بقتلٍ ؟

وهذا دليلٌ واضحٌ جلي على نقضِ شبهتهم هذه .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : { **وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قال : لا إله إلا الله** } .

نقول لهم : ما رأيكم في شخصٍ يقول: (لا إله إلا الله) ويصلي ويزكيّ ويحج إلا أنه جحد الصوم قال : إن الصوم ليس بواجبٍ وما فرضه الله جل وعلا على الناس ، ما قولكم في هذا ؟ ، يقولون : هذا كافر.

فالشيخُ يستدل عليهم هنا بما أقرّوا به ، فيجعل هذا دليلاً لإثبات ما أنكروه ، أو لإثباتِ الْمُخْتَلَفِ فيه ، فيذكر المتفق عليه بينه وبين خصومه ويجعله دليلاً على الْمُخْتَلَفِ فيه ، وكذلك يستعمل هنا قياس الأوْلى .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : { **فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه؟** } .

يقول لهم : فإذا كان لا ينفعه التلفظ ب (لاإله إلا الله) إذا جحد فرعاً واحداً من فروع التوحيد ، فكيف ينفعهُ التلفظ بها إذا جحد أصل الأصول الذي هو التوحيد ؟

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث } ، وهذا وجهٌ آخر ، يعني : هذه الأحاديث التي ذكروها ما فهموا معناها .

ووجهُ ذلك أن هذه الأحاديث التي فيها مجرد القول جاءت مطلقة ، وجاءت أحاديث أُخرْ تُقيّدْ هذه الأحاديث المطلقة فالواجب أن يُعملْ بالمقيّد .

قال العمريطي في نظم الورقات :

وَيُحْمَلُ المُطلَقُ مَهْمَا وُجِدَا ***عَلَى الَّذِي بِالوَصفِ مِنهُ قُيِّدَا

فمن ذلك حديثُ : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله » وفي رواية : « صادقًا من قلبه » وفي بعضها : « مستيقنًا بها قلبه » وفي بعضها :(فإن الله حرم علي النار من قال لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله)، وقال النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة** » وقال : (**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**) ، فأين نذهب بهذه الأحاديث ؟ فهذا وجهٌ من وجوه الرد .

فهذه الأحاديث مطلقة ، وجاءت أحاديث أخر مقيدة لهذه الأحاديث .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : { **ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث ، فأما حديث أسامة ، فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله . والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف** } .

فالشيخ يقول لك : هذا هو فهم الحديث ، فإن الرجل إذا أظهر الإسلام وجب أن نكف عنه فلا نتعرّض له عند أول تلفظه بالشهادة ، إذا سمعنا أنه تلفّظ بالشهادة فإننا نكف عنه لا نتعرض له لا بقتلٍ ولا بتكفيرٍ ولا بأخذِ مالٍ لأنه أصبح معصوم المال ومعصوم الدم .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : {**والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك** } .

إذا قال : أشهد أن لآ إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هنا نكف عنه ، فالإسلام يثبت إبتداءً بهذه الكلمة التي هي الإقرار ، وهذا ما يُعرف عند العلماء بالإسلام الحكمي ، فيُثبَتُ له الإسلامُ حكماً ، وهذه التسمية مأخوذة من حكمنا له بالإسلام فنثبَتُ له الإسلام الحكمي ، لكن بعد ذلك لا بد من تحقيق الإقرار وإجتناب نواقضه حتى يُثبت له الإسلام الحقيقي ولذلك الشيخ قال : { **إذا تكلم بالكلمة وأظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك،** وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ... ﴾ [النساء : ٩٤]

أي فتثبوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت .} .

يعني : يجبُ الكف عنه مؤقتاً وحالاً في حال تلفظه بالشهادة ، وهذا الحديث نفسه فيه حجة عليهم ، فإن أسامة سمع من الرجل أنه تلفظ بالكلمة فلو كان من المتقرر عندهم أن كل من تلفظ بهذه الكلمة يُكَفْ

عنه لما قتله أسامة ، ولكن أسامة شك في صدقه في قوله لهذه الكلمة ،ولذلك قال أسامة : (قالها خوفاً من السيف) ، فلو كان يجب الكف عن كل من قالهالكان كلامه هذا لغواً .

فمعنى كلام أسامة أن الذي يقولها خوفاً أو يقولها لأي مقصدٍ من المقاصد التي تناقض الإخلاص وتناقض الصدق فإنها لا تُقبل منه .

قال : { وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ... ﴾ [النساء : ٩٤] **أي فتثبوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت .** } . .

فيجب أن نكف عنه ونتثبّتْ من صدقه ، ومن ثبوته على هذه الكلمة لأن هذه الكلمة لابد فيها من أربعة أمور :

الأول : العلم بمعناها نفياً وإثباتاً .

الثاني : اعتقاد ما دلت عليه من معنى ، بأن نعتقد أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله .

الثالث : العمل بمقتضى هذا العلم والاعتقاد بأن نعبد الله وحده بجميع عباداتنا ، وأن نترك عبادة غيره ، وأن لا نجعل شيئاً من عبادته لغيره .

الرابع : التلفظ بهذه الكلمة وبه يدخل الإنسان في الإسلام .

فمن كان عالما بمعناها ومعتقدا لهذا المعنى عاملا بمقتضى ذلك وكان قادراً على التلفظ ولم يتلفظ بها فلا تُقبل منه هذه الكلمة لقول النبيِّ ﷺ

: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، و (حتى يقولوا لا إله إلا الله) ،والقول هو الذي يُدخل به الإنسان في الإسلام ، أما من كان عاجزاً لخرصٍ أو لغيره فهذا يُقبل منه أنه يعلم بمعناها ويعتقد هذا المعنى ويعمل بمقتضاها في ظاهره ، فلا يجعل شيئاً من العبادة لغير الله ، ويتوجه بعباداته كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، فإذا قال : (أشهد أن لا إله إلاالله وأشهد أن محمداً رسول الله) دخل في الإسلام ، وثبت له الإسلام الحكمي ، ثم بعد ذلك ننظر ، فلها حقوق ومكملات (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ،ولذلك لما نازع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبابكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قتال مانعي الزكاة قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (يااأبا بكر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ودمه ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق) .

فيُنظر في حال من تلفظ بها فإن إستقام على شرائع الإسلام والتي أولها الاستقامة على (لا إله إلا الله) وعلى ما دلت عليه من تجريد العبادة وتجريد التوحيد لله ﷻ وصلّى وصام وزكّى وحجّ والتزم بسائر الشرائع فهذا يُثبت له الإسلام الحقيقي،

قال : { فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِل .}، يعني : بعد أن قال : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ، أتيناه وتلونا عليهالآيات وقرأنا عليه الأحاديث التي جاء بها النبيُّ ﷺ في إثبات البعث ، قال : (أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ،وأقيم الصلاة وأُوتي الزكاة وأفعل سائر شعائر الدين لكن لا أؤمن بهذا البعث ، فهذا كافر لا يُكَفْ عنه .

قال : { فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِل لقوله تعالى : (فتبينوا) ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى .}، يعني إذا كان كل من تلفّظ بها لا يقتل وإذا كان المراد منها مجرّد القول وأن كلَّ من سمعناده يقولها وجب الكف عنه أبد الدهر لكان قول الله جل وعلا : (فتبينوا) من لغوِ القول ، يعني من الكلام الذي لا فائدة منه ، يُكفْ عن كل من قالها ، من قالها بصدقٍ ومن قالها ونقضها ومن قالها وأستقام عليها ، ومن قالها وكفر ببعضِ الشرائع ، إن كان كل هؤلاء يدخلون في هذا

وتُقبل منهم لم يكن للتثّبت معنىً ، ولكان هذا التثبّت من لغوا القول ومن الكلام الذي لا فائدة تحته .

قال : { وكذلك الأحاديث الأخر وأمثالها فمعناها ما ذكرنا . } .

الحديث الآخر الذي أورده هو حديث : (أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله) ، ومعنى الحديث : أن من أظهر الإسلام والتوحيد وتكلم بهذه الكلمة وجب الكف عنه إبتداءً أو حالاً .

قال : { إلا إن تبيّن منه ما يناقض ذلك } ، فإن تبيّن منه ما يناقض ذلك عُومِلَ بمناقضته .

قال : { والدليل على هذا . } ، الإشارة هنا إلى قوله : { أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكفُّ عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك . } .

قال : { والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال : (أقتلتَهُ بعدَ ما قال لا إله إلا الله ؟) وهو الذي قال : (أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله) . هو الذي قال في الخوارجِ : (أينما لقيتُموهم فاقتُلوهُم) ، (لئن أدرَكْتُهم لأقتُلنهم قتلَ عادٍ } .

فهم أتونا بأحاديث عن الرسول الله ﷺ وهي قوله : (أقتلتَهُ بعدَ ما قال لا إله إلا الله ؟) و قوله ﷺ : (أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله) ، فنقول لهم : إن الذي تلفظ بهذه الأحاديث هو الذي قال في الخوارج : (أينما لقيتُموهم فاقتُلوهُم).

قال : { مع كونهم من أكثر الناس عبادة ، وتهليلاً وتسبيحاً ، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم } ، فهذا النبيِّ ﷺ يقول : (يخرج فيكم قوم؛ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم؛ يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)، يعني إذا رأيتموهم يصلون تعدون صلاتكم ليست بشيءٍ هذا للصحابة ، وإذا رأيتم صيامهم عددتم صيامكم لا شيء ، وإذا رأيتم قراءتهم للقرآن كذلك رأيتم قراءتكم هذه ليست بشيءٍ ومع هذا قال النبيُّ ﷺ : (أينما لقيتُموهم فاقتُلوهُم).

وأهل الشبهة من جهلهم يجعلون التكفير والقتل متلازمين وهذا غلط ، ربما أن الإنسان يُحكم عليه بالكفر ولا يُقتل ، كأن يكونَ مُعاهَداً أوكان ذمياً مستأمنا، وكأن يكون منافقاً معلوم النفاق لكن يُترك مراآةً لدرء المفاسد كما فعل النبيُّ ، إذاً ليس هناك تلازمٌ بين التكفير والقتل .

وقد يكون مسلماً ويُقتل ، فلو أن مسلماً قتل مسلماً متعمداً فإنه يُقتَلُ به، ولو أن طائفة مسلمة بغت على طائفة أخرى تُقاتَلْ ، ولو أن مسلماً قطع طريق المسلمين وأفسد في الأرض فإنه يُقتَلْ ، ولو أن مسلماً محصناً زنا يُقتَلْ ، فالمسلم لو فعل ما يوجب قتله مع تلفظهِ بـ (لا إله إلا الله) وصلاته وصيامه وزكاته وقرآءته للقرآن فإنه يُقتَلْ ، إذا قام موجب القتل ، وكذلك إذا قام موجب التكفير كُفِّرْ .

فنسأل أصحاب الشبهة نقول لهم : ماذا تقولون في الخوارج أ مسلمون هم أم كفار ؟ لهم جوابان :

الأول : إن قالوا كفار ، نقول لهم : بم كفروا ؟ فلا بد أن يكونوا قد أتوا بناقضٍ من نواقض الإسلام كفروا به ، فهم يقولون : (لا إله إلا الله) ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويقرأون القرآن بم كفروا ؟ ، فإن قالوا : قد جاءوا بناقضٍ ،

نقول لهم : هذا فيه حجة عليكم وفيه تأكيد لما قلناه فمن كان يتلّفظ بـ(لا إله إلا الله) ويصلى ويصوم ويزكي ويحج ويقرأ القرآن وجاء بناقضٍ فإنه يكفر ، يخرج به عن الإسلام ، ولا ينفعه أنه تلفظ بـ(لا إله إلا الله) .

الثاني : وإما أ ن يقولوا نحن لا نكفرهم ، هم مبتدعة ضُلاّل ، مع هذا أمر النبيُّ ﷺ بقتلهم .

نقول : إذن فقد ثبت بهذا أنه ليس كل من قال : (لا إله إلا الله) يُكّفْ عنهُ ، ولا كل من قال : (لا إله إلا الله) لا يُقتل لأن النبيُّ ﷺ أمر بقتلهم ، والصحيح في الخوارج أنهم مبتدعة ضُلاّل فهذا الذي عليه غالب أهل العلم .

قال : { **وهو تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الإسلامِ لما ظَهر منهم مخالَفة الشريعة ، وكذلك ما ذكرنَا من قتالِ اليهود ، وقتالِ الصحابة بني حنيفة مع كونهم من أكثر**

الناس عبادة ، وتهليلاً وتسبيحاً ، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم } .

ويقال لهم أيضاً :هؤلاء اليهود قاتلهم رسول الله ﷺ ، وهم يقولون لا إله إلا الله فهذا كله يدلُّ على أن التلّفظ بـ (لا إله إلا الله) تحصلُ به العِصمة الموقتة ويُثبت به الإسلام الحُكمي ، ثم بعد ذلك يُتثّبتْ في أمر المتلفظ بها .

قال الشيخ : { **وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة** } .

جُلّ المفسرين على أن النبي ﷺ أرسل الوليد بن عقبة بن معيط ليأخذ الزكاة من بني المصطلق فخرجوا في استقباله ليعطوه الزكاة وكان بينه وبينهم شيءٌ في الجاهلية فخاف منهم فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره أنهم منعوا زكاة أموالهم وخرجوا لقتله ، فبعث النبيُّ ﷺ إليهم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت في أمرهم ، فأرسل خالد رضي الله عنه بعض جنوده فدخلوا في بلادهم فسمعوا منهم الآذان ووجدوهم يصلون ، وكان الحارث بن ضرار وهو سيدهم ذهب إلى النبي ﷺ لأن النبي ﷺ وقّت لهم بأنه سيُرسل لهم رسولاً ليأخذ منهم زكاة أموالهم ، وقال الحارث ما علمتُ أن النبي ﷺ يُخلف موعدهُ ولكن وقع في نفسه أن النبي ﷺ لم يُرسل رسوله لأجل غضبٍ غضبه ﷺ ولذلك أراد أن يعرف ما الخبر

، فجاء إلى النبي ﷺ فسأله وأخبره أننا خرجنا لاستقباله بزكواتنا ولكننا ما وجدنا أحداً وما جاءنا من أحدٍ .

فالشاهد في القصة أن النبي ﷺ أراد أن يغزوهم ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن كان كل من تكلّم بالكلمة يُكف عنه لم أراد النبي ﷺ أن يغزوهم ؟

قال الشيخ : { لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات : ٦] وكان الرجل كاذباً عليهم .} .

فإرسال النبي ﷺ لهم من يغزوهم دليل على أنه ما كل من قال لاإله إلا الله يُكف عنه مطلقاً ، وإنما يُكف عنه حتى يتبيّن أمره هل التزم شعائر الإسلام أم لا ؟ .

فهؤلاء لما علم النبيُّ ﷺ بخبر من أرسله أنهم ما التزموا شعائر الإسلام هَمّ النبي ﷺ بغزوهم ، وهذا يدلُّ على أن من قال لاإله إلا الله يُكف عنه ، ويُعطى الإسلام الحُكمي موقتاً حتى يُتبيّن منه وحتى يعرف منه أنه التزم شعائر الإسلام .

قال الشيخ : {فكل هذا يدل على أن مراد النبي - ﷺ - في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .} .

فما ذكروه من الأحاديث التي فيها الكف عمن «قال لا إله إلا الله» فالمراد منها أننا نكف عنه مؤقتاً ، ثم بعد ذلك يُنظر في حاله هل استقام على هذه الكلمة وجرّد العبادة لله عَزَّ وَجَلَّ وحده ؟ ، هل صلى وصام وزكى وحج ؟ هل التزم بسائر الشعائر ؟ ، فإن التزم بها فهذا يُثبت له الإسلام الحقيقي وهو مسلمٌ ، وهذا المسلم ، إن قام به ما يوجبُ القتل قُتِلْ مع حكمنا له بالإسلام ، نقتله ثم نأتي به ونصلّي عليه وندعوا له ، وإن قام به ما ينقض إسلامه انتقض إسلامه .

الشبهة الثالثة عشرة

الجهل بحقيقة الإستغاثة وعدم التفريق بين الجائزة منها والشركية

قال الشيخُ : { ولهم شبهة أخرى: وهي ما ذكر النبي - ﷺ -: أنَّ الناسَ يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون، حتى ينتهوا إلى رسول الله - ﷺ -، قالوا: فهذا يدلُّ على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا.} .

الشـرح :

هذه هي الشبهة الثالثة عشرة .

مرجعُ هذه الشبهة : إلى الجهل بحقيقة الاستغاثة وعدم التفريق بين الجائز منها والشركي .

وملّخص هذه الشبهة : زعمهم أن الاستغاثة بالمخلوق جائزة ولا تُعَدُّ شركاً والدليل على ذلك حديثُ الشفاعة

ردُّ الشيخ على هذه الـشبهة :

قال الشيخُ : { فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها كما قال -تعالى- في قصة موسى : ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [سورة القصص، الآية: ١٥] } .

الاستغاثة لغةً : هي طلبُ الغوث

والغوث : إزالة الكرب والشدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ .

والاستغاثة شرعاً : هي نداءُ الله المقرون بطلب إزالة الكرب والشدة

والاستغاثة عبادة من العبادات التي يجبُ أن تُخْلص لله سبحانه وتعالى ، وهي من العبادات الشرعية التي أرادها الله جل وعلا من عباده أن يتقرّبوا بها إليه ، فالاستغاثة نوعُ دعاء ، إلا أنه دعاء خاص بإزالة الكرب والشدة ، أو دعاء في حال الكرب والشدة .

والاستغاثة تنقسمُ إلى قسمين :

الأولى : الجائزة : وهي نداء غير الله من حيٍّ حاضرٍ قادرٍ المقرون بطلبه إزالة الكرب والشدة .

الثانية : الاستغاثة الشركية : وهي نداء غير الله من ميت أوغائب المقرون بطلبه إزالة الكرب والشدة في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله .

وهؤلاء إنما أتوا بسبب جهلهم ، بمعنى الاستغاثة وعدم التفريق بين الجائز منها والشركي ، فهم لم يفرقوا بين هذا وهذا و نقول فيما زعموه دليلا :دليلكم هذا خارجٌ عن موطن النزاع ، فإذا نادى المخلوق مخلوقاً حياً حاضراً قادراً فطلب من أن يُزيل عنه ما هو فيه من شدةٍ أو كرْبٍ فهذا جائزٌ .

فلو أن شخصاً سقط في بئرٍ ثم حصل كسر في رجله ومكث في هذا البئر زمناً وأشرف على الموت فإنه بلا شك والحالة هذه يكون قد دخل في كرْب ، ثم إذا به يسمع حركة حول البئر فنادى : يااا فلان أغثني ، يعني : إني أطلبُ منك أن تُزيل ما بي من كرْبٍ ، فأرسل إليه حبلاً فأخذ به فسحبه حتى أخرجه ، فهذا نادى مخلوقاً حياً حاضراً قادراً ، وهذا ُ لا نزاع فيه .

ولو أن إنسانا سطا عليه لصوص وأحاطوا به فما الذي يمنعه أن يتغيث بجاره ، فالاستغاثة بالحي الحاضر القادر في أمرٍ يقدرُ عليه هذا جائز ولا شيء فيه .

قال الشيخ : { **فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها كما قال –تعالى– في قصة موسى** : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ **[سورة القصص، الآية: ١٥]** } .

هذا رجلٌ حي وحاضر استغاث بموسى الحي الحاضر القادر فهذا لا شيءَ فيه ولا يُنكر عليه.

قال : {**وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أوغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق .**} ، ربما كان الإنسان في حربٍ فأصبح مثلاً يقاتل ويقاتل فلما انتبه لنفسه وجد أنه قد ابتعد عن أصحابه وأحاط به

العدوّ من كل جانب ، فله أن يُنادي أصحابه وأن يستغيثَ بهم ليُنقذوه ويُخلّصوه من هذه الشدة التي هو فيها .

قال : { **في الحرب أوغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق .** } ،

كإنسان يغرق ورأى رجلاً يمشي في الساحل فناداه طالبا منه إنقاذه ، وكذلك آخر أصابه حرقٌ فنادى جيرانه وأستغاث بهم لإفاء الحريق هذا من الجائز .

قال : { **ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء.** } ،

نُنكر أن تستغيث بالموتى سواءً كنت واقفاً عند قبره أو استغثت به وأنت في مكانٍ بعيد ، وأن تنادي الميت ، وسواءً طلبت منه أمراً لا يقدرُ عليه إلا الله ، أو طلبت منه أمراً يقدرُ عليه في حالِ حياته ، فالموتى لا يُدعونَ مطلقاً ، لا فيما لا يقدرون عليه ، ولا فيما يقدرون عليه في حال حياتهم ، وما يقدرون عليه في حال حياتهم كذلك يدخلُ فيما لا يقدرون عليه في حال وفاتهم ، وإنما ذكرنا ذلك للبيان والايضاح .

إذاً الموتى سواءً كنت قريباً منهم أو كنت بعيداً منهم ، وسواءً طلبت منهم ما لا يقدرُ عليه إلا الله ، أو طلبت منهم ما يقدرون عليه في حال حياتهم فهذا كله من الشرك بالله سبحانه وتعالى ، لأن هذا ميّت ، وكذلك من سأل حجراً أو سأل شجراً أو بنية أو قبراً هذا كله من الشرك .

فالاستغاثة الجائزة : نداءُ الله من حيٍّ ، وهذا يُخرجُ الموتى ويُخرج لك جميع الجمادات من الأشجار والأحجار والشمس والقمر والنجوم والكواكب فهذه لو أن الإنسان استغاث بها يكون قد أشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ولذلك قال الشيخ هنا : { ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء **أو في غيبتهم**.} ، لو كان الولي حياً غائباً ، فلو أنك دعوت هذا الولي الحي الغائب في أمر لا يقدر عليه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ فهذا شرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو من الشرك الأكبر الذي يُخرج عن الملة ،أو سألت الغائب أمرا يقدر عليه في حال حضوره فهذا كذلك من الشرك الأكبر المخرج عن الملة .

قال : **{ ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله}**

فإنك لو سألت الموتى والغائبين أمراً يقدرون عليه ، أو أمراً لا يقدرون عليه فالأمران سواء ، وكلاهما شرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشيخ هنا قال : **{ في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله}** ، قال هذا في الموتى وفي الغائبين فأن هذا هو الغالب على حال من يدعون غير الله أو يستغيثون بغير الله أنهم يطلبون أموراً لا يقدرُ عليها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

لكن لو سأل الميت أمراً يقدر عليه في حال حياته ، أو سأل الغائب أمراً يقدر عليه في حال حضوره فكل ذلك من الشرك الأكبر المخرج عن الملة ، كذلك لو أن أحداً استغاث بحيٍّ حاضر فقال له : يا فلان أغثنا مطراً

هلكت الحيونات والأنعام وجفَّ الزرع والضرع فهذا شركٌ أكبر ، لأن هذا الحي الحاضر لا يقدرُ أن يُنزل مطراً ، كذلك لو أن شخصاً وقع في حال كرْبٍ وشدة مثلاً سقطت فيه مجموعة من جوالات الذرة وبجواره طفلٌ صغير فنادى هذا الطفل يافلان ارفع عني ،فهل هذا يعد شركاً ؟ لماذا ؟ لأن المراد بقولنا : يقدرُ عليه ، أي : ما يقدرُ عليه جنس المخلوقين ، فالنظر هنا إلى المخلوق باعتبار جنسه لا باعتبار ذاته ونوعه.

فنحن نقول : هل في مقدور الإنسان رفع هذه الجولات عن هذا الرجل أم لا ؟

نقول من جنس الناس من يستطيع هذا .

قال : { **إذا ثبت ذلك** }، الإشارة هنا إلى الفرق بين الاستغاثة الجائزة والاستغاثة الشركية ، بين الاستغاثة التي نُثبتها والاستغاثة التي نُنكرها .

قال : { **إذا ثبت ذلك فإن الاستغاثة** }، إذا ثبت عندنا الفرق بين الاستغاثة الجائزة والاستغاثة الشركية بعد ذلك نأتي إلى ما يحصل من أمر الشفاعة وننظر أين نضع هذه الاستغاثة التي تحصل يوم القيامة

قال : { **إذا ثبت ذلك فإن الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، فهذا جائز في الدنيا والآخرة** } .

يعني أنه يجوز لك أن تطلب من إنسان تظن فيه الصلاح أن يدعو الله لك ، كأن تقول : (يا فلان أدعوا الله لي) ، يجوز لك أن تفعل هذا في الدنيا ويوم القيامة ، إن لقيت النبي ﷺ أو لقيت نوحاً ، كما هو الحال في الشفاعة الكبرى أن تسأله أن يدعو الله لك ، الشفاعة غاية مافيها أنها من قبيل التوسل المشروع الذي هو توسل بدعاء الرجل الصالح ، وهذا لا يُفهم منه أن تقول : يا فلان أغثني ، لا ، إنما المراد أن تأتي رجلاً تظن فيه الصلاح فتقول : (يا فلان أدعو الله لي) ، فإذا دعا الله لك فتذهب بعد ذلك وتصلي فتقول : (اللهم إن عبدك فلان قد سألك أن تفعل لي كذا وكذا ، اللهم فأقبل دعاءهُ فيَّ) ، فهذا نوعٌ من أنواع التوسل المشروع .

فالناس يوم القيامة لا يسألون الأنبياء أن يكشفوا عنهم ما هم فيه ، إنما يسألون الأنبياء أن يسألوا الله أن يكشف عنهم ماهم فيه ، وفرقٌ بين ما أراده أؤلئك وما هوحاصلٌ .

فالناس في يوم القيامة يأتون الأنبياء يطلبون منهم أن يسألوا الله جل وعلا لهم أن يُريحهم من شدة وكرب الموقف ،يسألون النبيّ ﷺ أن يدعو الله لهم ، ما يسألون النبيّ ﷺ ويقولون : يارسول الله أكشف عنا ، يارسول الله فرّجْ عنا ما نحن فيه ، وإنما كما جاء في حديث الشفاعة أنهم يقولون : (يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ قال

(فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله علي من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه علي أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب.) الحديث ، وفرقٌ بين أن يدعو النبيّ ﷺ نفسهُ أن يخلصهم وبين أن يطلبوا منه أن يدعو الله لهم ، فالأول شركٌ والثاني جائزٌ ، فالنبيّ ﷺ قال : (فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي) ، فذلك اليوم الملك فيه لله قال تعالى :﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ غافر: ١٦، إذاً النبيُّ ﷺ ليس بيديه شيءٌ هو محتاج أن يتقرّب وأن يتذلّلْ و ينكسر ، ويخضع ويذل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم بعد ذلك يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ،(ثم يفتح الله علي من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه علي أحد قبلي) ، بعد أن يفعل هذا قال : (ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع) ، وهذا فيه حجةٌ عليهم أن النبيَّ ﷺ يسأل الله (ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل) ، فلوا كانوا عقلاء وكانوا ممن يتابعون النبيّ ﷺ لعلموا أن إمامهم ومتبوعهم لا يسأل ولا يلجأ في تفريج الكربات إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا نبيكم ﷺ وهذا إمامكم وأُسوتكم وقدوتكم يلجأُ في كشف هذا الكرب وفي إراحة الناس من هذا الموقف العصيب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، أما هو فمخلوق ضعيف فقير مربوب ليس له من صفات الألوهية ولا من صفات الربوبية من شيءٍ بل هو فقيرٌ إلى الله محتاجٌ إليه فالناس لما

يأتون النبيّ ﷺ فالناس أحياء وحاضرون في أرض المحشر ويأتون لحيٍّ حاضر ، ما جاءوا لميّتٍ حتى يُستدلْ بفعلهم ، وما جاء الناس يوم القيامة ودعو غائباً ولا سألوا غائباً ولا تكلموا مع غائب ، إنما الناس أحياء حاضرون وجاءوا لحيٍّ حاضر ، إذاً أين هذا من دعاء الموتى وأين هذا من دعاءِ الغائبين ؟ .

ثم كذلك فإن الناس جاءوا لحيٍّ حاضر قادر فالنبيّ ﷺ قال : (فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي) ، طلبوا منه شيئاً في مقدوره أن يسأل لهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أين هذا من طلب الأحياء الحاضرين أموراً لا يقدرُ عليها إلا الله ؟ ، ثم كذلك هم أصلاً ما سألوا النبيّ ﷺ أن يكشف عنهم هذا بنفسه وإنما سألوه الدعاء أن يشفعْ لهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، يعني أن يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أن يُريحهم من هذا الموقف .

قال : { **يُريدون منهم** }، يعني : من الأنبياء .

قال : { **أن يدعو الله أن يحاسبَ الناسَ حتى يستريحَ أهلُ الجنةِ من كربِ الموقفِ ، وهذا جائزٌ في الدنيا والآخرة** . }، يعني : الدعاء ، أن تأتي لشخصٍ وتقول له : أدعُ الله لي .

قال : { **أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك، وتقول له: ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله – ﷺ – يسألونه في حياته** }.

يسألونه في حياته ، يأتي الواحد منهم إلي النبيِّ ﷺ ويقول : (يا رسول الله ادعُ الله لي)، فيسألون النبيَّ ﷺ أن يدعو لهم الله ﷻ ، وكتب السنة مليئة بهذا منها قول عكاشة رضي الله عنه للنبيَّ ﷺ : (ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قال : أنت منهم) ، وحديث الرجل الذي جاء إلى النبيَّ ﷺ في يوم الجمعة و النبيَّ ﷺ يخطب فقال : (يَا رَسُولَ اللهَّ قَحطَ الْمطَرُ ، وَاحمَرَّ الشَّجَرُ ، وَهلَكَتِ الْبَهَائِمُ فَادْعُ اللهَّ أَنْ يَسْقِيَنَا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، قَالَ : وَايْمُ اللهَّ مَا نَرى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً مِنْ سَحَابٍ فَأُنْشأَتْ سَحَابَةٌ فَانْتَشَرَتْ ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ وَنَزَلَ رَسُولُ اللهَّ - ﷺ - فَصَلَّى وَانْصَرَفَ فَلَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى)، ثم جاء في الجمعة المقبلة هو أو غيره : (فلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَخْطُبُ صَاحُوا فقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهَّ تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللهَّ أَنْ يَحْبِسَهَا عَنَّا فتَبَسَّمَ نَبِيُّ اللهَّ - ﷺ - ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا » . فَتَقَشَّعَتْ عَنِ الْمدِينَةِ فَجَعَلَتْ تُمْطِرُ حَوْلَهَا وَمَا تُمْطِرُ بِالْمدِينَةِ قَطْرَةً فَنَظَرْتُ إِلَى الْمدِينَةِ كَأَنَّهَا لَفِى مِثْلِ الإِكْلِيلِ.) رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ، وأبوهريرة سأل ﷺ أن يدعو الله أن يهدي أمه كما جاء في الحديث قال : (فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّ أُمِّي امْرَأَةٌ مُشْرِكَةٌ ، وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الإِسْلامِ ، فَتَأْبَى عَلَيَّ ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا ، فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ ، فَادْعُ اللهَّ أَنْ يَهْدِيَ أُمِّي ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَخَرَجْتُ أَعْدُو أُبَشِّرُهَا بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، فَلَمَّا أَتَيْتُ الْبَابَ

إِذَا هُوَ مُجَافٌ ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ ، وَسَمِعَتْ خَشْفَ رِجْلِي ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كَمَا أَنْتَ ، وَفَتَحَتِ الْبَابَ ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا ، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْحُزْنِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ ، فَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيَّ ، وَإِلَيْهَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَبِّبْهُمْ إِلَيْهِ) ، وحديث الرجل الذي قال : (ادع الله أن يرد علي بصري فأمره أن يتوضأ ، ويصلي ركعتين ويقول : اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ، نبي الرحمة ، يا محمد ، يا رسول الله ﷺ ، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه فيّ) ،ما قال يارسول الله رد علي بصري ، قال: (ادع الله أن يرد علي بصري)، كذلك حديث المرأة السوداء التي كانت تُصْرع قالت : (يارسول الله إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي ، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة ،وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر ، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف فدعا) ، هم يعلمون أن الشفاء ليس بيد النبيِّ ﷺ ، إنما يطلبون من النبيِّ ﷺ أن يسأل لهم الله الذي بيده الشفاء (يارسول الله إني أُصرع وإني أتكشف فادع الله لي ، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة) ، كذلك حديث : (اللهم إنّا كُنّا نستسقي بنبينا فتسقينا، وإنا

نستسقي بعمّ رسولك، قم يا عبّاس فادعو"، فيدعو العبّاس والنّاس يؤمِّنون.) ، إذا دعا الله أخذوا هم ، يدعون الله تعالى ويقولون : (يا ربنا إن العباس قد دعاك وطلبك أن تُغيثنا فأجب دعاءهُ فينا) ، كذلك عمر رضي الله عنه قال للنبيِّ ﷺ : (ادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، فَاسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ : أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ)، كذلك والدة أنس قالت : (يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِي أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ فَادْعُ اللَّهَ لَهُ) ، والأدلة كثيرة ، كذلك سُراقة بن مالك قال للنبيِّ ﷺ : (ادْعُ اللَّهَ لِي ، وَلاَ أَضُرُّكَ ، فَدَعَا لَهُ) الحديث ، والأدلة كثيرة .

قال : { **أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك، وتقول له: ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله - ﷺ - يسألونه في حياته** }.

يسألونه في حياته وما ذكرناه من هذه الأدلة فكلها شاهدة وكانت في سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبيِّ ﷺ أن يدعو الله لهم في حال حياته .

ولا يستطيع أحد أن يأتينا بصحابي واحد سأل النبيِّ ﷺ أن يدعو الله له في حال مماته ، ليس هناك صحابي واحد سأل النبيِّ ﷺ سواءً عند قبره أو كان بعيداً ، ولا يستطيع أحد أن يأتينا بصحابي واحد مثلاً في مكة و النبيِّ ﷺ في المدينة وهو يقول : يارسول الله ادعُ الله لنا ، لأن هذا شركٌ ،

وإن كان هذا في مقدوره في حالِ حياته ، كذلك ماثبت أن صحابياً جاء عند قبره فقال : يارسول الله ادعُ الله لي ، وأعظم من هذا وأغلظ أن يدعو النبي نفسه يقول : يارسول الله مطر، يارسول الله مدد ، يارسول الله شفاء ،هذا كله شرك بالله سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧.

قال : { وأما بعد موته فحاشا وكلا } ، هذا التعبير يُستخدم في المبالغة في النفي .

قال : { **وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه؟ !** } ، أنكر السلف على من قصد الله عند قبر النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، إنسان يأتي عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويقف عند قبره ما يريد أن يدعو النبيّ صلى الله عليه وسلم ولكنه يُريد أن يدعو الله عند القبر ، فهذا قد أنكره السلف رضوان الله تبارك وتعالى عليهم ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب أورد في كتاب التوحيد باباً مستقلاً في بيان هذا المعنى قال : [**باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح،فكيف إذا عبده؟**] ، هو ما عبد الرجل الصالح إنما عبد الله عند قبر هذا الرجل الصالح فكيف إذا عبد الرجل الصالح نفسه ؟ ، كذلك السلف أنكروا على من دعا الله عند قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فكيف بمن

دعا النبي ﷺ نفسه ؟ ، فهذا إنكارهم عليه أشد وأعظم وأغلظ ،

والشيخُ رحمه الله يُشيرُ إلى ما جاء عن علي بن الحُسين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: (فإنه رأى رجلاً كان يأتي إلى فرجة عند بيت النبي ﷺ يدعو فنهاه، وقال له: قال له ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي إن النبي ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليّ أينما كنتم فإن صلاتكم تبلغني)، يدخل إلى فرجة فيدعو الله فنهاهُ ، قال : لا تفعل هذا .

أبوهُ الحسين بن علي ، وجده علي بن أبي طالب ، قال: (لا تتخذوا قبري عيداً)، يقول له : ليس هناك داعي حتى تأتي عند القبر ، إذا أردت أن تسلّم على النبيِّ من مكانك فإنه يبلغه ولا يجوز لك أن تأتي هنا ، ما فعل هذا أبوبكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا أحداً من الصحابة .

قال : { **بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه؟ !** } ، فكيف يأتي هؤلاء ويدعون النبي ﷺ نفسه ؟ هذا شركٌ أكبر .

إذاً الذي نُنكره نحن أن يُستغاث بغير الله في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله ، أن يُستغاث بالموتى وبالغائبين مطلقاً سواءً كان في أمرٍ يقدرون عليه ، أو في أمرٍ لا يقدرون عليه هذا الذي نُنكره .

أما الاستغاثة بحيٍّ حاضر في إزالة كرْبٍ وشدة في أمرٍ يقدر عليه فهذه جائزة ، وما أتوا به من دليل فإنه خارج عن موطن النزاع ، نحن لا ننازع في أن تأتي رجلاً صالحاً فتطلب منه أن يدعو الله لك هذا جائزٌ ولا شيءَ فيه فهذه هي صورة الشفاعة .

قال الشيخ : { **هذه الشبهة خلاصتها أنهم يستدلون على أن جواز الاستغاثة – استغاثة العبادة – بسؤال الناس الأنبياء يوم القيامة، وطلبهم منهم أن يشفعوا لهم عند الله، فإنَّ الناس إذا وقفوا بين يدي الله يوم القيامة، واشتدَّ بهم الكرب، ودَنَتْ الشمس من الرءوس، حصل للناس شدة وكرب، فيموج الناس بعضهم في بعض، يستغيثون بالأنبياء أن يشفعوا لهم عند الله – كما سبق –، فآدم يعتذر، ثم نوح يعتذر، ثم إبراهيم يعتذر، ثم موسى يعتذر، ثم عيسى يعتذر، ثم يأتون النبي محمدًا – ﷺ – فيقول: أنا لها فيشفع عند الله بعد الإِذن له، وهذه تدلُّ على أنه يجوز للإِنسان أن يأتي عند القبر ويقول: يا فلان أغثني !.** }

فرقٌ بين الاستغاثة الشركية والاستغاثة الجائزة ، وما أتوا به من أن الناس يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى ، فهذا كله من أنك تأتي إلى حي حاضر قادر على أن يدعو لك ، فتطلب منه أن يدعو الله لك هذا جائزٌ ، أما أن تدعوه نفسه فهذا شركٌ .

لو قالوا : يارسول الله أكشف عنا ما نحن فيه من شدة وكربٍ فهذا شركٌ بالله ﷻ ، لأن ذلك ليس في مقدور النبي ﷺ ، والدليل على هذا أن النبي ﷺ سأل المالك وهو الله ﷻ ، تذلل وخضع وتقرّب للمالك بسجوده ، ثم سأل الله ﷻ أن يكشف ما بهم ، وهذا لما جاءوا إلى نوح ولما جاءوا لموسى وعيسى وإبراهيم إنما أرادوا من حيٍّ حاضر أن يدعو الله ﷻ لهم ، فأين هذا من الإستغاثة الشركية ؟ ولكن كما قال الشيخ : {} وبعض الناس يُخذل ويُحْرَمْ التوحيد ، ويُحَرَمْ الفهم بسبب الكبر ، فالكثير من الناس الآن الذين يعيشون في هذه البدع وفي هذه الضلالات وفي هذه الشركيات إنما يعيشون فيها ، وتُزّين لهم أعمالهم حتى يروها حقاً كما قال الله : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر: ٨ ، هذا بسبب الكبر الذي عندهم ، لا يقبلون نصحاً ولا يقبلون إرشاداً ولا توجيهاً ، لا يأحذون آيةً من كتاب الله ﷻ، ولا يأخذون بشيءٍ ممن صحَّ عن النبي ﷺ ، ويردون الحق كله على أهل الحق تكبراً وتعالياً ، وأمثال هؤلاء يُحرمون من التوفيق ومن الهداية كما قال الله : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

الأعراف: ١٤٦ ، و النبي ﷺ يقول : (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) ، أن يثبت عندك الحق وأن يصلك الحق فإذا بك تدفعه ولا تقبله ، قَالَ : (إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ) ، يعني إحتقار الناس ، فالكثير من الناس يحتقرون الناس لا سيما أصحاب الأموال كما قال أسلافهم :﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الزخرف: ٣١ ، وكما قال أسلافهم :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ الأحقاف: ١١ ، فالمقالات هي المقالات تتكرر، ربما تتغير الألفاظ إلا أن المعاني واحدة فالكثير من هؤلاء يُصرفون عن بسبب ما قام في قلوبهم من الكبر والتعالي على خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وسيأتون يوم القيامة كما قال تعالى عنهم :﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ الملك: ١٠ – ١١ قال: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾، هنا قالوا ليس لنا عقول ، لو أنك تقول له في الدنيا أنت ما عندك عقل لأقام الدنيا وما أقعدها ، ويوم القيامة يعترف بأنه ما كان له عقل نافع ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ ، فحُرموا السمع النافع وحُرموا العقل النافع ولكنهم سمعوا السمع التي تقوم به الحجة عليهم وعقِلوا

مراد الله وخالفوه قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ الصافات: ٣٥ – ٣٦ ، تعالي على أفضل خلق الله ، وما أشبه الليلة بالبارحة ولكنهم سيجدون مغبة ذلك كما قال ذلك العبد : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ غافر: ٤٤.

الشبهة الرابعة عشرة

قال الشيخ : { ولهمْ شبهةٌ أخرى : وهي قصةُ إبراهيمَ لما أُلقيَ في النارِ ، اعترضَ لهُ جبريلُ في الهواءِ فقالَ : ألكَ حاجةٌ ؟ فقالَ إبراهيمُ عليه السلام : أما إليك فلا ، قالوا : فلو كانتِ الاستغاثةُ بجبرائيلَ شِركاً لم يعرضْها على إبراهيمَ. }.

الشرح :

هذه هي الشبهة الأخيرة التي نقضها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومرجع هذه الشبهة : إلى الجهل بحقيقة الإستغاثة .

وملخص هذه الشبهة : أن الاستغاثة بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جائزة ولا تُعدُّ شركاً.

ودليلهم على هذا قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عرض على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يُغيثه ، قال : { فلو كانتِ الاستغاثةُ بجبرائيلَ شِركاً لم يعرضْها على إبراهيمَ. }.

الجواب على هذه الشبهة من وجوه :

الأول : أن هذه القصة التي اعتمدوا عليها لم تثبت ، روى الطبري في تفسيره وفي تاريخه عند قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن

كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٨، قال: حدثنا الحسن، قال : حدثنا الحسين قال حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه قال : (جاء جبريل إلى إبراهيم عليه السلام، وهو يوثق أو يُقمط ليلقى في النار، قال : إبراهيم، ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا) .

القمط : هو أن يجمع بين يدي الرجل ورجليه بحبلٍ.

وهذا الحديث الذي أخرجه الطبري في تفسيره بهذا الإسناد ولا يصح ؛ لأن فيه جهالة أصحاب المعتمر بن سليمان التيمي ، (قال حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه) ، ثم أن هذا المتن لم يُرفع للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ولو كان مرفوعاً لما قُبِلْ لجهالة أصحاب المعتمر بن سليمان التيمي ، ثم تأملوا في هذه الرواية ففيها : (جاء جبريل إلى إبراهيم عليه السلام ، وهو يوثق ويُقمط) ، ففيها أن العرض كان وإبراهيم عليه السلام يوثق قبل أن يوضع في المنجنيق ، وقبل أن يُلقى في النار ، وفي روايتهم أن جبريل اعترض له وهو في الهواء في طريقه إلى النار بعد أن قُذِف بالمنجنيق !!!. (أن إبراهيم لما رموا به بالمنجنيق في النار قال له جبريل وهو في الهواء: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال : فسل ربك ، قال : حسبي من سؤالي علمه بحالي).

وشبهةٌ أُخرى لهم عرضُ المَلَكْ *** جبريلَ في الهواءِ قائلاً أَلَكْ

من حاجةٍ لِإِبْراهيمَ إِذْ نُظِمْ *** في المَنْجنيقِ لِجَحيمٍ مُصْطَلِمْ

قالوا لِذا فالإسْتعانَةُ نَرَى ***جوازَها لعرضِ خيرِ السُّفَرا

قَبولَها على الخليلِ فَثَبَتْ *** أَن لا تُرى حُرْمًا ولا شِركاً يُبَتّ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى : (وما يروى أن الخليل لما ألقي في المنجنيق ، قال له جبريل : سل ، قال حسبي من سؤالي علمه بحالي ، ليس له إسناد معروف ، وهو باطل ، بل الذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال : حسبي الله ونعم الوكيل ، قال ابن عباس : قالها إبراهيم حين ألقي في النار ، وقالها محمد حين قال لهم الناس : ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ آل عمران: ١٧٣.) .

وقال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (١/ ١٨٣) : (وَمَا يُرْوَى أَنَّ الْخَلِيلَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي الْمَنْجَنِيقِ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : سَلْ قَالَ " حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي " لَيْسَ لَهُ إسْنَادٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ بَاطِلٌ بَلْ الَّذِي ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : " حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " وَأَمَّا سُؤَالُ الْخَلِيلِ لِرَبِّهِ ﷻ فَهَذَا مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَكَيْفَ يَقُولُ حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي ؟!) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً (٨/ ٥٣٨) :(وَأَمَّا قَوْلُهُ : حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي فَكَلَامٌ بَاطِلٌ خِلَافُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ دُعَائِهِمْ لِلَّهِ وَمَسْأَلَتِهِمْ إيَّاهُ وَهُوَ خِلَافُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ سُؤَالِهِمْ لَهُ صَلَاحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَقَوْلِهِمْ : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ

إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ البقرة/ ٢٠١)، والناظر في القرآن يجد أن الأنبياء أعظم الناس سؤالاً ودعاءً لله سبحانه وتعالى ، وكانوا يدعون الله ويتذلّلون له ، ويرفعون له جميع حوائجهم متبرئين من الحول ومن القوة خصوصاً ما كان من إبراهيم عليه السلام، كيف يقال له : سَلْ ربك فيقولَ : " حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي " ؟ والله جل وعلا أمرنا أن نسأله ، هذا فيه معصية لله إن تركنا سؤال الله كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : (من لم يسأل الله يغضب عليه) ، والله جل وعلا يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر: ٦٠، وإبراهيم عليه السلام كان من أشد الناس دعاءً لله ورغباً فيما عنده سبحانه وتعالى ، فقد أخبرالله جل وعلا عنه في القرآن أنه كان يدعوه في جميع حوائجه قال تعالى : ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الصافات: ١٠٠ ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧ ، هذه الآية وحدها كافية في نسف هذا الباطل فإنه عليه السلام حكى حاله ، والله جل وعلا يعلم حاله ، لما في حكاية الحال من التذلل والافتقار لله سبحانه وتعالى ، قال : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ ، والله جل وعلا يعلم

حاله ، لكنه يذكر هذا لما فيه من مزيد التذلل والإفتقار لله جل وعلا ،
وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى
وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٥، وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾
﴾ البقرة: ١٢٦، وقال الله ﷻ: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ
عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن
ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾
رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة: ١٢٦ – ١٢٩،
كم تجدون من دعاء إبراهيم لله جل وعلا ، كذلك قال الله ﷻ : ﴿ وَٱجْعَل
لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ الشعراء:
٨٤ – ٨٥ ، ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾
الشعراء: ٨٧ – ٨٨ ، إلى غير ذلك مما يبيّن لك بطلان هذه القصة .

قال العلامة الألباني عنها : (لا أصل له أوردها بعضهم من قول إبراهيم عليه السلام وهو من الإسرائيليات ولا أصل له في المرفوع) فهذه القصة باطلة .

جواب الشيخ على هذه الشبهة :

قال الشيخ : { فالجواب } ، وجواب الشيخ هذا مبني على التسليم بصحة هذه القصة فإن صحّت فالجواب عنها .

قال الشيخ : { فالجواب : أن هذا من جنس الشبهةِ الأولى ، فإن جبريل عليه السلام عرضَ عليه أن ينفعَهُ بأمر يقدرُ عليهِ } .

قال الشيخ : { ولهمْ شبهةٌ أخرى : وهي قصةُ إبراهيمَ لما أُلقيَ في النارِ ، اعترضَ لهُ جبريلُ في الهواءِ فقالَ : ألكَ حاجةٌ ؟ فقالَ إبراهيمُ عليه السلام : أما إليك فلا ، قالوا : فلو كانتِ الاستغاثةُ بجبرائيلَ شِركاً لم يعرضْها على إبراهيمَ. }.

من تأمل كلامهم رد عليهم منه فلنا أن نسأل سؤالا : هل عرض جبريل عليه السلام الاستغاثة على إبراهيم عليه السلام أم عرض عليه الاغاثة ؟ الجواب : عرض عليه الاغاثة .

وفرق بين الاغاثة والاستغاثة :

فالاستغاثة : هي فعل المستغيث وهي الطلب ، ولم يقل جبريل عليه السلام لإبراهيم يا إبراهيم عليه السلام استغث بي ، إذاً هو لم يعرض عليه الاستغاثة إنما عرض عليه الاغاثة .

وأما الاغـاثة : فهي فعل المغيث ، يعني أن غاية مافي الأمران أن جبريل

عليه السلام عرض على إبراهيم عليه السلام الاغاثة بأن يعينه فيخلصه من النار .

قال الشيخ : { فالجواب : أن هذا من جنس الشبهةِ الأولى ، فإن جبريل عليه السلام عرضَ عليه أن ينفعَهُ بأمر يقدرُ عليهِ ، فإنَّهُ كما قال الله تعالى فيه : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم : ٥] . } .

هذه الآية أوردها الشيخ ليستدل بها على قدرة جبريل وقوته والله جل وعلا قال عنه : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ۝٢٠ ﴾ التكوير : ٢٠ .

جوابُ هذي كجوابِ الأُولى *** فإنَّ روحَ القُدسِ جبرائيلا

لا شكَّ قادِرٌ على أَنْ يَنْفَعَهْ *** إما بِطَفْءِ النارِ أَو أَنْ يَرْفَعَهْ

إِلى السَّما أَو بِتَغيُّبٍ إِذا *** أَمَرَهُ من عنه دافعَ

قال : **{ فلو أذنَ اللهُ لهُ أن يأخذَ نارَ إبراهيمَ ، وما حولَها من الأرضِ ، والجبالِ ، ويُلقيها في المشرقِ أو المغربِ لفعلَ }** ، وذلك لعظيم قوته ، فالله جل وعلا أعطاهُ قوة عظيمة ، قال تعالى : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ۝٢٠ ﴾ ، وهنا قال : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾ ، ولذلك لما سلّطه الله على قوم لوط اقتلع أرضهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السموات صياح الديكة ثم جعل عاليها سافلها .

قال : { فلو أذنَ اللهُ لهُ أن يأخذَ نارَ إبراهيمَ ، وما حولَها من الأرضِ ، والجبالِ ، ويُلقيها في المشرقِ أو المغربِ لفعلَ ، ولو أمرَهُ الله أن يضعَ إبراهيمَ في مكانٍ بعيدٍ عنهم لفعلَ ، ولو أمرَهُ أن يرفعَهُ إلى السماءِ لفعل .}

مراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا أن يقول لك إن تخليص جبريل لإبراهيم من هؤلاء في غاية من اليسر والسهولة عليه .

ثم نقول إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عرض عليه الإغاثة ، وهل استغاث إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ به حتى تصلح هذه القصة دليلاً على فرضِ ثبوتها ؟ ، هل تجدون فيها أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ استغاث بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ ، لا ، غاية مافي الأمر أن جبريل عرض على إبراهيم أن يعينه وهو حيٌّ حاضرٌ قادر ، فسبحان من أعمى قلوب أعدائه ، وهذا في كلامهم الذي أوردوه { فقالَ : ألكَ حاجةٌ ؟ فقالَ إبراهيمُ عليه السلام : أما إليك فلا } ، فكان الواجب عليهم أن يتأسوا بإبراهيم الذي أغمض عين قلبه عن الالتفات إلى أحدٍ غير الله ، لا جبريل ولا غير جبريل ، قال : (أما أنت فلا) ولكن هؤلاء عكسوا الأمور كما قال الله : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٢، فكان الواجب عليهم أن يتأسوا بإبراهيم الذي أعرض عن كل من سوى الله وأقبل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، بل ترك ما هو جائزٌ ، فعلى فرض صحة هذه القصة فإن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ترك ما

هو جائزٌ توكلاً على الله وإعتماداً عليه ولكن سبحان من أعمى قلوب أعدائه .

ثم من جهلهم قالوا : { فلو كانتِ الاستغاثةُ بجبرائيلَ شِركاً لم يعرِضْها على إبراهيمَ. } ، نقول : إن جبريل عرض عليه الإغاثة ولم يعرض عليه الإستغاثة ، ولو أنه عرض عليه الإستغاثة فقال له : (يا إبراهيم لو أردت الخلاص من هذا فاستغث بي) ، لو قال له هذا فإنه ليس في هذا من حجة على أن الاستغاثة بغير الله جائزة ، فربما كان هذا من قبيل الإبتلاء قال الله عز وجل : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾

العنكبوت: ٢ – ٣ ، فربما أن الله ابتلاه بعرض جبريل لذلك عليه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها؛ نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها؛ نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا؛ إلا ما أشرب من هواه) ، وهذا بتقدير الله تُعرض بأسبابها على القلوب حتى يُعلم الصادق من الكاذب ، وهذا لا يدلُّ على جوازها ، وجاء في رواية قال : (عرض له جبريل وهو في الهواء إبتلاءً من الله عز وجل .فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا)

قال الشيخُ : {**وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا ، فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئا يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد** } .

هذا ليس فيه أي إشكال ، عرض عليه أن يُعينه وأن يساعده فأبى فقال له : (خلني وربي أنا أصبر حتى يجعل الله جل وعلا لي فرجاً ومخرجا)

قال الشيخُ : { **فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟** }

أين هذا من هذا ، وكإنسان يعرض عليك أي نوع من أنواع المساعدة فتأبى وتصبر على ما أنت عليه حتى يجعل الله لك الفرج ، فهذه الشبهة من أوهى شبهاتهم .

الخاتمة

في بيان تعلق التوحيد بالقلب واللسان والجوارح

قال الشيخ : { ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها }

الشرح :

ختم الشيخ هذا الكتاب بذكر هذه المسألة العظيمة وما يتعلق بها ، والمسألة التي أراد الشيخ تقريرها هي تعلّق التوحيد بالقلب قولاً وعملاً وباللسان قولا وبالجوارح عملاً ، وحكم من أخلّ بشيءٍ من ذلك ، هذه هي المسألة العظيمة التي أفرد لها الشيخُ هذه الخاتمة ، والشيخ يقول : وإن كانت هذه المسألة تُفهم مما قدّمناه .

قال الشيخ : { ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها } ، إذا أفردها بالذكر ونصّ عليها لأمرين :

الأول : لعظم شأن هذه المسألة ، ولا شك أن هذه المسألة مسألة عظيمة فالتوحيد لا يحصل إلا بها .

الأمر الثاني : لكثرة الغلط في التوحيد ، فالكثير من الناس يغلطون فيه .

قال الشيخ : { فنقول: لا خلاف } ، يعني البتة بل الاجماع منعقدٌ على هذا .

قال الشيخ : { فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً } .

لا يكون الإنسان موحداً إلا بهذا ، فلا بد أن توّحد الله بقلبك ، يعني أن تعتقد أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه ، وأنه لا يشاركه في ذلك لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ صالح بل كل من سواه مربوب لا يستحق العبادة ولا شيئاً منها ، فنعقدُ قلوبنا على هذا متبرئين من عبادة كل معبود سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

ومن توحيد القلب أيضاً أن نُفرد الله بالعبادات القلبية كالمحبة والخوف والرجاء والرغبة والخشية والإنابة هذا هو المراد من توحيد الله بالقلب ، والخلل في هذا يحصل بأن نعتقد خلاف هذا ، فإن اعتقدت أن أحداً غير الله جل وعلا يستحق العبادة أو شيئاً منها ، أو اعتقدت أن أحداً غير الله جل وعلا تجوز عبادته فأنت مشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ولو لم تعبد غير الله ولو لم تجعل العبادة أو شيئاً منها لغير الله ، فلو أن إنسانا اعتقد أن غير الله جل وعلا يستحق العبادة فهذا مشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أخل بتوحيد القلب ولو لم يعبد غير الله البتة ، ولو جرّد العبادة لله ، مع هذه العقيدة فإن توحيد قلبه يفسد ، وكذلك إن جعل شيئاً من العبادات القلبية لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كذلك يفسد بذلك توحيد قلبه .

قال الشيخ : **{ ولا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل } .**

فلا بد أن نوّحد الله باللسان ، توحيد الله باللسان المراد به النطق والتلفظ بـ (لا إله إلا الله) ، وهذا النطق والتلفظ إنما هو تعبيرٌ أو إخبار عن ما أنطوى عليه القلب من الاعتقاد ، فلا تظن أنها ألفاظ تلوكها بلسانك ، فإنك لما تتلفظ بهذه الشهادة ولما تنطق بهذه الشهادة فأنت تعبّر بذلك أو تُخبر بذلك عما أنطوى عليه القلب من الاعتقاد ، وتُخبر كذلك عن إلتزامك بـ (لا إله إلا الله) وبما دلت عليه ، فإذا قال العبد (لا إله إلا الله) فهذا اللفظ معناه أنه يُخبر عما أنطوى عليه قلبه من الاعتقاد ويُعقد عهداً بينه وبين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أن يلتزم هذه الكلمة وما دلت عليه، ويحصل الخلل في توحيد اللسان بأن يمتنع الإنسان من النطق بهذه الكلمة مع القدرة ، كما يحصل الخلل كذلك في توحيد اللسان بإن يتلفّظ هذا اللسان بالكفر وبالشركِ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيختل بهذا توحيد لسانه.

قال الشيخ : { **لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل** } ، يعني : الجوارح ، لا بد أن نوحّد الله بجوارحنا .

وتوحيد الجوارح أن نعمل بمقتضى (لا إله إلا الله) ، بأن نجرّد العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده لا شريك له بجوارحنا فلا نتعبّد لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بجارحة من الجوارح ، يعني أن نجعل العبادة كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن لا نجعل منها شيئاً لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وتوحيد الجوارح يختل بأمرين :

الأمر الأول : بأن يترك الإنسان عبادة الله بالكلية ، بأن لا يعبد الله جل وعلا بجوارحه .

الأمر الثاني :أن يعبد الله ﷻ بجوارحه ويعبد غير الله من المخلوقين .

إذاً حتى تكون مؤمناً موحّداً لا بد أن توحد الله بقلبك وأن توحد الله بلسانك وأن توحد الله بجوارحك ، فالتوحيد قولٌ وعملٌ واعتقاد ، ولا يحصل التوحيد إلا بمجموع هذه الثلاث ، فإن حصل خللٌ في واحدٍ منها حصل الخللُ في التوحيد كلّه ، ولا يكون الإنسان موحداً إذا حصل له خللٌ في واحدٍ من هذه الثلاث ، إذاً الموحّد من وحّد الله بقلبه وبلسانه وبجوارحه وبهذا يكون الإنسان مسلماً .

قال الشيخ : { **فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا** } ، الإشارة هنا إلى توحيد القلب وتوحيد اللسان وتوحيد الجوارح .

قال الشيخ : { **لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر مرتد معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما** } .

إذا عرف الإنسان التوحيد ، يعني علم أن الله جل وعلا هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ولم يعمل به فإنه لم يوحد الله لا بقلبه ولا بلسانه ولا بجوارحه، وهذا كافر ، فكل من ترك العمل بالتوحيد وترك العمل بالحق مع تصديقه بأنه حقٌّ ولكن تركه عناداً فهذا كافر .

مثال ذلك أن يعلم صدق الرسول ﷺ وأن ماجاء به هو الحقُّ من الله سبحانه وتعالى ثم يترك هذا عناداً فهذا كافر ككفر إبليس وفرعون وأمثالهما كاليهود، كل هؤلاء عرفوا الحقّ، الله عز وجل قال عن اليهود: ﴿...فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾ البقرة: ٨٩، فهؤلاء عرفوا الحق ولم يعملوا به فلعنهم الله وكفرهم، وقال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ...﴾ البقرة: ١٤٦، وقال الله جل وعلا عن فرعون: ﴿...لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ۝١٠٢﴾ الإسراء: ١٠٢، أي هالكاً لأنه عرف الحق ولم يعمل به كما قال الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤﴾ النمل: ١٤، وقال الله عز وجل: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝٣٣﴾ الأنعام: ٣٣، والجحد يكون باللسان.

فالجحد: هو انكار مافي القلب إثباته، أو إثبات مافي القلب نفيهُ، وهذا يكون باللسان.

قال الشيخ: { فهو كافر مرتد معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما }، هؤلاء كفروا كفر اباء واستكبار وهو المنافي للانقياد والقبول، فإبليس

تلقّى الخطاب من الله مباشرةً بلا واسطة فأمره الله بالسجود لآدم قال تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ ، وهذه عبادة الله جل وعلا أمرهم بها ، وقد كان إبليس مصدقاً ، ما كان إبليس شاكاً أبداً في الله ولا في وجوده ، ولا في أنه خلقه ، ولا في أنه الرب الذي يجبُ أن يُعْبد ما عنده شك في هذا و تلقّى الخطاب من الله جل وعلا مباشرةً .

قال الشيخ :{ **وهذا يغلط فيه كثير من الناس ، يقولون: إن هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه حق، ولكننا لا نقدر أن نفعله** } ، يعني : أن غلط هؤلاء جاء من جهة أنهم ظنوا أن المعرفة بالحق وأن العلم بالحق ، وبأن ما جاء به الأنبياء وما عليه أهل التوحيد حقٌّ ، وأن الشهادة بأن التوحيد تكفي وحدها في نجاتهم وهذا الصنف كثير في المجتمعات فبعض الناس يظن أن المعرفة بالتوحيد وحدها تكفي.

قال الشيخ :{ **وهذا يغلط فيه كثير من الناس ، يقولون: إن هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه حق، ولكننا لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، أو غير ذلك من الأعذار.** } .

يعني : يعتذر عن عدم العمل وعدم الاستقامة على التوحيد ،وعدم اظهار التوحيد بأن يقول لك : لا أستطيع أن أخالف جميع أهل بلدي ، وأهل

بلدي يعادون من وحّد الله وأنا لا أقوى على معاداتهم ويصيح ويعتذر ، ويظن أن هذه الأعذار التي يذكرها من الأعذار المعتبرة في الشريعة .

قال الشيخ : { **ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار .** } ، إلا لشيءٍ من الأعذار عندهم ، التي يعتذرون بها لكن هذه الأعذار ليست معتبرة في الشرع .

قال الشيخ : { **كما قال تعالى: ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ... ﴾ [التوبة:٩] .** } .

هؤلاء عندهم عذر وهو المحبة للدنيا ، المحبة للدرهم والدينار ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ... ﴾ ، استعاضوا وتركوا الأخذ بالقرآن والأخذ بالسنة ، والأخذ بما دل عليه القرآن ، والأخذ بما دلت عليها السنة، وأعظم ذلك تجريد التوحيد بالقلب واللسان والجوارح .

تركوا هذا لأجل الدنيا ، ربما أنه عُيِّن إماماً في مسجدٍ من مساجد المتصوفة يُعطى شيئاً من المال أو ربما أُعطيَ منصباً بأن تكون الدولة صوفية ويأتون به ويجعلونه وزيراً للشؤون الإسلامية فإذا به يُقِّر الشرك ويخرج مع أصحاب الشرك ويُشاركهم الشرك بالله والسبب أنه أحب الدنيا ، أحب الدرهم وأحب الدينار وترك الحق لأجل هذا ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ... ﴾ ، وهذا معناه أن الإنسان لو أكل أموال

الدنيا كلها لكانت لا تسوى شيئاً بالنسبة إلى المتمسك بالدين والأخذ بآيات الله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ ﴾ مريم: ١٢ ، ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ البقرة: ٦٣.

قال الشيخ : { وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾ [البقرة:١٤٦]. }

أتى الشيخ بهذه الآية مستدلاً بها على أن اليهود عرفوا الحق وما أغنت عنهم هذه المعرفة ، لأنهم تركوا الحق وتركوا العمل بالحق حسداً وبغياً وظلماً وهذه الأسباب ليست معتبرة .

بيان انقسام الناس باعتبار تعلّق التوحيد بالقلب واللسان والجوارح

الأول : المؤمنون الموحدون : وهم الذين وحّدوا الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم .

الثاني :من اكتفى بالمعرفة : وهم الذين عرفوا ما معنى توحيد الله بالقلب و ما معنى توحيد الله باللسان و ما معنى توحيد الله بالجوارح لكنهم تركوا العمل بهذه المعارف ، وظنوا أن المعرفة وحدها لا تكفي .

الثالث : من يُظهر التوحيد أمام الموحدين ويظهر حب التوحيد أمامهم لكن قلبه خاوٍ من الاعتقاد الصحيح .

قال الشيخ : { فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق }.

وهذا حال بعض الناس تجد أنه يمشي مع أهل التوحيد ويُظهر تجريد التوحيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولكنه ما يعتقد هذا بقلبه فليس في قلبه أن الله جل وعلا هو الذي يستحق العبادة وحده ، ولا يحب هذا بقلبه ولكنه يعمل بهذا ظاهراً قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ ﴾ المجادلة: ١٦، جُنةً : يعني ساتراً .

قال الشيخ : { فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء:١٤٥]. }.

وغِلْظ العتاب يدلُّ على غلظ الكفر ،فهذا حال المنافق قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ البقرة: ١٤، فيجب على الإنسان أن يحذر خاصة طالب العلم ، ربما أن الواحد يجلس في مجالس العلم وإذا خرج منها ورجع إلى أهله إذا به يمارس الشرك مع أهله ، فإذا ن خرج أهل بلده وأقاموا شيئاً من حِلق الذكر المبتدعة التي يضربون فيها الطبول ويتصايحون فيها كتصايح الحمير ويدعون فيها غير الله ويستغيثون بغير الله ويجمعون أنواعاً من الفسق والمجون ،في قصائدهم هذه ، شاركهم في

هذا الباطل ، وربما انهم ذهبوا لزيارة بعض المشاهد الشركية فإذا به يخرج معهم وربما انهم قدموه ليفتتح لهم هذه البدع بقراءة شيءٍ من القرآن فهذا ما عرف التوحيد ، ولا هو من أهل التوحيد .

قال الشيخ :{ **وهذه المسألة مسألة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به .** } ، يعرف الحق ويترك العمل بالحق .

قوله :{ **لخوف نقص دنيا**} ، يقول لك إذا أظهرت التوحيد لهؤلاء الناس ، وإذا دعوتهم إلى التوحيد أو أنكرت عليهم الشرك ، أنا تاجر وأنا أبيع واشتري فإن فعلتُ ذلك لا يشترون مني ، وإلى غير ذلك من الأعذار التي يحصل بها النقصُ في الدنيا .

قال :{ **أو جاه** } ، كذلك يخاف أن ينقص عليه شيءٌ من المناصب أو من التجارة أو من الرئاسة أو من المنزلة والمكانة في قلوب الناس إلى غير ذلك

قال :{ **أو مداراة لأحد** } ، وهذا صنفٌ من الناس وبعضهم من يترك العمل لأجل هذا أو لأجل المداراة ، والشيخ رحمه الله أراد بالمداراة المداهنة .

فمداهنة الناس : هي أن تتنازل عن الحق حتى يرضى عنك الناس كما قال تعالى : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ ﴾ القلم: ٩.

قال الشيخ :{ **أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقده بقلبه فإذا هو لا يعرفه.**} .

كذلك نجد أن بعض الناس يعمل بهذا في الظاهر ولكن إذا سُئل ما معنى التوحيد ؟ لا يعرف ، وهذا دليل على عدم المحبة ، فإن الإنسان إذا أحب شيئا أحب تعلمه وأحب العمل به ، والمنافقون ما عندهم همة ولا رغبة أصلاً في معرفة الخير ولا في العلم كما قال الله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ محمد: ١٦.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وحّدوا الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم ، وأن يقوّي التوحيد في قلوبنا وأن يقوّيه في جوارحنا وفي ألسنتنا ويُثّبتنا عليه إلى أن يتوفانا على ذلك هو وليُّ ذلك والقادر عليه .

بيان من الذي يُعذر بترك العمل بالتوحيد مع علمه به ومن الذي لا يُعذر

قال الشيخ : { **ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله .** } .

الآيتان هاتان يظهر بهما من الذي يُعذر بترك العمل بالتوحيد مع علمه به ، ومن الذي يُعذر بفعل أو قول الكفر مع علمه به ، إذاً ليس هناك جهلٌ ، إنسان يعرف التوحيد ويعلمه ولكن يترك العمل به ، وآخر يعلم الأقوال الكفرية ويعلم الأفعال الكفرية ويقع فيهما ، فهاتان الآيتان يظهر لك بهما بيانُ هذا ، يظهر لك منهما من الذي يُعذر بترك العمل

بالتوحيد مع معرفته به و من الذي يُعذر بفعل أو قول الكفر مع علمه به ومن الذي لا يُعذرْ .

بيان كفر من تكلم بالكفر مازحاً أو جاداً وفهم آيتين :

الآيةُ الأولى :

قال الشيخ : { أولاهما قوله تعالى: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [التوبة:٦٦] فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها. } .

أراد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يُبيّن لك أن من تكلم بالكفر هازلاً كفر وخرج عن الملة فكيف بمن تكلم بالكفر جاداً ، و كيف بمن تكلم بالكفر خائفاً على منصبه أو خائفاً من نقصِ ماله أو خائفاً على جاهه ، أو خائفاً من أن يُطرد من وطنه فهذا كافرٌ من باب أولى ، ولذلك قال الله عن هؤلاء : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ ﴾ التوبة: ٦٥ ، إذاً هؤلاء الآن تكلموا بالكفر وهم على معرفةٍ به ، يعلمون أن ما تكلموا به من الكفر وجاءوا معتذرين قالوا : يارسول الله كنا نمزح ، فما عُذِروا قال الله : ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ... ﴾ **[التوبة:٦٦]** ، فهذه الآية فيها أن من تكلم بالكفر

عالماً به مازحاً كان كافراً ، ويكفر من باب أولى من تكلم بالكفر عالماً به جاداً ، ومن تكلم بالكفر عالماً به خوفاً على دنياهُ خوفاً على منصبه خوفاً على ماله أو مشحةً بوطنة يجب أن يعلم هذا حتى لا يتهاون أحد في هذه الأمور .

قال الشيخ : { تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مالٍ، أو جاهٍ } .

يمشي مع أهل بلده على الشرك فيدعو معهم غير الله أويستعين معهم بغير الله ، و يستغيثون بغير الله فيستغيث معهم بغير الله لأجل أن له تجارة إن امتنع عن دعاء غير الله معهم أو امتنع عن مشاركتهم في الشرك نقص ماله أو أنهم قاطعوه أو أنه إن كان رئيساً عليهم سيزيلونه عن هذا المنصب وهذه الرئاسة ، ولا يبقى له بينهم جاهٌ ولا مكانة ، فهذا كافر ، إذ ليس هناك سببٌ يُعذرُ به .

قال الشيخ قال الشيخ : { أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها. } ، الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يريد هنا المداهنة كما سبق .

فالمداراة : هي ملاطفة وملاينة ليس معها فعل محرم ولا ترك واجب .

يعني : يلاطف ويُلاين بعض الناس دون أن يتنازل ، بترك واجب أو بفعل محرم أو أن يسكت على باطل فهذه هي المداراة في الشريعة ، فالنبيّ ﷺ (استأذن عليه رجل فلما رآه قال " بئس أخو العشيرة وبئس ابن

العشيرة ، فلما جلس تطلق في وجهه وانبسط إليه) ، لما استأذن أن يدخل قال : (ائذنوا له بئس أخو العشيرة) ، فلما دخل ألانَ له الكلام ، فهذه مداراة .

أما المداهنة : فهي ملاطفة وملاينة معها تركُ واجب أو فعلُ محرّم أو السكوت عن باطل .

وبعضهم يقول :المداراة : هي بذل الدنيا لإصلاح الدين والدنيا .

أما المداهنة : فهي ترك الدين أو ترك بعض الدين لإصلاح الدنيا .

فهذا الفرق ، فبعض الناس يُداهن ، يعني أنه يُلاطف ويلاين مع ترك واجب ، ربما أنه ترك واجباً في ملاطفته وملاينته لهؤلاء ، يترك واجباً أو يواقع معهم محرماً أو يسكت على منكر ، فهذا باطل لا يجوز ، فالمداهنة محرمة والمداراة مشروعة ، كما قال الله : ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ آل عمران: ٢٨.

الآيةُ الثانية :

قال الشيخ : { والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ ...﴾ [النحل:١٠٦-١٠٧] الآية }.

قال : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ... ﴾ ،فمن آمن ثم كفر من بعد إيمان فإنه يكون كافراً ، قال : ﴿ ...إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ... ﴾ ، فالله ﷻ ما عذر إلا المكره ، إلا من أُكرِهَ وقلبه مطمئن بالإيمان ، بأن يكون الإيمان ثابتاً في قلبه ، بأن يكون معتقداً له .

قال الشيخ : { **فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً أو مداراة، أو مشحةً بوطنه** } .

مشحةً : يعني يرى الوطن عزيزاً ، يعز عليه أن يفارق وطنه ولذلك يقول : أكفر وأتكلم بالكفر وأمشي معهم على ماهم عليه ولا أفارق بلدي.

قال الشيخ : { **أو أهله أو عشيرته** } ، وبعضهم يشق عليه أن يفارق أهله ، يكفر ولا يفارق أهله ، يكفر ولا يفارق عشيرته.

قال الشيخ : { **أو ماله** } ، وبعضهم عندهم المال أهمّ من الدِّين فربما أنه أضاع دينه بسبب المال ، كما قال النبيُّ ﷺ : (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْل الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُل مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قال الشيخ : { **أو فعله على وجه المزح.** } ، يعني : فعل الكفر على وجه المزحِ .

قال الشيخ : { أو لغير ذلك من الأغراض.} ، وهذا معناه أن من تكلم بالكفر أو فعل الكفر أو اعتقد الكفر طائعاً مختاراً فهو كافر .

قال : {إلا المكره.} .

من تكلم بالكفر من غير إكراهٍ هذا كافر ، إذا قال كفراً مع علمه به من غير إكراهٍ هذا كافر ، ، وإذا فعل الكفر مع علمه به من غير إكراهٍ فهذا كافر وإن كان قلبه مطمئناً بالإيمان هو فعل الكفر وقال الكفر طائعاً مختاراً و قلبه مطمئن بالإيمان هذا كافر قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ النحل: ١٠٦، وآخر لم يكره على الكفر بل انشرح صدره بالكفر فاعتقد الكفر لكن ما تكلم به ولا عمل به فهذا كافرٌ كذلك

قال الشيخ : { فالآية تدل على هذا من جهتين } ، الإشارة في قوله : (هذا) راجعة إلى ما مضى من تقرير أن من تكلم بالكفر مع علمه به من غير إكراهٍ كفر ، وأن من عمل بالكفر مع علمه به من غير إكراهٍ ، وأن من انشرح صدره بالكفرِ ولو لم يفعله ولو لم يقله كفر .

قال الشيخ : { الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾ ، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره .} ، مراده أن من تكلم بالكفر أو فعل الكفر طائعاً مختاراً فإنه يكفر .

قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾ ، هذا قيد ، ويُفهم من القيد الثاني ﴿ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ ، أن من انشرح صدره بالكفر ولولم يتكلم به ولو لم يفعله فإنه يكون كافرا .

قال الشيخ : { **ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها.** } ، الإكراه لا يكون على تغيير العقيدة التي في القلب لأن العقيدة التي في القلب لا سبيل إلى الإطلاع عليها لذلك قال النبيُّ لأسامة ﷺ : (هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟!) ، إذا الإكراه ما يكون على العقيدة ولذا فإن الذي يتحقق في حقه الإكراه ،هومن تكلم بالكفر وطاوع ظاهراً في الكلام بالكفر أو فعل الكفر ، وأما الباطن فإيمانه ثابت وراسخٌ في قلبه .

قال الشيخ : { **ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها.** } .

الإكراه : هو حمل الغير على فعل أو قول ما لا يريده بالوعيد بالقتل أو غيره ، يعني أن يجبر على أمر لا يريده فلو أن الشخص خُلِّيَ بنفسه ما فعل هذا الفعل ولا قال هذا القول .

وبعضهم قال الإكراه : هو إلزام الغير على ما لا يريده .

وبعضهم قال الإكراه : هو الإلجاء إلى قول أو فعلٍ قهرا.

الإكراه ينقسم إلى قسمين :

الأول : الإكراه المُلّجِئ : (الإكراه التام) ، وهذا التقسيم باعتبار النظر إلى نوع التهديد فإن كان مما يتحمل فهو غير ملجيء وإن كان مما لا يتحمل فهو ملجيءوهو ما كان فيه التهديدُ بقتلٍ أو قطع عضوٍ أو حبسٍ طويل أو ضربٍ مبرح ممن يمكنه فعل ما هدد به .وهنا لا يكون للمكره قدرة على الامتناع ويكون كالآلة في يد المكره .

الإكراه غير الملّجئ : (الإكراه الناقص) ، هو ما كان التهديدُ فيه بما هو دون التهديد بقتل أو إتلاف عضو ويمكن للمكره الصبر عليه كالتخويف بضرب أو حبس أو اتلاف شيء يسير من المال .

شروط الإكراه :

الأول : أن يكون المُكْرِه قادراً على إيقاع ما هُدّدَ به ، والمكره عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

الثاني : أن يغلب على ظن المكرَه أن المُكْرِهَ سينفّذ ما هُدّدَ به في الحال .

الثالث : أن يكون المهدد به شاقاً على المُكْرِهِ لا يتحمله .

قال الشيخ : { والثانية: قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل:١٠٧] } .

هنا كشف لك عن السبب الذي جعلهم يقولون الكفر ، وتنشرح صدورهم به وهو أنهم استحبوا الحياة الدنيا .

قال الشيخ : { **فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين .** } .

يعني بسبب حظ من حظوظ الدنيا يحب المناصب والمال ، يحب الوطن ، يحب الأهل ، يحب العشيرة ، يحب شيئاً من الدنيا فاختار هذا ولو كان في ذلك ضياع دينه فهذا لا يهمه ، همه أن يحافظ على دنياه وأن يحافظ على ماله .

وتجد الكثير من هذا في كثير من الناس ربما أن الواحد منهم إذا أُصيبَ بمرضٍ يذهب إلى السحرة والدجاجلة والكهنة ، تقول له : يافلان اتق الله كيف تتعاطى الكفر ؟ يقول لك : أريدُ أن أتعالج ، تقول له : تريدُ أن تتعالج بالكفر ؟ يقول لك : أريدُ أن أتعالج بأي شيءٍ وهذا كثيرٌ ولا يُبالي الواحد منهم بدينه: (يَبيعُ دينَهُ بِعَرَضٍ مِن الدنْيا) .

قال الشيخ : { **وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين ،والله ﷻ أعلم وأعز وأكرم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم** } .

قد عانى الشيخ في زمانه من أُناس من هذه الأصناف ربما كان الواحد منهم على علمٍ وعلى معرفة بالتوحيد فيخالط أهل الشرك ويمشى معهم ، وهذا والله ماشاهدناه ورأيناهُ .

فتجد أنه يعرف التوحيد ويعرف العقيدة الصحيحة فإذا به يمشى معهم في أي مكانٍ في مكان ويمارس شركيّاتهم في حِلقهم التي يعقدونها لأجل الشرك ، ويشاركهم مدائحهم وقصائدهم ويجاملهم ، وأنت إذا تكلمت معه يقول لك : أنا أعرف التوحيد ، تقول له : أين العمل بالتوحيد ؟ ، تترك العمل بالتوحيد مجاراةً ومجاملة لهؤلاء ؟ أنت كافر أنت وهم سواء .

وأذكر مرة ونحن في الثانوية وعندنا مدرّسْ التربية الإسلامية وهوخرّيج الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية فجاء قوله تعالى : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الفتح: ١٠، فأخذ يؤوّل في الصفات ويأتي بمذاهب الأشاعرة ويقرّر هذا في الطلاب فغضبتُ غضباً شديداً وقلتُ : لن أتركه فرفعتُ يدي وتناقشتُ معهُ وأوردت له الأدلة ، وذكرتُ له مذهب السلف ، فقال : هذا الذي ذكرته أنت أنا قد درسته أربع سنوات و هو مذهب السلف ، وما ذكرته أنا هذا مذهب الخلف ، قلتُ سبحان الله ، ما الذي أمرنا الله جل وعلا باتباعه ؟ أ أمرنا بإتباع مذهب السلف أم أمرنا بإتباع مذهب الخلف ؟ اتق الله .

وهب أنه ما أعترض عليك أحد ، ما هي العقيدة التي تُقرّر في نفوس هؤلاء المساكين ؟ ومن أين لهم أن يعرفوا أن ما ذكرته هذا هو مذهب الخلف ؟ وهو مذهبٌ باطلٌ ولماذا اقتصرت عليه ؟ .

ذكرت هذا حتى تعلموا أن هذه الأصناف موجودة فخرج المعلم من الفصل الذي كنا فيه إلى الفصل الآخر ودرّس نفس الآيات ودرّس نفس الأحاديث ، وسألتُ طالباً يدرس في ذلك الفصل ، قلتُ لهذا الطالب ماذا قال لكم عندما جاء عند هذه الآية : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ الفتح: ١٠ ؟ فإذا به يأتي بمذهب التأويل .سبحان الله ،أنت درست الحق لأربع سنوات ثم أتيت وتركت الحق وعرضت باطلك هذا ونوقشت في هذا ، وأقررّت بأن ما ذكرته هو مذهب الخلف ، وأن الواجب علينا أن نتابع السلف ثم تذهب مرة أخرى فإذا بك تفسر هذه الآيات على طريقة الأشاعرة ، وعلى طريقة المؤولة هذا كله من أجل الدنيا ، وأمثال ذلك كثير .

وكم ممن يجامل ويساوم في العقيدة وهو مسكين يظن أنه على العقيدة ، هذا ليس على العقيدة ، وهذا لا يجوز ، أنت تعلم أن هذا القول من الكفر ، وأن هذا الفعل من الكفر ، وأن هذا الاعتقاد من الكفر ، فإن اعتقدته وقلته أو علمته كنت كافراً ، لا تجامل ، إذا خرجت من هذا المكان إلى أيِّ مكان أُثْبُت على عقيدتك وأصدع بها ولا تجامل ولا تجاري أحداً ، فهذا

الأمر خطير ، فإنك إذا ذهبت إلي بلدك وجاريت أهلك ووافقتهم على على ما هم عليه خوفاً منهم أو خوفاً على مكانتك ، أو على منصبك ، أو مشحة بوطنك ، أو بأهلك أو بعشيرتك فأنت كافر .

فها أنت قد عرفت الحق فأصدع به قال الله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ الممتحنة: ٤، تبرؤوا من ذواتهم فلا لقاء ولا التقاء إلا على التوحيد والعقيدة الصحيحة ، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عانى من هذه الأصناف ممن يوافقونه ويُظهرون له الموافقة ، وأنهم على التوحيد وهم لا يعتقدون التوحيد أصلاً ، وبعضهم يعلم التوحيد ويعرف التوحيد ويعتقد التوحيد فإذا خرج من عند الشيخ وذهب إلى أهله كان مع أهل الشرك على ماهم عليه ، وهذه والله مصيبة عظيمة .

خلاصة الخاتمة

أن التوحيد يتعلّق بالقلب وباللسان وبالجوارح ولا يكون الإنسان موحّداً حتى يوحد الله جل وعلا بقلبه وبلسانه وبجوارحه .

قال الشيخ : { **والله ﷻ أعلم وأعز وأكرم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم** } .

وبذا نكون قد انتهينا بحمد الله من شرح هذا الكتاب النافع ، وأنصح نفسي وسائر إخواني أن نكثر من مطالعة هذا الكتاب مرة بعد مرة وأن لا ننقطع عن مطالعته ومدارسته فهوكتاب نافع قد حَوى علماً جماً ، و فوائد وفرائد عظيمة تُشدُّ لها الرحال وتُبذلُ فيها الأعمار والأموال ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .